الجمهـــوريـــة الجـــزائـــريـــة الديـــمـقراطيـــة الشـــعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الـــتـــعـــلـــيـــم الـــعـــالـــــي و الـــبـــحـــث الـــعـــلـــمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كـليـة العـلـوم الإنـسـانية والعـلـوم الإسـلامـيـة
Faculté des Sciences Humaines et des Sciences Islamiques



قسم الحضارة الإسلامية.

الكتابة التاريخية ومناهجها في المغرب الإسلامي 07- 08هـ/13- 14م.

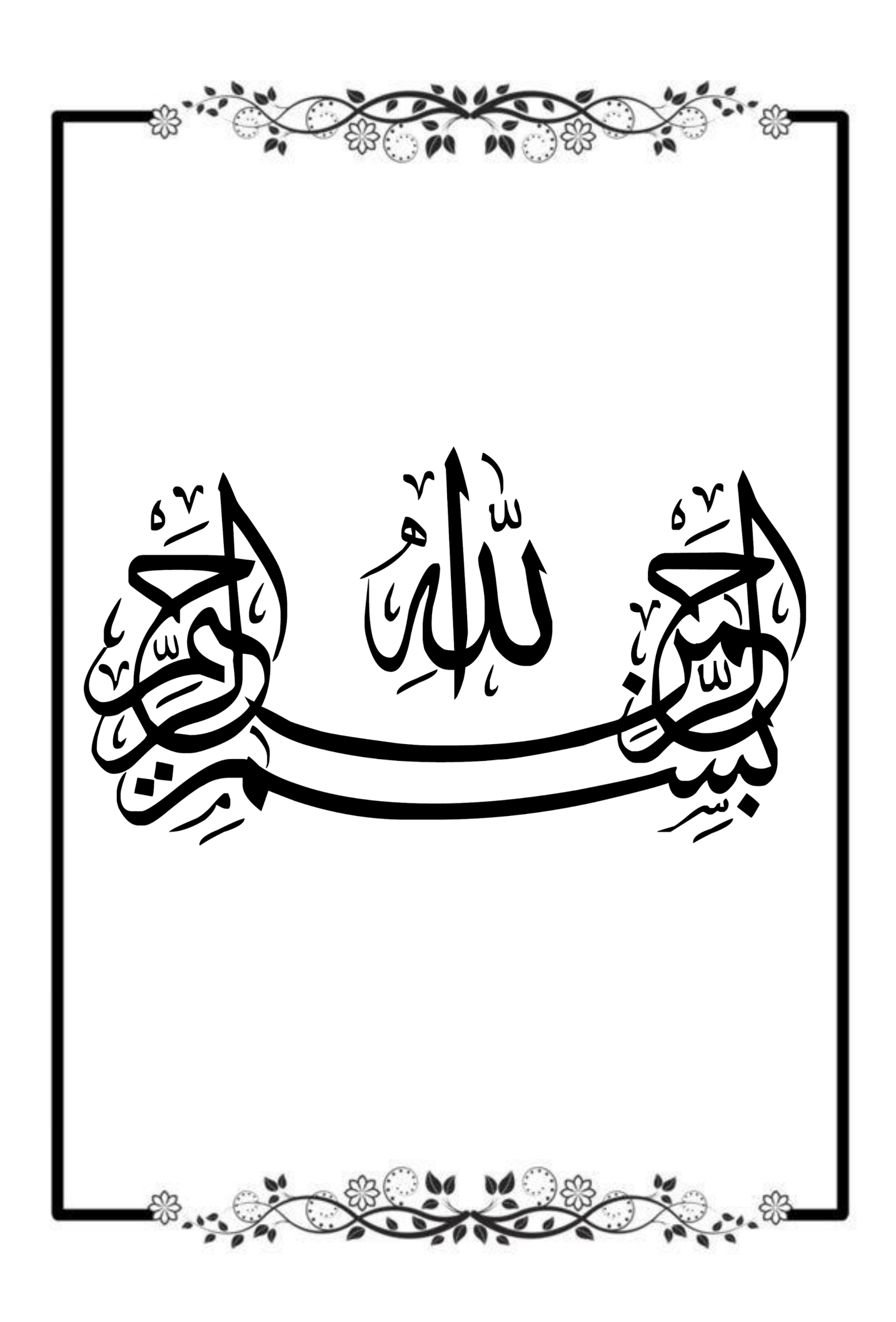
أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية.

إعداد الطالب | إشراف الأستاذ
الدكتور
عوّاد المنور | بن معمر محمّد

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
محمّد بوركبة	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 1 أحمد بن بلة	رئيسا
محمّد بن معمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 1 أحمد بن بلة	مشرفا ومقررا
عمر بلبشير	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 1 أحمد بن بلة	مناقشا
نصر الدين بن سادات	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2 محمد بن أحمد	مناقشا
مصطفى مغزاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	مناقشا
نصر الدين بن داود	أستاذ التعليم العالي	جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان.	مناقشا

السنة الجامعية:
1443- 1444هـ
2021- 2022 م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكـر وتقديـر

الحمد لله الذي تتمّ بنعمته الصالحات.

أتقدم بالشكر الخالص إلى كلّ من قدم لي يد المساعدة طيلة مدّة البحث ويتقدمهم **أستاذي المشرف سعادة الأستاذ الدكتور محمد بن معمر**، الذي بذل ما في وسعه لتوجيهي، ومتابعة هذا البحث بملاحظاته، وتصويباته فجزاه الله خير الجزاء، وله منّي أبلغ عبارات التقدير؛ والشكر والثناء، والدعاء بأن يحفظه الله ويرعاه وينفع به.

كما أشكر **المشرف المساعد الدكتور نجيب بن خيرة** الأستاذ المشارك بجامعة الشارقة على جهوده المبذولة في تتبع مسار البحث خلال مرحلة تربصي بجامعة الشارقة، ولا أنسى كل من رئيس مكتب مدير جامعة الشارقة **السيد إبراهيم سهيم، والنائب الأكاديمي لمدير جامعة الشارقة**، والشكر موصول للأساتذة الأفاضل **أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه وجميل وسمه**، على تجشمهم عناء قراءة هذا العمل ومراجعته، وتقديم ملاحظاتهم، وتوجيهاتهم، فلهم مني أبلغ عبارات الشكر، كما أتوجه بالشكر **لعمال المكتبة الوطنية الجزائرية، وعمال مكتبة جامعة الشارقة**، والشكر **لكل الأساتذة** الذين ساعدوني لإتمام هذا البحث.

الإهـــــــداء

إلى كل المرابطين والمنافحين عن أمة الإسلام في العالم

إلى كل غيور على الإسلام

إلى روح جدي وجدّتي تغمدهما الله بواسع رحمته

إلى كل الباحثين الجادين في مجال البحث التاريخي

أهدي هذا العمل المتواضع...



المقدمة

المقدمــــة.

الحمد لله رب العالمين، الذي أحصى كلّ شيء عددا، وجعل لكل شيء أمدا، ولا يُشرك في حكمه أحدا، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

شهدت الكتابة التاريخية تطورات مهمة في جوانبها المعرفية، وتحولات عميقة في مناهجها الأساسية في ظل الحضارة العربية الإسلامية، وبظهور أنماط جديدة اهتمت بماضي الأمة الإسلامية خصوصا التأريخ للوقائع والأحداث، أو التاريخ المحض المباشر الذي يتمثل أساسا في التواريخ الجامعة؛ والكتابة المحلية التي أخذت أشكالا مغايرة عن تلك التي صاحبت بداية التدوين في القرون الهجرية الأولى، واعتمدت منهج الرواية والإسناد أين حاول الإخباريون سلوك مسلك المحدثين في التعامل مع الخبر التاريخي، وفي هذه المرحلة ارتبط التاريخ بعلم الحديث قبل أن يلتحق بالأدب في مرحلة ما بعد القرن الرابع الهجري، بحيث توسعت المعارف، وتطور أسلوب الكتابة، وكثرت المعلومات نتيجة تولي المؤرخين إدارة دواوين الدولة، والإشراف على وثائقها، ليستقل التاريخ بعدها كعلم قائم بذاته في فترات لاحقة، ثمَّ انفتح على مختلف التخصصات العلمية والمعرفية في المرحلة الحديثة والراهنة، كالدراسات السوسيولوجية، والأنثروبولوجية، والديمغرافية، والإيركيولوجية، والجغرافية، وغيرها في إطار التكامل المعرفي بين العلوم، وذلك للاستفادة من مناهجها، وبتوظيف مقاربات جديدة في نقد الأخبار، وقراءة الوقائع التاريخية للكشف عن مختلف مراحل نشأتها، والمؤثرات المرتبطة بها، والعوامل المتحكمة في حفظها وصيرورتها.

وبارتباط الخبر التاريخي بتدوين الحديث النبوي نشأت نماذج من الكتابة التاريخية صُنِفَت في المراحل الحديثة، ووسمت بـ: " كتب المغازي والسير" وموضوعها تدوين سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم- بكل تفاصيلها، "وكتب الفتوح" التي تتبع حركة الفتح الإسلامي في مختلف مناطق العالم الإسلامي، ثمّ أعقبتها نماذج أخرى أكثر شمولية؛ وتوسعا؛ وتخصصا؛ تمثلت في كتب التواريخ

العالمية والمحلية، وأشهرها كتاب الطبري (ت310هـ/922م) "تاريخ الرسل والملوك"، واليعقوبي (ت284هـ/897م)، " كتاب التاريخ"، والمسعودي (ت346هـ/957م)، " مروج الذهب ومعادن الجوهر"، أما التواريخ المحلية فقد جاءت في مرحلة تالية للكتب العامة، وأخذت هذه النماذج شكلين من الكتابة التاريخية هما " التاريخ الحولي أو التدوين حسب السنين، والتأريخ حسب الموضوعات، ويعتبر التأريخ الحولي أحد أهم أشكال الترتيب التاريخي التي اتبعها المسلمون في كتابة التاريخ، باعتباره وسيلة ملائمة للعرض التاريخي، حيث يتم إيراد الأخبار وفق تعاقب السنين؛ مما ينتج عنه فصل الأحداث التاريخية بعضها عن بعض من ناحية الزمان والمكان، ولا يجمع بينها سوى عقد الزمن، ومشكلة هذا المنهج هو قطع سياق الأحداث التاريخية وسيرورتها، وما يمكن أن ينشأ عن ذلك من علائق وتفاعلات. أما منهج العرض وفق الموضوعات فالمؤرخ يقف فيه على تاريخ الدول والسلالات الحاكمة، وعهود الخلفاء، وتواريخ المدن، وهناك نماذج أخرى دُونَت وفق المنهجين لكنها أرخت للفرد ككتب التراجم والطبقات وغيرها.

وتتبعا لتطور الكتابة التاريخية منذ مراحلها الكلاسيكة الأولى، وبداية تدوين الأخبار خاصة في المشرق الإسلامي ودار الإسلام التي تَصَورها خلفاء بني العباس أُنْجِزَت عديد الدراسات العربية والأجنبية التي اهتمت بدراسة المدونات التاريخية الأولى، ومناهج المؤرخين، والتي تندرج ضمن "علم التاريخ"، و"الكتابة التاريخية (Historiographie)، ونذكر منها ما كتبه كل من: شاكر مصطفى[1]، وطريف الخالدي[2]، وعبد العزيز الدوري[3]، وقسطنطين زريق[4]، وفرانز روزنتال (Franz Rozanthal)[5]، وكلود كهان(Claude Cahen)[6]، وعبد الله العروي[1]، والسيد عبد

[1]: **التاريخ العربي والمؤرخون**، بيروت، دار العلم للملايين، 1982م.

[2]: **بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه**، بيروت، دار الطليعة، 1982م.

[3]: **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**، بيروت، دار الشرق، 1983م.

[4]: **نحن والتاريخ**، بيروت، دار العلم للملايين، 1985م.

[5]: **علم التاريخ عند المسلمين**، بغداد، دار المثنى، 1963م.

[6] :«Quelques chroniques anciennes relatives aux derniers fatimides » Dans Bulletin de l’Institut français d’archéologie orientale, 1939,p.1-27 ; « Les chroniques arabes dans les bibliothèques d’Istanbul » dans Revue des études islamique,1936,p.333-368.

العزيز سالم[2]، وحسين مؤنس[3]، وفاروق عمر فوزي[4]، وأيمن فؤاد السيد،[5]، وغيرها من الدراسات التي ركزت على المشرق الإسلامي، وبخصوص البحوث التي اهتمت بالتدوين التاريخي، والكتابة التاريخية في بلاد المغرب الإسلامي فهي لا تعادل ما كتب عن المشرق من حيث الكم، ويمكننا ذكر أهمها كمجموعة الدراسات التونسية المتخصصة بتنسيق بن عمر حمادي[6]، ودراسة علي أومليل[7]، وسلسلة المحاضرات التي ألقاها محمود إسماعيل[8] على طلبة كلية الآداب بمكناس، ومع أنها شكلت بداية الدراسات في مجال الكتابة التاريخية إلا أنها لم تكن شاملة، وانحصرت في جوانب جزئية، كما يمكننا الإشارة إلى الدراسة الهامة التي أنجزتها مايا شاتزميلر (Maya Shatzmiller)[9]حول الكتابة التاريخية المرينية، ابن خلدون وأبرز المؤرخين المعاصرين له، والمترجمة من طرف محمد شقير، ومحمد ظريف تحت عنوان المؤرخون والسلطة في المغرب، وهناك دراسة أخرى لمحمد المنوني[10] في شكل عرض ببليوغرافي من جزأين حول مصادر تاريخ المغرب، وتليها دراسة قدمها تاديوس ليفيتسكي[11]، إضافة إلى مجموعة مقالات نشرها علاوة عمارة في مجلات دولية ووطنية باللغة العربية والفرنسية، وجمع بعضها في كتابين وسما بـ:" "دراسات تاريخية وفكرية"[12] و" دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي

---

[1] : Abdallah Laroui, Islam et histoire, paris, Albin Michel,1999.

[2]: **التاريخ والمؤرخون العرب**، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2019م.

[3]: **التاريخ والمؤرخون- دراسة في علم التاريخ**، القاهرة، دار الرشاد، 2001م.

[4]: **التدوين التاريخي عند المسلمين**، الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2004م.

[5]: **الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2017م.

[6]: **الديمغرافيا التاريخية في تونس والعالم العربي**، تونس، دار سراس للنشر، 1993م.

[7]: **الخطاب التاريخي- دراسة لمنهجية ابن خلدون-**، ط4، الدار البيضاء- المغرب، المركز الثقافي العربي، 2005م.

[8]: **الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي**، الرباط، منشورات الزمان، 2000م.

[9] :L’historiographie Mérinide : Ibn khaldoun et ses contemporains, Leiden-1982.

[10]: **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1983م.

[11]: **المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة ماهر وريما جرار، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000م.

[12]: الرغاية، الجزائر، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2008م.

الوسيط"[1]، ومن بين المقالات التي لها علاقة مباشرة بعملية التدوين التاريخي ببلاد المغرب الإسلامي" الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط"[2]، و" الخلدونية: الوسط التاريخي والمرجعية الفكرية"[3]، و"الغرب من منظور ابن خلدون"[4]، ويضاف إليها أيضا مقال" الرقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب"[5]، وقد تناولت هذه المقالات الكتابة التاريخية في عرض كرونولوجي عام، وسلطت الضوء على كتابات ابن خلدون، وهناك دراسات أخرى تناولت بعض المؤرخين ومؤلفاتهم على غرار دراسة كل من عبد الواحد ذنون طه[6]، ومحمد علي دبُّور[7]، ورسالة دكتوراه دكتوراه أنجزها عبد الله بن محمد علي بن حيدر علي[8]، وكلها تناولت ابن عذاري المراكشي وبيانه المغرب، بشكل مفصّل مع اختلاف في دراسة منهجه، وعرض مادته، كما يمكن الإشارة إلى أطروحتي ماجستير ودكتوراه لآسيا ساحلي[9] والتي درست فيهما بعض المؤلفات العامة والسلالاتية حول تاريخ المغرب الإسلامي، إضافة إلى سلسلة مقالات تناولت بشكل جزئي كتابات تاريخية عامة أو سلالاتية، والتي اعتمدتها للاستعانة بها في نقد المصادر التاريخية، وبيان مناهج المؤرخين.

---

[1]: الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م.

[2]: مجلة التاريخ العربي، العدد 32، (329-370)، 2004م،

[3]: بحث قدم للملتقى الدولي"**البعد الديني ومنزلته في تجربة ابن خلدون الفكرية**"، تونس، جامعة الزيتونة، 20-22 فيفري، 2006م.

[4]: نشر باللغة العربية بمجلة رؤى، العدد 18-19، باريس، 2003م، ص 83- 91. وباللغة الفرنسية، نشر بـ: Journal des sciences، العدد 2، 2003م، 16-26.

[5]: مجلة التاريخ العربي، العدد25 ، (111- 144)، شتاء 1424هـ/2003م.

[6]: **ابن عذاري المراكشي شيخ مؤرخي المغرب العربي**، ط1، بيروت، دار المدار الإسلامي، يناير، 2005م.

[7]: **ابن عذاري المراكشي ذاكرة الفكر التاريخي بالغرب الإسلامي**، ط1، بيروت، دار المقتبس، 1439م/2018م.

[8]: **كتاب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي ومنهجه التاريخي**، (أطروحة دكتوراه)، نوقشت بالمملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، 1418-1419م/1997-1998م.

[9]: **انتقال المعرفة التاريخية في الأندلس والمغرب في نهاية العصر الوسيط**، (رسالة ماجستير)، نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 1428-1429هـ/2007-2008م، و"**مكانة التاريخ في الحقول المعرفية في بلاد المغرب الإسلامي في نهاية العصر الوسيط (08-10هـ/14-16م)**، (أطروحة دكتوراه، نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، 1439-1340هـ/ 2018-2019م.

ويأتي موضوع هذه الرسالة الموسومة بـ: **الكتابة التاريخية ومناهجها في المغرب الإسلامي (07-08هـ/13-14م)** للوقوف على أهم المصنفات التي ألفت خلال هذه الفترة أين نلتقي بالمشاريع التاريخية الكبرى نظرا لما شهده المغرب الإسلامي من تفكك في مرحلة ما بعد الموحدين، وظهور الكيانات السياسية المدعية للإرث الموحدي من الزعامات البربرية (المرينيون بفاس، والزيانيون بتلمسان، والحفصيون بتونس)، مما نتج عنه ظهور التواريخ الأسرية للدعاية للسلط القائمة في بلاد المغرب، وبدافع تثبيت سلطانها، وفي المقابل نجد بشكل أقل مصنفات لمؤرخين شدَّهم الحنين إلى مرحلة القوة والوحدة أيام حكم الموحدين، وتمثل هذه المرحلة عصر الكتابات التاريخية الكبرى، بالرغم من التهاوي السياسي للأمة الإسلامية، وحدوث خلخلة على جميع المستويات مشرقا ومغربا وأندلسا، والعجز الذي أصاب هذه الدول خصوصا المغاربية للوصول إلى تحقيق وحدة بلاد المغرب الإسلامي في كيان واحد.

ورغم هذه التقلبات السياسية إلا أن الحياة الثقافية، وحركة الكتابة والتأليف ظلت مستمرة في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، ولم يوفق الحكام في السياسة كما وفقوا في نشر العلم، ودعم العلماء خصوصا في حاضرة المرينيين فاس التي كانت أفضل مدن المغرب عمارة وترفا، وبخصوص الحضور الأندلسي فقد كان من خلال هجرة العلماء إلى العدوة المغربية بعد سقوط مدن الأندلس نتيجة حركة الاسترداد الصليبي، ومساهماتهم الكبرى في ميادين الفن والثقافة، إلا أن هذه المرحلة حسب رأي عديد المؤرخين والمفكرين تمثل بداية عصر الانحطاط، وحلقة حاسمة في بداية ظهور التراجع الحضاري، وتأثر التدوين التاريخي، والكتابة التاريخية بالجوانب السياسية والحضارية في بلاد المغرب الإسلامي؛ وهو ما يطرح عديد التساؤلات عن الإنتاج التاريخي خلال المدة الزمنية للدراسة.

إن تتبع مسار الكتابة التاريخية (Historiographie) المحضة والمباشرة في المغرب الإسلامي في مرحلة ما بعد الموحدين وخلال القرنين(07-08هـ/12-13م) يكمن في معرفة الإنتاج التاريخي المباشر وتنوعه، ومنه نطرح الإشكالية الرئيسة

بالصيغة التالية: ما هي المؤثرات على مسار التدوين التاريخي في بلاد المغرب الإسلامي من خلال أهم المصنفات التاريخية المحضة والمباشرة، والتي دونت خلال القرنين (07-08هـ/13-14م)، ويتفرع عن الإشكالية الرئيسية إشكاليات ثانوية تصاغ في الشكل التالي:

يمثل النصف الثاني من القرن (07هـ/13م) انهيار الصرح الموحدي، وتفكك وحدة العدوتين، والمغارب الثلاث بشكل خاص، ما نتج عنه ظهور كيانات سياسية متناحرة، فكيف أثر هذا الوضع في ظهور مؤلفات منوعة حاولت الرجوع والحنين إلى هذا العهد الوحدوي، والتي يمكن وصفها بالكتابات الجامعة؟.

بعد استغلال تراجع الموحدين استطاعت الزعامات البربرية الوصول إلى السلطة، وحاول (بنو مرين، وبنو عبد الواد) تثبيت شرعية حكمهم من خلال عديد المحاولات التي بقيت في نظر المجتمع الحضري خصوصا الفاسي معدومة، وإنما فرض استمرار حكمهم منطق القوة والتغلب، أما بنو حفص فقد حاولوا تمثيل النهج الموحدي بولائهم الروحي، فإلى أي مدى ساهمت هذه الكيانات في توظيف أقلام المؤرخين الموالين للسلالة الحاكمة، وظهور التواريخ السلالاتية المختلفة لصالح الأسرة والبلاط؟.

وبخلاف الكتابة البلاطية الممثلة في التواريخ الأسرية، أو الجامعة الحنينية للعصر الموحدي نلتقي بمؤلف محلي في بداية تدوينه من خلال النسخة التونسية، ثم كتابة تاريخية استثنائية جزئية للعالم الإسلامي والغربي، في طرح مغاير للمصنفات التاريخية الإسلامية الأخرى، ونعني بذلك ابن خلدون ونظريه الجديدة حول " علم العمران"، فما الذي تفرد فيه ابن خلدون عن غيره في الكتابة المغاربية؟ وما هي إضافاته في التأريخ للعالم الغربي؟ وما هي أهم مصادره غير العربية حول تاريخ المشرق الإسلامي؟

إن قراءة هذا الإنتاج التاريخي في مرحلة ما بعد الموحدين، أو خلال القرنين (07-08هـ/13-14م) يتطلب حصر المؤلفات الجامعة التي لم تكن بذلك الكم المعتبر رغم حرصها على وحدة الأمة والدولة الإسلامية سواء في العدوة الأندلسية

أو المغربية، ثمّ إنّ بيان قيمة هذا النسق من الكتابة التاريخية، والذي حاول جعل مؤلف للمشرق الإسلامي، وآخر للمغرب الإسلامي له أهميته بعد ربطه بالتأثير الموحدي مغربا، والعباسي مشرقا، والولاء الروحي الذي عارض التراجع السياسي، وكل هذا يتطلب بعد الإحصاء نقد أهم الأصول كمشروع ابن سعيد المغربي" المغرب في حُلى المغرب" و"المشرق في حُلى المشرق"، وأوج ما وصلت إليه الكتابة التاريخية المغربية من التميز في كتابة ابن عذاري المراكشي في" البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب"، وما كتبه ابن السماك العاملي في "الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية".

وبخصوص الكتابة التاريخية السلالاتية الموجهة لخدمة الأسر الحاكمة فقد تمَّ إحصاء أهم المصنفات في هذا المجال، ونقدها من جهة مؤلفها، ومنهج كتابتها، والمؤثرات المرتبطة بها، أما الكتابة الخلدونية فيما يتعلق بتصوره لتاريخ المغرب، وتاريخ العالم الغربي، ومصادره حول تاريخ المشرق، فهذا الفصل هو الآخر تمَّ فيه تتبع موارد ابن خلدون، وبيان منهجه، ونقد رواياته وأخباره.

تنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول تتفرع عنها عدّة مباحث، ويَدْرُس كل فصل نموذجا خاصا من الكتابة التاريخية المحضة والمباشرة التي تؤرخ لوقائع وأحداث الجماعة، أما ما يؤرخ للفرد من الكتابات؛ والممثلة في كتب الطبقات والتراجم وغيرها فهو من التاريخ الغير مباشر، والذي يخرج عن التاريخ المحض الذي تعنيه الدراسة، وقد قمت بتوظيف مقاربات منهجية مختلفة لنقد هذه المصنفات التاريخية، ودراسة مناهج مؤلفيها، والعوامل المؤثرة في توجيهها.

ففي الفصل الأول عملت على جمع المصادر التاريخية التي أخذت طابع الكتابة التاريخية الجامعة لجهات العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، ومثَّل هذا النهج ابن سعيد المغربي وعائلته في مشروع تبنى فيه فكرة الجمع بين المشرق والمغرب الإسلاميين في مؤلفين منفصلين" المغرب في حُلى المغرب" و"المشرق في حُلى المشرق"، في محاولة إلى إعطاء صورة وحدوية للدولة الإسلامية، ويعقب ابن سعيد نموذج آخر مثّل أعلى مستويات الكتابة التاريخية المغربية مطلع القرن (08هـ/14م)،

ونعني بذلك "البيان المُغرب"، و"البيان المُشرق" لابن عذاري المراكشي، وإن كان الكتاب الثاني ضائع إلا أن رؤية ابن عذاري حول تراجع الموحدين، جعلته يحنُّ من خلال تأليف مصنفين حول المغرب والمشرق إلى أيام الموحدين الأولى، وربط ذلك بقوة الدولة الإسلامية مشرقا، وبخصوص ما كتبه ابن السماك العاملي في" الحلل الموشية في الأخبار المراكشية" فالظاهر من عنوان الكتاب أنه يؤرخ لمدينة مراكش، لكن حقيقته غير ذلك، فابن السماك قصد بمؤلفه تاريخ العدوتين المغربية والأندلسية، وأخبار بني مرين، ما يجعله يُصنف ضمن الكتابة الجامعة، وفي هذا الفصل قمت بتتبع أخبار المؤرخين لمعرفة زمن الكتابة، ونقد مصنفاتهم بعد مراجعة شاملة للمصادر التي اعتمدوها في مؤلفاتهم، والمناهج الموظفة في ترتيبهم للأحداث، مراعيا التسلسل الزمني للكتابة، وترتيب مباحث الفصل.

أما الفصل الثاني فخصصته للكتابة التاريخية السلالاتية التي ظهرت مع الكيانات التي أعقبت الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي، وقد قمت بتتبع التدوين التاريخي المرتبط بالبلاط وبدأت بالأسرية المرينية، ثم الأسرة الزيانية، وانتهاء بالأسرة الحفصية، وأحصيت أهم الأعمال المصنفة لصالح الأسر المذكورة، مع تقديم دراسة مفصلة لهذه التواريخ الأسرية ومؤلفيها من خلال وضعها في سياقها للكشف عن أهم المؤثرات المرتبطة بتوجيه الكتابة التاريخية الموجهة لخدمة السلالة الحاكمة في بلاد المغرب الإسلامي، وقد التزمت كما في الفصل الأول بالتسلسل الزمني في ترتيب الكتابة السلالاتية.

وبخصوص الفصل الثالث فكان عن الكتابة الاستثنائية لابن خلدون، وتفرده عن باقي المؤرخين في الكتابة المغربية، والتأريخ للعالم الغربي، وباعتماد مصادر غير عربية للتأريخ للمشرق الإسلامي، ويصنف مؤلفه ضمن التواريخ العالمية الجزئية، لكنه كان بطرح مغاير تماما لما كتب قبله من خلال ترتيبه، وموضوعه، ومنهجه، وقد تتبعت مراحل التكوين التاريخي لابن خلدون، وظروف تدوين كتابه، ومشاركاته السياسية، وتأثير ذلك في توجيه كتابته خصوصا الانتقال من الكتابة المحلية عن تاريخ المغرب الإسلامي، إلى كتابة عالمية أضاف لها المشرق الإسلامي، والغرب

المسيحي، وهي تجربة فريدة واستثنائية من ابن خلدون خالف فيها جميع كتاب التاريخ العام العالمي من العرب، خصوصا في التأريخ لغير العرب والعالم الإسلامي، وهو ما جعل كتابته استثنائية، خصوصا من خلال المقاربات التي وظفها، والمناهج التي استخدمها.

إن الترتيب الموضوعي لفصول الرسالة جاء استجابة للترتيب الزمني لأهم الأعمال الإخبارية التاريخية المحضة التي ترتبت بحسب الموضوع، مع استبعاد لبعض الأعمال الخارجة عن زمن الدراسة (07-08هـ/13-14م)، أو لا تدخل كونها غير مباشرة في استهداف تاريخ الوقائع والأحداث، وقد كان جمع الأعمال الإخبارية من خلال الفصول الثلاثة خلال القرنين (07-08هـ/13-14م) من أجل بيان مسار التدوين التاريخي في المغرب الإسلامي الوسيط، وتأثره بتوجيه البلاط أو خلفيات المؤرخ التي يتحكم فيها تكوينه العلمي، وموارده التي استقى منها معلوماته، وغايته من الكتابة والتأليف، وبهذا تترتب نماذج الكتابة التاريخية المحضة، وحجمها في المغرب الإسلامي خلال زمن الدراسة (07-08هـ/13-14م).

ولمتابعة مقاربات المؤرخين، ومناهج الكتابة والتدوين، وظفت مجموعة من الدراسات المتنوعة، والنصوص التاريخية المباشرة لهؤلاء المؤرخين، وهي إنتاج زمن الدراسة خلال القرنين (07-08هـ/13-14م) حيث يمكن الإشارة إلى أهمها لتجنب التكرار بحكم أن العمل يقوم على قراءة وتحليل هذه النصوص ومضامينها، وأهمها "المُغرب في حُلى المغرب" لابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م)، وهو بمثابة مشروع عائلي جماعي لعائلة ابن سعيد بعد أن توارثوه لمدة مائة وخمسة عشر سنة، وقد عولت على نصوص هذا الكتاب لبيان طريقة ترتيب تاريخ العالم الإسلامي بعد مقابلته بشقه الآخر "المُشرق في حُلى المشرق" الذي كتبه بنفس النسق والترتيب مع اختلاف في الأخبار، ولم يبق من كتاب "المُشرق" سوى سفرين مخطوطين.

وفي نفس اتجاه الكتابة نجد كتاب"البيان المغرب" لابن عذاري المراكشي الذي كان حيا سنة (712هـ/1312م) حيث شكّل مؤلفه لُبّ مادة الفصل الأول كونه بلغ أعلى مستويات الكتابة التاريخية خصوصا بعد تسجيله أخبار المرحلة الأخيرة

لحكم الدولة الموحدية، وشموليته في تتبع تاريخ العدوتين، واعتماده على روافد متنوعة اعتبر عدد هام منها في حكم الضائع، لكن ابن عذاري حفظ جملة من نصوصها بمنتخباته في مواضع مختلفة من مؤلفه، الشيء الذي أهل كتابته إلى مستويات أرقى وأرفع.

أما ما تعلق بنصوص التاريخ المحلي فمثلتها سلسلة الأعمال الإخبارية السلالاتية للأسر الحاكمة، وتشكل نصوص هذه الكتابات مفاصل الفصل الثاني الموضوعية مع مرعاة الترتيب الزمني، وقد حاولت معرفة طبيعة العوامل المتحكمة في توجيه الكتابة التاريخية خلال القرنين (07-08هـ/13-14م)، ويمكن ذكر أهم الأعمال المخصصة للأسرة المرينية كمؤلفات علي بن أبي زرع الفاسي الذي كان حيا سنة (726هـ/1325م) " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب؛ وتاريخ مدينة فاس"، و"الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية"، وما كتبه الجزنائي الذي كان حيا سنة (677هـ/1364م) "جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس"، وابن مرزوق الخطيب (ت781هـ/1379م) في مؤلفه الهام " المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن"، وإسماعيل ابن الأحمر الغرناطي (ت 807هـ/1405م)، في مؤلفاته "روضة النسرين في دولة بني مرين"، و" النفحة النسرينية واللمحة المرينية " و"مستودع العلامة ومستبدع العلامة".

ولمعرفة العوامل المتحكمة في توجيه الكتابة التاريخية بتلمسان الزيانية اعتمدت على الأعمال الموجهة لخدمة السلالة الزيانية، وأهمها كتاب يحيى بن خلدون (ت780هـ/1387م) "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، و" زهر البستان في دولة بني زيان" لمؤلف مجهول كان حيا سنة (761هـ/1361م)، وما كتبه أبو عبد الله التنسي (ت899هـ/1493م) في كتابه" نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان".

أما الأعمال الإخبارية المخصصة للأسرة الحفصية فقد جاءت متأخرة عن تاريخ دولتهم، نذكر منها كتاب ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، وابن الشّماع (ت873هـ/1429م) "الأدلة البينة النورانية في

مفاخر الدولة الحفصية"، والزركشي الذي كان حيا سنة (894هـ/1488م) "تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية".

وإضافة إلى المصادر المذكورة اعتمدت كثيرا على كتاب" العبر" لابن خلدون (ت808هـ/1405م)، لبيان تميزه في كتابة تاريخ المغرب خصوصا مرحلة ما بعد الموحدين، وتأريخه للعالم الغربي باعتماده على مصادر متنوعة غير كلاسيكية وفق مقاربات مختلفة، وكذا رجوعه لمؤرخين غير عرب في تأريخه للمشرق الإسلامي، أما بخصوص تتبع حياته، وتكوينه العلمي والتاريخي، وتجاربه السياسية في بلاطات السلاطين، ومراحل تدوين كتابه" العبر" من المغرب الأوسط "قلعة بني سلامة"، إلى مدينة تونس، وانتهاء بالقاهرة، فقد اعتمدت على سيرته " التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا".

وبخصوص المصادر الأخرى التي اعتمدتها فهي ذات علاقة مباشرة بالمصادر المذكورة سواء كتب التراجم والطبقات للتتبع حياة المؤرخين، وتكوينهم العلمي والتاريخي، أو مختلف الدراسات والبحوث التي استعنت بها لنقد كتاباتهم، والكشف عن مناهجهم، ومقارباتهم التي وظفوها في عرض الأخبار، وترتيب الأحداث، وارتأيت عدم ذكرها خشية الإطالة، كما يمكن الاطلاع عليها من خلال ثبت المصادر والمراجع.

لقد احتاج هذا العمل إلى توظيف مقاربات منهجية عديدة للكشف عن العوامل المتحكمة في الكتابة التاريخية، والمؤثرات المرتبطة بها بعد تتبع مسارات التدوين التاريخي حسب النماذج المذكورة، والتي تنتمي إلى التاريخ المحض المباشر، وبيان مناهج المؤرخين التي رتبوا من خلالها الحوادث، وساقوا الأخبار، وقد اعترضني جملة من الصعوبات والعوائق خصوصا في تقسيم البحث إلى مفاصل موضوعية يراعى فيها عامل الزمن، إضافة تنوع المادة الخبرية وكثرتها، ثم العمل على ترتيبها، وهذا يتطلب بذل الجهد، وصرف الوقت الكافي لإعطاء نظرة شاملة عن سياقات الخبر التاريخي في مغرب ما بعد الموحدين.



الفصل الأول:

الكتابة التاريخية الجامعة في المغرب الإسلامي

تعدُّ الكتابة التاريخية العربية الشاملة أقدم صور تدوين الأخبار وفق منهج كلاسيكي يركز على تتبع تواريخ الشعوب الإسلامية في كامل أقطار العالم الإسلامي، وتاريخ البشرية بصفة عامة، منذ بدء الخليقة إلى عصر المؤلف، إلا أنها في كتابتها عن المرحلة المعاصرة للمؤلف تُعدّ أصيلة، وتعتبر مصدرا رئيسا وأساسيا، وتنتهج طريق الكتابة الحولية، وهي أبرز المبادئ التي اتبعها المسلمون في ترتيب الحوادث على السنين، ومع أن هذه الطريقة لم تكن أكثر من أسلوب في عرض المادة التاريخية، إلا أنها استطاعت أن تبتلع صورة الخبر، ومهما كانت نقائصها فمن المؤكد أنها أكثر تقدما من تاريخ الخبر من حيث أنها ضمنت على الأقل الاستمرارية الظاهرية، وتنسيق مواد منوعة وهي خصائص عربية على صورة الخبر[1]، فيم نجد مصنفات أخرى لبعض المؤرخين ألفت حسب الموضوعات، وكان الاهتمام أيضا في هذه المدونات بالأمم الغير إسلامية متفاوتا وضئيلا في الكتابة التاريخية الجامعة، أو التواريخ العالمية، ونقصد بذلك الأمم التي ارتبطت في علاقات جغرافية مع الدول الإسلامية بعدا وقربا.

إن غالب الشعوب التي دخلت في فلك الحضارة الإسلامية كالفرس والبربر والأقباط قد اهتمت بها الكتابة التاريخية العربية بحكم وصول أخبارها وتداولها في البيئة العربية التي كانت مجاورة لهذه الشعوب، أو لها علاقة مباشرة بحكم عمليات الفتح التي طالت هذه الأمم مشرقا ومغربا، أما عن باقي الأمم الأخرى التي كانت بعيدة عن حدود العالم الإسلامي فالكتابة عنها ضئيلة، والاهتمام بأخبارها قليل.

وهناك أنواع من التاريخ العالمي يجب أن نميز بينها وبين مستويات مختلفة مما يطلق عليه بالتاريخ الشامل، فهناك ما يسمى بتاريخ العالم أو التاريخ العام في المعنى القديم، وهذا النوع يتم فيه سرد الحوادث متسلسلة زمنيا من منطلق ديني

[1]: فرانز روزنتال، **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى، بغداد، 1963م، ص101.

تقليدي[1]. إن الكتب التي تمثل صفة العالمية أو التاريخ العام كثيرة، ومن المنظور الذي تكوّن عند المؤرّخ المسلم عن العالم قبل الإسلام وبعده، ومن النماذج التأسيسية للتواريخ العالمية في المشرق الإسلامي"تاريخ الرسل والملوك" لابن جرير الطبري (ت310هـ/923م) الذي يبدأ بنظرة بعيدة في الماضي؛ وموسعة الأحداث والوقائع، و" مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي(ت346هـ/957م)، و" كتاب التاريخ" لليعقوبي(ت 284هـ/897م)[2]، وهناك نماذج أخرى جاءت بعد ذلك منها: كتاب " الغرر في سير الملوك وأخبارهم"، للثعالبي(ت القرن 5هـ/11م)، و"المنتظم" لابن الجوزي (ت597هـ/1200م) ، و" الكامل في التاريخ" لعز الدين بن الأثير (ت 630هـ/1232م) والذي كُتِب نتيجة الغزو المغولي والصليبي للتذكير بالتاريخ العالمي للأمة الإسلامية، وبعد غياب طويل لهذا النوع من الكتابة، و"مرآة الزمان" لسبط بن الجوزي(ت654هـ/1256م)"، و"تاريخ الإسلام" للذهبي (ت748هـ/1347م)، و" البداية والنهاية" لابن كثير (ت774هـ/1373م) الذي أعطى مفهوما أكثر شمولية إلى نهاية العالم، و"عيون الأخبار" للكتبي (ت768هـ/1367م)، و" الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء السلاطين" لابن دقماق (ت809هـ/1407م)[3]، ويضاف إلى هذه الاتجاهات ما يطلق عليه بالتاريخ العالمي المنفتح الذي يهتم بالراهن كاهتمامه بالماضي وفق منظور دنيوي نسبي متسع الأفق، ويهتم بأخبار البلدان أيضا[4].

إن التأثيرات المشرقية في الكتابة التاريخية المغاربية لم يكن لأي مؤرخ تجاوزها، كونها بقيت لعقود تمثل التجربة الأولى التي اتبعها جميع الإخباريين بدءا من القرن (2هـ/8م)، لكن عندما نحاول إعادة تتبع مسار الكتابة التاريخية المغربية الجامعة ببلاد

---

[1]: أحمد الشبول، **نحو مقاربة منهجية لدراسة التاريخ العربي من منظور التاريخ العالمي، مسألة النظر إلى الثقافات الأخرى، التاريخ العربي وتاريخ العرب، كيف كتب، وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة**، مجموعة مؤلفين، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، إعداد وتنسيق وجيه كوثراني، ، بيروت، 2017، ص46.

[2]: وجيه كوثراني، **تاريخ التأريخ**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط2، بيروت، 2013م، ص58.

[3]: شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م، 349/4.

[4]: أحمد الشبول، مصدر سابق، ص47.

المغرب سوف نلتقي بنماذج هي أقل من حيث الكم بالنسبة للمدونات المشرقية، لكن في بلاد المغرب سوف تأخذ اتجاهات مغايرة منها محاولة جمع تاريخ العدوتين المغرب والأندلس وربطهما بتاريخ المشرق الإسلامي (دار الإسلام)، أو إحياء المشروع الوحدوي الموحدي في ضمائر الأمة الإسلامية، وهنا سنقف عند أبرز النماذج الإخبارية التي مثّلت هذا الاتجاه منها ما كتبه ابن سعيد المغربي (ت685هـ-1286م)، وابن عذارى المراكشي(ت712هـ-1312م)، وابن السماك العاملي.

المبحث الأول: ابن سعيد المغربي وتجربة تدوين تاريخ عالمي إسلامي:

تمثل تجربة ابن سعيد المغربي في محاولة لكتابة تاريخ عالمي إسلامي وفق تصوره أحد التجارب الفريدة في الكتابة التاريخية العربية حين ألف كتابين منفصلين وُسِم الأول بـ" المُغرب في حلى المَغرب" والثاني بـ" المُشرقُ في حلى المَشرق" ككتابة جامعة لتاريخ أقطار العالم الإسلامي، ويبدو أن الظرف السياسي الذي عاصره هو الذي دفعه إلى تبني مشروعه الرامي إلى محاولة تصور تاريخ للأمة من منطلق شمولية الإسلام ووجوده الفعلي المؤثر في الساحة السياسية في مقابلة الأمم الأخرى، خصوصا وأن ظرف الكتابة تزامن مع تفكك الموحدين، وتراجع مشروعهم الوحدوي، وانقسام المغرب والأندلس. إن كتابة ابن سعيد المغربي يمكن اعتبارها بداية تبلور عملية تدوين تاريخي مغاربي جامع خصوصا عند تتبع مسارات وسياقات عملية التدوين، وأهم المفاصل الموضوعية التي رسمها في مؤلفه.

في قلعة يَحصُب بالقرب من مدينة غرناطة ولد أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك المعروف بابن سعيد المغربي، وبأبي الحسن الأندلسي والغرناطي[1] العنسيّ المدلجي[2] القلعي في شهر شوال من سنة (610هـ/1213م)

[1]: عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 249/2.

[2]: انظر: أحمد بن المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق، إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1997م،271/2-272، 183، وأبو عبد الله لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقق يوسف علي طويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، 130/4، 133.خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، 26/5.

لأسرة عريقة تنسب إلى عمّار بن ياسر[1]، وهو أشهر شخصية لأسرة بني سعيد التي حكمت قلعة يحصب لسنين عديدة[2] والمسماة قلعة بني سعيد[3]، وهي التي نشأ فيها وتعلم[4]، ثمّ نزل إشبيلية التي أخذ فيها عن علماء اللغة[5]، وخدم فيها لوزير الموحدين ابن جامع[6]، وزار مدنا أندلسية أخرى رفقة والده كمالقة، والمرية، وأريولة، ثمّ عاد إلى تونس سنة (636هـ/1238م) مع والده وفيها التقى بابن الأبار القضاعي البلنسي صاحب مؤلف التكملة (ت658هـ/1259م)[7]، ليتجه بعدها لأداء مناسك الحج بعد خلاف مع ابن عمه الذي كان هو الآخر يخدم الموحدين، فنزل الإسكندرية سنة (639هـ/1241م)، وفيها توفي والده سنة (640هـ/1242م)، وبعدها استقبل في الفسطاط، ثم انتقل للقاهرة التي التقى فيها بكمال الدين ابن العديم(ت660هـ/1261م) صاحب كتاب "زبدة الحلب في تاريخ حلب"، ورافقه إلى مدينة حلب سنة (644هـ/1246م)، والتي أتمّ فيها كتابه " المُغرب في حُلى

---

[1]: علي بن موسى بن سعيد، **المُغرب في حُلى المَغرب**، تحقيق شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1964م، 172/2. خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، 157/22-158.

[2]: كان ابن سعيد أديبا وجغرافيا ورحالة حيث قال عنه المقري:" أديب زمانه غير مدافع، من اعترف له أهل المشرق بالسبق وأهل المغرب بالإبداع الشهير بالمشارق والمغارب". انظر: المقري، **نفح الطيب**، 262/2.

[3]: كانت قلعة يحصب تسمى بقلعة أسطلير، أما كلمة يحصب فهو اسم قبيلة من اليمن نزلت القلعة بعد فتح الأندلس. انظر: المقري، **نفح الطيب**، 681/1، وحسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1986م، ص466.

[4]: يذكر ابن سعيد بعض الشيوخ الذين تلقى عليهم العلم منهم: أبو الحسن الدباج (ت646هـ/1248م)، وأبو يحيى أبو بكر هشام (ت635هـ/1237م)، وأبو علي الشولبيني (ت645هـ/1247م)، وكان له علاقة بأدباء إشبيلية منهم: أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندي(ت627هـ/1229م)، وأبو بكر محمد بن أحمد الصابوني (ت638هـ/1240م). ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، 74/1، 218، 268. 129/2.

[5]: ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، 261/1، 263، 268.

[6]: اختار له والده إشبيلية لينهل من مناهلها، ويتعلم على أيدي علمائها وأدبائها أمثال أبي بكر بن هشام، وأبو الحسن الدباج، وأبي علي الشلوبيني، والأعلم البطليوسي، انظر: ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، 5/1، المقري، مصدر سابق، 272/2.

[7]: نفسه، 309/2.

المغرب"[1]، ثم رحل إلى أرمينية وأرجان مارا بدمشق سنة (647هـ/1249م) وبعدها توجه ابن سعيد إلى بغداد سنة (648هـ/1250م) ليشد الرحالة مرة أخرى عائد إلى حلب التي قصد منها الحج، وزارة المدينة المنورة، وطاف ابن سعيد في هذه الرحلات على بعض المكتبات في البلاد العربية التي خدم حكامها، والتقى علماءها وأدباءها وفقهاءها؛ كتونس والعراق والشام، ثم عاد بعدها إلى تونس سنة (652هـ/1254م)، واستقر فيها، لكنه غادرها للمرة الثانية سنة (666هـ/1267م) متجها إلى المشرق حيث حلّ بالإسكندرية، ثُمّ زار حلب، وقصد دمشق التي توفي فيها سنة (685هـ/1286م)[2]، وقيل عاد إلى تونس وفيها توفي[3].

لقد تميز ابن سعيد بصفات تفرد بها عن غيره، وجمع بين الأدب والشعر، وترك ديوانا رآه المقري ونقل منه الكثير، ونص كتاب "المُغرب" مليء بالموشحات والأزجال لشعراء الأندلس دون أن يروي لنفسه فيها شيء[4]، وله معرفة بالحديث والتأليف فيه، وأضاف إلى الرحلة الجغرافية، وكَتب عن المَشرق والمغرب، ومؤلفاته تشهد على كثرة إنتاجه[5].

1- المُغرب في حُلى المَغرب، نحو تدوين تاريخي مغاربي مستقل:

يعتبر كتاب " المغرب في حلى المغرب" مشروع جماعي لعائلة ابن سعيد، فقد اشترك في إتمامه علي ابن سعيد ووالده بعد أن بدأه جده عبد الملك وهو ثلاثة أقسام، القسم الأول خاص بمصر، والثاني خُصص لبلاد المغرب، أما القسم الثالث فهو حول الأندلس، وكان تأليف الكتاب من طرف عائلة ابن سعيد بعد أن " توارثوا

---

[1]: كريم عجيل حسين ووفاء محمد سحاب، **النقد عند ابن سعيد في كتابه المُغرب في حُلى المغرب**، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد2، جامعة الأنبار كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق، حزيران، 2012م، ص200.

[2]: عبد القادر بوباية وآخرون، **مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط(الجزائر) خلال العصر الوسيط**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014م، ص161.

[3]: المقري، مصدر سابق، 642/1.

[4]: ابن سعيد المغربي، مقدمة التحقيق، مصدر سابق، 9/1.

[5]: لتتبع رحلات ابن سعيد المغربي راجع مقال أحمد طاهري، **بعض عادات وتقاليد بلاد الأندلس والسودان من خلال رحلات ابن سعيد المغربي**، مجلة الإنسان والمجال، العدد2، ديسمبر 2020م، مج6، ص33.

الكتاب لمدة مائة وخمسة عشر سنة"[1] وتناوله ستة من أدباء الأندلس بالتنقيح والتكميل واحدا تلوى الأخر، وأتمّه علي بن سعيد الذي نُسب له، وكان السبب في تأليفه هو أن أبا عبد الله محمد بن إبراهيم الحجاري نزل عند جد علي بن سعيد عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد سنة (530هـ/1135م) تحت حكم المرابطين؛ فأنشده قصيدة بديعة فأكرمه وقرّبه، وأعجب بمعرفته لأدباء الأندلس فطلب منه أن يصنف له كتابا فيهم فكتب كتابا بعنوان" المسهب في غرائب المغرب"، فأخذ عبد الملك يطالعه، وبدا له أن يضيف ما غفل عنه الحجاري في كتابه، ويختصر المطوّل فيه، ثم اعتنى به ولداه أبو جعفر ومحمد، ثم موسى بن محمد[2] الذي أولاه اهتماما خاصا، وأضاف إليه ما طالعه، وسلمه إلى ابنه علي الذي أخرجه في صورته النهائية بعنوان" المُغْرب في حُلَى المَغْرِب"[3]، وقد ضاعت أجزاء كثيرة منه، واحتفظ المقري ببعض منها[4]، وتندرج كتابته ضمن الكتابة التاريخية والأدبية وحتى الجغرافية لأنه يحوي نصوصا تتحدث عن جوانب سياسية وثقافية، واجتماعية وحضارية لبلاد الأندلس من الفتح الإسلامي حتى عصر المؤلف[5].

وإلى جانب كتاب" المُغْرب في حلى المَغرب" قابله ابن سعيد بكتاب آخر بعنوان" المُشرق في حلى المَشرق" في محاولة منه لجمع تاريخ المغرب مع المشرق ككتابة عالمية عامة وجامعة، إضافة إلى مؤلفاته الكثيرة الأخرى التي تظهر سعة اطلاعه، وعلو كعبه في التأليف والكتابة خصوصا في الكتابة الأدبية[6]، وتصل مصنفاته

---

[1]: ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، 7/1.

[2]: قام موسى بتنقيح الكتاب وإكماله، ويقول عنه ابنه في ترجمته " لولا أنه والدي لأطنبت في ذكره، ووفيته حق قدره، وله في هذا الكتاب الحظ الأوفر ". ابن سعيد، مصدر سابق، 4/1.

[3]: نفسه، 2/1.

[4]: ما أورده المقري في " **نفح الطيب**" من أشعار أندلسية يعتبر تلخيص لما كتبه مؤلفو " المُغرب" عن شعراء الأندلس دون أن يعيّن مصدرها من "المُغرب" في غالب النقولات. ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، مقدمة التحقيق، 19/1.

[5]: حول جوانب اجتماعية في كتاب ابن سعيد المغربي راجع مقال: مليكة عدالة، **ظاهرة الانحراف من خلال كتاب المُغرب في حُلى المَغرب"** لابن سعيد المغربي، مجلة عصور، العدد 2، مج 19، ص146.

[6]: للاطلاع على أهم المصنفات الأدبية لابن سعيد المغربي ومنهج تأليفها راجع: عزلاوي محمد، **كتابات ابن سعيد في التراجم والاختيارات الأدبية**، مجلة مقاربات، العدد 1، مج 6، ص من 127 إلى 136.

مصنفاته إلى ستة وأربعين مؤلفا بقي منها القليل محفوظا وضاع جلها نذكر منها:" الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد" أرّخ فيه لأسرته، و" لذة الأحلام في تاريخ أمم الأعاجم"، و"كنوز المطالب في آل أبي طالب"، و" الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة"[1]، و" المقتطف في أزاهير الطرف"[2]، و"كتاب المحلى بالأشعار"، و"ريحانة الأدب في المحاضرة"، و"المرقصات والمطربات"[3]، و" رايات المبرزين وغايات المميزين"[4]، و" حيا المحل وجنا النحل"، و" رسالة الغراميات"، و" كتاب ملوك الشعر"، و" عُدَّة المستنجز وعقلة المستوفز"[5]، ويضيف المقري عنوانا آخر هو" المزمة"[6].

ترجع أهمية كتاب ابن سعيد حول المغرب في كونه استطاع إعادة ترتيب تاريخ العالم الإسلامي وفق مقاربة مختلفة عن المؤرخين السابقين، فقد اهتم بتاريخ المغرب والأندلس، كان نصيب الأندلس أكبر، واتبع منهجا ذكره في مقدمة كتابه "المُشْرِق" حين قال:" كل من التصنيفين مرتب على البلاد، متى ذُكِر بلد ذَكَرت كُورهُ، وأتكلم عليه وعلى كل كورة منه"[7]، فابن سعيد كان كلما تحدث عن بلد ذكر ما يحيط يحيط به، ومن بناه، ومن تداول عليه من أبناء الملوك، ثم يتحدث عن الطبقات في شكل متتال كطبقة الأمراء، وطبقة الرؤساء، وطبقة العلماء، وطبقة الشعراء[8] الذين لهم لهم نظم، أما طبقة اللفيف فهم الذين ليس لهم نظم، وقد ساق فيها نوادر ومضحكات[9].

[1]: نشر بدار المعارف بمصر بتحقيق إبراهيم الأبياري، 1998م.

[2]: نشر بالهيئة العامة للقصور الثقافة بمصر بتحقيق سيد حنفي حسنين.

[3]: نشر بدار الكتب المصرية سنة 1980م.

[4]: نشر بدار طلاس بالقاهرة بتحقيق محمد رضوان الداية سنة 1987م.

[5]: ذَكر مصنفات ابن سعيد وصنفها ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي**، ط1، دار التراث الإسلامي، بيروت، ص113.

[6]: ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، مقدمة المحقق، 8/1.

[7]: نفسه، 9/1.

[8]: عبد القادر بوباية وآخرون، مرجع سابق، ص162.

[9]: ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص9.

وُسِمَ القسم الخاص بالأندلس بـ" كتاب وشي الطُّرُس في حلى جزيرة الأندلس"، وقام ابن سعيد بتقسيم الأندلس بعدها إلى غرب ومَوْسطة وشرق، وأفرد لكل قسم كتابا فعنون كتاب الغرب بـ" كتاب العروس في حلى غرب الأندلس"، وسمى موسطة" كتاب الشفاه اللّعس في حلى موسطة الأندلس" أما الشرق فعنونه بـ" كتاب الأنس في حلى شرق الأندلس"، ثم قام بتقسيم الكتب الثلاثة إلى ممالكه، وكل مملكة إلى كوره[1].

استمد ابن سعيد مادة كتابه من المسامرات والمشاهدات والروايات الشفوية، والمؤلفات التي صنفت حول تاريخ الأندلس وأدبائها[2]، ونظرا لاختلاف معلوماته التي ساق فيها أخبارا جغرافية وتاريخية وأدبية، فقد جاءت مصادره متنوعة تنوعا كبيرا، فالمشاهدة كانت في المعلومات الجغرافية عن كور الأندلس وخصوصيات كل ناحية، ويبدو أن الحجاري هو فاتح هذا الباب وله فيه الكم الأكبر، ويعقبه علي بن موسى الذي اهتم بالمتنزهات وما دُوِّن عنها من أشعار وموشحات[3].

وبخصوص الرواية الشفوية في كتاب" المُغْرِب" فقد كانت حاضرة بقوّة إذ تداول عليه ستة مؤلفين في مائة وخمس عشرة سنة متتالية يترجمون لمعاصريهم خلال القرنين(6-7هـ/12-13م)، ويروون عنهم الأشعار والموشحات والأزجال، وقد أضافت الرواية الشفوية والمشاهدة إلى النص المدوّن صورا ومشاهد متفردة عن حالة البلدان أو ساستها وعلمائها من وزراء وكتاب وشعراء[4].

الرافد الثالث الذي استند إليه ابن سعيد في تدوين أخبار مؤلفه المصنفات المدونة في عصره، وهي كثيرة، وأهمها كتاب " المسهب في غرائب المغرب" للحجاري، وكتب أحمد بن موسى الرازي (ت344هـ/955م)، وكتاب" فرحة الأنفس" لابن غالب، وكتاب " المسالك والممالك" و كتاب" المقتبس" و" المتين" لابن حيان

---

[1]: ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص10.

[2]: عبد القادر بوباية وآخرون، مرجع سابق، ص162.

[3]: ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص12.

[4]: نفسه، ص14.

(ت469هـ/1076م)، و" تاريخ إفريقية والمغرب" للرقيق القيرواني، و" نقط العروس في تواريخ الخلفاء" لابن حزم (ت456هـ/1063م)، و" تاريخ غرناطة" للملاحي (ت619هـ/1222م)، أما كتب التراجم فنجد "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي (ت400هـ/1009م)، و" جذوة المقتبس" (ت488هـ/1094م)، و" الصلة" لابن بشكوال (ت578هـ/1182م)، و" كتاب القضاة" لابن حيان، و" كتاب القضاة" لابن عبد البر، وفي باب الأزجال يرجع إلى" ملح الزجالين" للحسن بن أبي نصر الدباغ، ودواوين بعض الشعراء مثل ابن الزقاق، والرصافي[1].

لم ينقل ابن سعيد آراء المؤرخين على نسق واحد لاختلاف نظرته إلى الذين ترجم لهم من فئات المجتمع الأندلسي بحسب تخصصاتهم ووظائفهم، فالأمير في نظره يختلف عن الطبيب وغيره، وكان منهج ابن سعيد واضحا في تقديم تقويمه وأحكامه على المترجمين ما تعلق بشخصهم أو مما نقله عن مؤرخين سابقين له، وقد أنصف في بيان الأوصاف من الجهتين[2].

لقد حرص ابن سعيد على النقد الإيجابي أو السلبي لمن ترجم لهم من معاصريه بعد أن توسع في الترجمة لهم، أمّا الذين لم يعاصرهم فإنه نقل آراء المؤرخين الثقاة المعاصرين لهم، وراعى الوصف المناسب لكل مترجم له، فكما أنه كان شديدا مع الحكام والأمراء، ركّز عند فئة العلماء على بيان معرفتهم وبراعتهم، وحول الشعراء والأدباء تحدث عن الموهبة والإبداع، وهكذا اختص كل فئة من المترجمين بما يناسبهم من أوصاف ونقد طال حتى أصحاب المناصب المهمة في الدولة كالقضاة، وهذه الأمانة من ابن سعيد أعطت لكتابه قيمة ومكانة ضمن كتب التراجم المغربية والأندلسية[3]، وشمل النقد عند ابن سعيد أيضا الشعر والشعراء سلبا وإيجابا ممن عاصرهم، أو الذين نقل معلوماتهم عن مؤرخين سابقين له في نقد الشعر كقوله في ترجمة أبي عبد الله محمد بن غالب الرصافي:" وما تقف عليه من

[1]: ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص16.

[2]: كريم عجيل حسين؛ ووفاء محمد سحاب، مرجع سابق، ص201.

[3]: نفسه، ص202-203.

شعر، مما يدلك على عظم قدره"، وبخصوص القطع النثرية يطبق ابن سعيد نفس المنهج الذي أنزله على الشعر حرصا منه على النقد لكل من ترجم لهم دون أن يسيء أو يقصي مخالفيه في الرأي أو المذهب[1].

يُعدّ كتاب "المُغرب في حلى المَغرب" من أهم مصنفات ابن سعيد التي جمع فيها بين العلم والتاريخ والأدب والشعر حيث ذكر معلومات جديدة عن الشعر والشعراء بالأندلس، والجدّ والهزل، بأسلوب ممتع وسلس، وثري لغويا وأدبيا، ودقيق من حيث الوصف والتصوير، وترجم لأعلام الأندلس خلال العصر الأموي إلى نهاية الدولة الموحدية[2].

وبهذا يكون ابن سعيد أحد المدونيين الموسوعيين نتيجة مصنفاته المتنوعة التي جعلت منه مؤرخا وأديبا وشاعرا وجغرافيا، وقد تفرد في ذكر أخبار ومعلومات عن شعراء وأدباء أندلسيين، وذكر جانبا من حياتهم لا نجده عند غيره من نظرائه ومعاصريه.

وإن كانت تجربة ابن سعيد مبكرة في التفرد بتدوين تاريخي للمغرب الإسلامي في سياقاته المتعددة إلا أن تجربته في كتابة تاريخ مشرقي " المشرق في حلي المشرق" يمكن اعتباره سابقة لم تميز المؤرخين المغاربة، وهذا راجع إلى العدد الكبير من المدونين الذين اعتنوا بتاريخ عالمي للمشرق الإسلامي ككتاب التاريخ العام للعالم الإسلامي الذين – سبق ذكرهم- بحيث أنه حاول تدوين تاريخ جامع وحنيني لماضي الأمّة الإسلامية في ظل تفكك وحدة دار الإسلام، وتراجع قوة الخلافة العباسية التي ترامت أراضيها، وفقدت السيطرة عن التحكم في مجالها منذ عصر نفوذ الأتراك والفرس، وتحكمهم في السلطة بعد الانقسام إلى كيانات متناحرة، وكتاب ابن سعيد الذي عنونه" بالمُشرق في حُلى المشرق" هو محاولة لبث روح النهضة في الخلافة الإسلامية التي ألغيت فعليا بعد الاجتياح المغولي للعالم الإسلامي، وسقوط العاصمة بغداد سنة (656هـ/1257م).

---

[1]: كريم عجيل حسين؛ ووفاء محمد سحاب، مرجع سابق، 203.

[2]: عبد القادر بوباية وآخرون، مرجع سابق، ص162.

2- المُشرِق في حُلى المَشرق، والتفرد المغاربي في كتابة تاريخ عالمي للمشرق:

يعود اهتمام أهل المغرب بالمشرق إلى أصول قديمة نابعة من فكرة الشرق والغرب والعلاقة بينهما، فأهل المغرب اهتموا بأخبار المشرق الذي مثل دار الإسلام، وتظهر فكرة الشرق والغرب أيضا مع حركة الفتح الإسلامي الذي انطلق ناحية الشرق بداية بالعراق وما وراءها، وباتجاه الغرب بداية بمصر وما وراءها، وكثيرا ما نجد دراسات اهتمت بعلاقة المشرق بالمغرب خصوصا في تاريخ الحضارة الإسلامية نتيجة الرحلات العلمية بينهما أو رحلات الحج، أو هجرات القبائل بحثا عن الاستقرار وتأسيس كيانات سياسية ومذهبية وغيرها، ويبدو أن ابن سعيد المغربي قد أقام مشروعه الجامع انطلاقا من فكرة تقسيم العالم الإسلامي إلى مشرق ومغرب، والتفاعل بينهما لذا أسس مشروعه وضمنه كتابه" فلك الأرب المحيط بحُلى لسان العرب"[1] والتي يحوي كتابيه " المُشرق في حُلى المَشرق"[2]، و"المُغرب في حُلى المغرب" الذي حقق ونشر، وبقي كتاب" المُشرق" دون تحقيق ونشر بالرغم من أهميته في مقابلة شقّه "كتاب "المُغرب" أو بالنظر للكتابة المغربية حول تاريخ المشرق ورجاله[3].

وقد ألفه علي بن موسى تنفيذا لمشروع والده الذي وضع خطته، ليقابله لكتابة " المُغرب"، واعتمد في ذلك على خزائن الكتب الموجودة لدى العلماء والملوك الذين تربطه بهم علاقات ودية، واستمر في التأليف إلى أن توفي، فأكمل المشروع ولده

---

[1]: كتبه علي بن موسى لوالي جزيرة ابن عمر محي الدين محمد بن سعيد بن علي الجزري (ت 651هـ/1243م)، وقد ضاع الجزء الأول منه وهو "المُشرق في حُلى المَشرق"، والذي سمي أيضا " المُشرق في أخبار أهل المَشرق"

[2]: مخطوط نادر بالمكتبة التيمورية، بدار الكتب المصرية، القاهرة، رقم: 2532، وهي النسخة الوحيدة الباقية في سفرين، ومصورة على ثلاثة أجزاء، الجزء الأول تحت رقم: 27963.، والجزء الثاني برقم: 34417. والجزاء الثالث رقمه: 35934.

[3]: ماجد مصطفى إبراهيم الصعيدي، **المُشرق في حُلى المَشرق: قراءة في منهجه وتحليل لمصادره**، صحيفة الألسن: سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، العدد 20، جامعة عين شمس، كلية الألسن، القاهرة، يناير، 2004م، ص215.

علي بن موسى الذي استغرق وقتا في ترتيبه إلى أن أتمّه، ويبدو أنّ خطة تأليف " المُغرب" تماثلها طريقة كتابة "المُشرق" بترتيب ذكر البلد وكوره، انطلاقا من موقعه في الإقليم وتاريخ بنائه، وجغرافيته، وحكامه الذين تعاقبوا على حكمه، ثم طبقات مجتمعه بداية بالأمراء، والرؤساء ثم العلماء، وتليها طبقة الشعراء واللفيف الذين ليس لهم نظم يُذكر، وهذا في كامل مؤلف "المُشرق" الذي لا يُعرف عدد مجلداته التي بقي منها سفرين مخطوطين فقط[1] بحيث يشكل الجزء الأول المصور من كتاب "المُشرق" السفر الأوّل، فيم يحوي الجزءان الثاني والثالث السفر الثاني من الكتاب.

يحوي السفر الأول من كتاب المُشرق" على مائة ورقة في مجموع ثلاثمائة وعشر صفحات، ويبدأ بخطبة الكتاب ومقدمة عن الأرض والبحار والأقاليم، وبعدها ينتقل للحديث عن تقسيم المشرق إلى ثمانية أقسام، ويخصص القسم الأول لأخبار جزيرة العرب وتاريخ الأنبياء عليهم السلام، أما السفر الثاني ففيه مائة وست وأربعون ورقة جاءت في مائتين واثنان وتسعون صفحة تحوي حديثا عن طبقات مكة المكرمة، ويبدأ بالخلفاء الراشدين إلى خلافة عبد الله بن الزبير، ومن خلال نهاية السفر الثاني يفهم أن النسخة المخطوطة الباقية هي بخط ابن سعيد، وكان قد كتبها بالإسكندرية أثناء إقامته بمصر ما بين (640-645هـ/1242-1247م) وهي النسخة الوحيدة في العالم، والباقية من مؤلف ابن سعيد[2].

تحدث ابن سعيد في خطبة الكتاب عن الأدب وفضله، ومنزلة الأدباء عند الحكام والملوك، ويبين خلال ذلك حبّه ولعه بالأدب، وتعلقه بدراسته متقفيا أثر أجداده" وإني لم أزل مذ ذقت حلاوة الأدب وأنا كلف به كلف ابن أبي دؤاد باعتزاله، وأعتني بتحصيله اعتناء ابن الجلاح بما له لأصل في طلبه النهار بالليل..."[3]، ثم ينتقل للحديث عن أصل فكرة الكتاب وبداية تأليفه بكتاب" المُشرق" ثمّ يتبعه بكتاب "

[1]: ما جد الصعيدي، مرجع سابق، ص231-232.

[2]: نفسه، ص236-237-238.

[3]: نفسه، ص241.

المُغرب"، وقد اكتملت الفكرة التي كانت مقتصرة على المغرب بعد إضافة كتاب حول المشرق، واكتمل المشروع على يد علي بن سعيد الذي قدمه للقاضي جمال الدين أبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن سعيد، وبهذا يكون الوزير محي الدين بن ندى الجزري ليس أول من قُدم إليه كتاب" المُشرق"، وقد جمع ابن سعيد مادة كتابه، واعتمد على مصادر كلها من مصر بعد أن أخرج النسخة في مدينة الإسكندرية، ولا شك في أن ذلك يكشف عن المستوى الثقافي الذي كانت تعيشه الإسكندرية وغنى مكتباتها بالكتب والمصادر[1].

يخصص ابن سعيد مقدمة كتابه للحديث عن جغرافية العام الطبيعية، وينقل نصوصا مطابقة لأصل المصدر الذي يأخذ عنه، وهو رسائل إخوان الصفا في هذه المقدمة، ومن كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي"، وتترتب أقسام الكتاب إلى ثمانية، القسم الأول حول جزيرة العرب، والثاني في العراق وبلاد فارس، والثالث حول كور الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر، والخامس في بلاد الروم وأرمينية، والسادس في إقليم الديلم وأذربيجان وطبرستان وجرجان، أما القسم السابع ففي سائر بلاد العجم، والقسم الأخير في السند والهند[2].

لقد اعتمد ابن سعيد على جملة من المصادر لتدوين كتابه "المُشرق" ممثلة في كتب التاريخ، والسير والطبقات، وكتب الحديث والأدب والشعر واللغة، ومن بينها:

المؤلف	المصدر
القاضي أبو الوليد الأزرقي الغساني	أخبار مكّة
ابن عبد البر القرطبي	الاستيعاب في معرفة الأصحاب، والأنبار، والفصل في أنساب العرب والعجم
ابن قتيبة	المعارف
أحمد بن فارس القزويني	مجمل اللغة
عبد الوهاب	المكتفى في صفة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

[1]: ما جد الصعيدي، مرجع سابق، ص243-244-245.

[2]: نفسه، ص247.

القاضي عياض	الشفا بتعريف حقوق المصطفى (صلى الله عليه وسلم)
أبو المنصور عبد الملك بن محمد الثعالبي	التمثيل والمحاضرة
أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري	زهر الآداب وثمر الألباب
ابن عبد ربه الأندلسي	يتيمة النسب

من خلال المصادر التي اعتمد عليها ابن سعيد المغربي يتضح لنا أنه تأثر بطريقة تدوين المدرسة المشرقية، فهو لم يخرج عنها، خاصة وأنه اعتمد على أمهات المدونات. على الرغم من أن محاولة ابن سعيد المغربي في تدوين تاريخ عام للمشرق والمغرب اعتمد على طريقة جديدة إلا أنه بقي نموذجا أوليا للمؤرخين بعده ، أو من الذين عاصروه من المغاربة، وتبقى تجربته لها خصوصيتها رغم إتباعها لتقاليد كلاسيكية.

وقد حرص ابن سعيد في نقل أخبار الصحابة - رضوان الله عليهم- على الرجوع لابن عبد البر، وحول تاريخ الأنبياء اعتمد كتاب ابن قتيبة، وفي تتبع أخبار الغرب الإسلامي نقل عن القاضي عياض والحصري وابن عبد البر، وربط نصوص مصادره جيدا كونه ينقل النصوص حرفيا وهذا لا يجعله مجرد ناقل، وإنما سعى لبعث مشروع جامع وأصيل كرؤية حضارية غير مسبوقة، وتجربة تدوينية جديدة تتمثل في ثنائية الشرق والغرب وربط الجغرافيا بالتاريخ، وهي فكرة تحققت على يد المسلمين من خلال ربط الشرق بالغرب انطلاقا من وحدة الأمة، وقد فشلت محاولات عظيمة في التاريخ حاولت ربط المجالين ماديا، غير أن الحضارة الإسلامية نجحت في الجمع بينهما حضاريا لتجاوز الحدود الفكرية بين أبناء الأمة الواحدة ومن خلال التجربة الإنسانية، ومن هذا المنطلق كتب ابن سعيد كتابه الضخم الذي يحمل في ثناياه تاريخا للمشرق وآخر للمغرب، ولا شك في أن المدلول الحضاري لكتاب ابن سعيد فريد، وجدير بالعناية والاهتمام[1].

وبعد كتابات ابن سعيد المغربي وفي نفس الفترة تقريبا يمكن استعراض نموذج آخر للكتابة التاريخية المغاربية الجامعة التي كانت أكثر تميزا عن سابقتها

[1]: ما جد الصعيدي، مرجع سابق، ص248-249.

بحيث عمل صاحبها وهو ابن عذارى المراكشي (ت712هـ/1312م)، على تقديم نموذج فريد ومختلف عن سابقيه رغم غياب المعلومات عن نشأته وتكوينه التاريخي، فابن عذارى استطاع أن يدوّن تاريخ السلالات الحاكمة ما جعله يطرح مشروع التاريخ الجامع للعالم الإسلامي في مصنفين منفصلين الأول" البيان المُغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب " والثاني" البيان المُشرق في أخبار المَشرق". وقد اعتبر ابن عذارى أن تاريخ المغرب ما هو إلا امتداد لتاريخ المشرق.

المبحث الثاني: التاريخ العالمي من منظور ابن عذاري المراكشي:

مثّل ابن عذاري المراكشي في الكتابة المغربية اتجاه الكتابة الجامعة في مؤلفه المتميز" البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب"، **والمتتبع** لحياة ابن عذاري المراكشي في مختلف المصنفات التي تحدثت عنه؛ يجد ندرة وشحا في الأخبار التي تسوق تفاصيل حياته، وعلى الرغم من مشقة البحث والتنقيب التي لاقاها باحثون ومحققون في هذا الباب؛ إلاّ أن جهودهم لم تخلص إلى جمع مادة يمكن الوقوف من خلالها على ترجمة وافية وشاملة للمؤلف.

فَكُتب التراجم باعتبارها نموذجا يعنى بذكر حياة الأعلام بكل تفاصيلها، سوف يغيب عنها ابن عذاري المراكشي سوى بعض المقتضبات والإشارات لاسمه أو كنيته؛ أو مؤلفه خصوصا المصادر التي عاصرته، وما تلاها من مؤلفات أخرى حيث أنها لم تذكر بيئته ولا نشأته، ولا مراحل تكوينه وتدريسه أو عمله، ثم تطور فكره حتى بلوغ مرحلة الإنتاج والتأليف وإلى حين وفاته، وفي المقابل تقف هذه المصادر على حياة من دونه علما ومرتبة ومكانة، وهو ما يطرح عديد التساؤلات عن سرّ هذا الغياب، أو التغييب لشخص ابن عذاري في مصادر الحياة العلمية والتاريخية على حدّ سواء، فهو أبو العباس أحمد بن محمد(1) بن عذاري(1) المراكشي[2]، مؤرخ أندلسي

[1]: ذكر على أنه:" **أبو عبد الله، أحمد**، وقيل **محمد**، وهناك من نسبه إلى العذاري، أو مراكش دون ذكر لكنيته أو اسمه، وقيل هو صاحب كتاب البيان المغرب، **انظر**: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، 95/7، والعباس بن إبراهيم السملالي، **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، المطبعة الملكية، الرباط، 1967م، صص 284-285، الترجمة رقم، 575، وعمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414هـ، 1993م، 710/3. أما شهرته باسم

الأصل من أهل مراكش، نبغ في أواخر القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، نشأ بمدينة مراكش، وعاصر نهاية الدولة الموحدية وشطراً مهماً من العهد المريني، بدءاً بالسلطان يعقوب ونجله يوسف، وانتهاء بأبي ربيع؛ وأبي سعيد عثمان، وهذه فترة قوة واستقرار ونمو حضاري شامل، وهناك مثقفون وعلماء بارزون لهم نشاط كبير في هذه الفترة، من أمثال: مالك بن المرحل، وابن آجروم النحوي، وابن رُشَيْد المحدث الأديب، وابن بناء الرياضي. أي من كانوا في درجة شيوخه أو أقرانه. ومن ثَمَّ لم يكن ابن عذاري المراكشي بحاجة إلى رحلة خارج المغرب للدراسة في هذه الفترة بالذات، ولو أنها مرحلة مزدهرة في بلاد المغرب من حيث النشاط الثقافي والعلمي، غير أننا لا نجد ذكرا لعائلة ابن عذاري، ولا تاريخ ولادته، ولا شيوخه[3] الذين تلقى على أيديهم مختلف العلوم عبر مراحل تدرجه في التلقي والتحصيل.

أحمد بن محمد، وكنيته بأبي العباس فقد ذكر ذلك كل من أنخل جانثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955، ص249، وليفي بروفنسال، في مقدمة تحقيق الجزء الثالث من كتاب البيان المغرب.

[1]: اللقب العائلي للمؤلف، واسم شهرته "**عذاري**" موجود في الأندلس قبل المؤلف نسبة إلى عذار، والذي قد يكون نسبة إلى جدّه، وذكر هذا اللقب بكسر العين وفتح الذال"**ابن عِذاري**" أو" **ابن العِذاري**" أوبفتح العين والذال معجمة مشددة "**ابن عَذَّاري**"، **انظر:** محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث،** منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية،1،1983/66، ولسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**،ط2،مكتبة الخانجي، القاهرة،1973، 477/1، رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 710/3.

[2]: لقب مكاني لقب به ابن عذاري نسبة إلى مكان إقامته بمدينة مراكش المغربية، وهو اللقب الأشهر والأكثر التصاقا باسمه، نتيجة إقامته الطويلة بالمدينة حتى عدّ من مدينة مراكش، ولكن الكثيرين يذهبون إلى أنه أندلسي الأصل كازركلي وكحالة وغيرهم. انظر: العباس بن ابراهيم: **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، 284/4.

[3]: ذكر ابن عذاري في كتابه "**البيان المغرب** "1/.....نصان قد يفهم منهما أنه درس عند صاحب " **الذيل والتكملة** " ابن عبد الملك المراكشي، حيث قال:"**أخبرنا أبو عبد الله بن عبد الملك...**"، وقوله:" **ما أخبرني أبو عبد الله بن عبد الملك...**"، وصيغة الإخبار تعني أنه عرف ابن عبد الملك وروى عنه، وهذا الأخير كان صاحب مكانة علمية وسياسية في البلاط الموحدي، ومكانة ابن العذاري العلمية تعكس تلقيه العلم على يد كبار أعلام تلك الفترة أمثال ابن عبد الملك المراكشي وغيره. انظر: أبو عبد الله بن عبد الملك، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، 79/1.

كان ابن عذاري على درجة كبيرة من الثقافة، نتيجة مخالطته للعلماء والمفكرين في عصره، ويشير في كتابه[1] إلى مدى اهتمامه بمجالسة الأدباء والعلماء، لأن في مجالستهم ومذاكرتهم تنويرا للأفكار، وسحر للذهن. كذلك ارتكزت ثقافته على قراءات مستمرة للكتب المتوفرة في عصره ليطلع على ما أمكن من المعلومات عن أخبار الأئمة والخلفاء في المشرق والمغرب، وناظر زملاءه من العلماء الذين يشاطرونه الاهتمام ذاته، حتى عرف بشدّة ولعه في هذا المجال، الأمر الذي شجع أحد أصدقائه المقربين إليه على أن يطلب منه تأليف كتاب في هذا الموضوع، نظرا لمعرفته، وطول باعه، واطلاعه على الأصول الأولى التي تستند إليها هذه الأخبار[2].

ولا يمكن فصل هذا الاهتمام من ابن عذاري وزملائه بالثقافة والعلوم والمعرفة عن طبيعة عصرهم، فقد عاش ابن عذاري في ظل دولة بني مرين، التي حكمت المغرب بعد زوال حكم الموحِّدين سنة (668هـ/1268م)، وعرفت بتشجيعها للعلم والعلماء، واتخذت فاس عاصمة لها، وهي من أفضل مدن المغرب؛ من حيث العمران والترف، ومستوى المعيشة[3].

لهذا انتعشت مختلف العلوم النقلية والعقلية في العصر المريني، ونخص بالذكر هنا علم التاريخ لما له ارتباط بابن عذاري، حيث نبغ في هذا العصر جملة من المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ المغرب منذ الفتح الإسلامي، إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. ومنهم على سبيل المثال لا الحصر أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي المعروف بابن أبي زرع (ت741هـ/1374م)، ولسان الدين ابن أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الخطيب (ت776هـ/1374م)، وعبد

---

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، تحقيق ج.س. كولان، وإيفاريست ليفي بروفنصال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، 1/1- 2.

[2]: نفسه، 2/1.

[3]: ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، 2005م.ص316.

الرحمان بن محمد بن خلدون (ت808هـ/1405م). وقد ألف هؤلاء وغيرهم مختلف الكتب، وأهدوها إلى الحكام، باستثناء ابن عذاري كونه لم يدخل في خدمة البلاط[1].

اتفق الباحثون والمؤرخون الذين خصوا ابن عذاري المراكشي بالدراسة على أنه لا يمكن الجزم بتاريخ محدد لوفاته، لكنهم اختلفوا في السنة التي كان فيها بقيد الحياة لتقييد تاريخ تقريبي، فنجد أن كل من البغدادي[2] والزركلي[3]، ورضا كحالة[4]، ذكروا أنه توفي (695هـ/1295م)، وقال بن سودة أنه كان حيا سنة (669هـ/1270م)[5]، بينما يورد ابن عذاري في كتابه نصيين أحدهما يذكر فيه خبر مقتل الخليفة المرتضي، في آخر المائة السابعة[6]، والنص الآخر يتناول فيه خبر أولاد الخليفة المرتضي في أحداث سنة اثني عشر وسبعمائة[7]، وهذا ما يؤكد أن ابن عذاري عذاري كان بقيد الحياة حتى سنة (712هـ/1312م)، وأن وفاته متأخرة بكثير عمّا ذكره عدد من المترجمين له.

1- البيان المُغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمَغرب"، تاريخ عالمي جزئي:

لا تشير مختلف المصادر التي ترجمت لابن عذاري سوى إلى كتابه الشهير(**البيان المغرب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب**)، والذي أنهى تأليفه في عصر السلطان عثمان بن أبي يعقوب يوسف المريني (710-731هـ/1310-1331م)، ولكنه لم يقدمه فيما يبدو إلى أحد من ملوك المرينيين، على الرغم من ميله إليهم، ودعائه لهم بالنصر والتأييد[8].

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الأبياري، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م. ، ص244.

[2]: إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 138/2.

[3]: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، 95/7.

[4]: رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 710/3.

[5]: عبد القادر بن سودة المري، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م، ص87.

[6]: ابن عذاري، **البيان المغرب**، 208/1.

[7]: نفسه، ص 447.

[8]: نفسه، ص244.

ويمكن أن يكون موقف ابن عذاري بعدم تقديم كتابه إلى أي من ملوك عصره، أنه لم يكن شأن غيره من المؤرخين الذين حفل بهم ذلك العصر، يخالطهم أو يتقرب إليهم. ويدل على ذلك أيضا الغموض الذي يحيط به وبنشأته، وحتى باسمه. فلو كان مشهورا على مستوى العلاقات الاجتماعية العامة لطبقة المثقفين الذين يترددون على بلاط الحكام، لما جهلنا عنه أشياء كثيرة تتصل بنسبه؛ وبحياته الخاصة. ولكنّه على ما يبدو، كان قانعا بحياته المنعزلة في منطقة مراكش، يحيط به أصدقاؤه ومعارفه من الذين يشاركونه ميوله الثقافية. ومن المحتمل أنه كان يتمتع بمستوى مادي جيّد، أتاح له التفرغ للعلم والثقافة والتدوين، دون أن يفكر بتولي منصب ما، أو بالتقرب والتزلف إلى السلطة للحصول على ما ييسر له سبل الحياة[1].

يعدّ كتاب البيان المغرب من المصادر العامة والنادرة التي تؤرخ للغرب الإسلامي لبلوغ صاحبه الذروة في الكتابة التاريخية، وهو من أعظم المراجع وأوثقها في موضوعه[2]؛ لكنه ظل مغمورا، وفي طيّ النسيان مفرق الأوصال والنسخ في جهات عديدة من العالم، إذ لم ينقل عنه غير قلة من المؤرخين كعلي ابن أبي زرع، ولسان الدين بن الخطيب، وبقيت مخطوطاته العديدة محلّ اهتمام الباحثين في تاريخ المغرب والأندلس بعد اكتشاف أول مخطوطة منه سنة (1265/ 1848م).

أما بخصوص طبعاته فإنها تعددت هي الأخرى بحسب تحقيق مخطوطات الكتاب حتى انتهت لما هو عليه الآن خمسة أجزاء، ونال كتاب ابن عذاري شهرة واسعة بين الدارسين والباحثين في تاريخ المغرب والأندلس، نظرا لقيمة مادته التاريخية ومضامينها، وقد اختار له صاحبه عنوانا ذكره في مقدمة الكتاب وهو :" البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب"[3]،

وكلمة المغرب في عنوان الكتاب يستخدمها المؤلف للدلالة على كامل المغرب الكبير، استعملها في مدلولها الواسع حيث يؤرخ لشمال إفريقية والأندلس، ويبدأ من

[1]: عبد القادر بن سودة، مرجع سابق، ص87-88.

[2]: الزركلي، **الأعلام**، 95/7.

[3]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 4/1.

الفتح الإسلامي، إلى النصف الثاني من القرن الهجري السابع، والكتاب مطبوع حسب التجزئة التالية[1]:

طبع الجزء الأول من كاتب البيان المغرب بعنوان" تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع الهجري"، والجزء الثاني بعنوان:" تاريخ الأندلس من الفتح إلى القرن الرابع الهجري"، ثم أعيد طبع الجزأين بعناية المستشرق الهولندي دوزي في ليدن، الجزء الأول طبعه سنة 1848م، والجزء الثاني كان ما بين1849م و 1851م،ثم نشر الجزآن معا من طرف المستشرقين الإنجليزي كولان، والفرنسي بروفنسال في ليدن، الجزء الأول سنة 1948م وبه 318 صفحة، والجزء الثاني سنة 1951م وبه 301 صفحة[2].

أما الجزء الثالث فقد طبع في باريس تحت عنوان:" تاريخ الأندلس من حين انقراض الدولة الأموية إلى آخر ملوك الطوائف"، سنة 1930م، بتحقيق ليفي بروفنسال الذي أضاف له قطعة موضوعية مبتورة الطرفين، ومجهولة المؤلف فجاء الجميع في 368 صفحة نصا وفهارس، ثم أعيد نشر الجزء الثالث من البيان المغرب

---

[1]: تم تحقيق كتاب البيان المغرب" من طرف بشار عواد معروف ونقل بالتفصيل العثور على قطعه وتاريخ نشرها حسب ما ذكره: نشر الهولندي ربنهارت دوزي الجزء الأول وقسما من الجزء الثاني الخاص بالأندلس إلى سنة 387هـ في السنوات (1848–1851م معتمدا على مخطوطة ليدن تحت رقم 67، وطبع الجزأين بمدينة ليدن بمقدمة مفصلة باللغة الفرنسية، وكان هناك خلط بنصوص كثيرة من كتاب" صلة تاريخ الطبري"، لعريب بن سعيد القرطبي، ثم أقدم كولان وليفي بروفنسال على إعادة نشر الجزأين في ليدن ما بين (1948–1951م) لكنهما أبقيا على زيادة دوزي، ونشر ليفي بروفنسال نصا حول دول الطوائف في باريس سنة 1930م على أنه ثالث أجزاء " البيان المغرب"، ثم عثر بروفنسال على قطعة خاصة بدولة المرابطين في المغرب والاندلس، وقام هويسي ميراندا بنشر سائرها في مجلة "هسبرس"، Hesperes سنة 1960م، ثم أعاد نشرها إحسان عباس استنادا إلى نشرة ميراندا بدار الثقافة ببيروت، وعلق عليها، وفي سنة 1960م ظهر الجزء الخاص بالموحدين بمدينة تطوان بتحقيق ميراندا وبمساهمة من الأستاذين محمد بن تاويت، ومحمد بن إبراهيم الكتاني، ثم اكتشف الأستاذ عبد القادر زمامة قطعة من تاريخ الموحدين تشمل 26 صفحة لم ترد في طبعة تطوان سنة 1960م نشرها في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد سنة 1980م، ثم أعاد نشرها في مجلة كلية الآداب والعلوم بفاس سنة 1980–1981م، العددان، 4و5. وفي سمة 1985م ظهر الجزء الكامل الخاص بالموحدين مضافة إلى القطع الجديدة التي عثر عليها بتحقيق محمد بن إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت، ومحمد زنبير، وعبد القادر زمامة. انظر: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب،** ، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م، 1/5-6-7.

[2]: محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، 1/66-67.

ومعه الجزآن الأول والثاني بعناية دار الثقافة في بيروت، حيث أضافت له قطعة تتناول تاريخ المرابطين إلى ولاية العهد لتاشفين بن علي؛ نشرت في جزء صغير بتعليق الدكتور إحسان عباس الذي ذيّل ذلك بملحقات موضوعية؛ فجاءت هذه النشرة الجديدة في أربعة أجزاء[1].

ونجد السفر الأخير من الكتاب وموضوعه عصر الموحدين إلى نهاية دولتهم، نشر بعنوان :" البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" ؛ بتطوان عام 1963م في 490 صفحة تصديرا وفهرسا بتحقيق الأستاذ أمبروسيو أويثي ميراندا الإسباني، ومساهمة الأستاذين محمد بن تاويت الطنجي، ومحمد إبراهيم الكتاني، وبهذا العنوان عرف كتاب ابن عذاري واشتهر[2].

ذكر ابن عذاري في مقدمة كتابه سبب تأليف بيانه، وهو تكليف بجمع أخبار الأئمة والخلفاء من طرف أصدقاء وفضلاء، لم يسعه رد طلبهم، أو كبح رغبتهم في إلزامه بذلك، فقد كان مضطرا للكتابة، فعزم على الاستجابة؛ وسلك مسلك الاختصار والتلخيص، وقد التزم بذلك في مفاصل كتابه بعد أن قسمه إلى مقدمة وثلاثة أجزاء:

ابتدأ في المقدمة بديباجة مشجعة بلغة بليغة ذكر فيها أهمية الاشتغال بالأخبار، ومجالسة العلماء الأخيار، واتخاذ الكتاب جليسا وأنيسا عند فقد مجالس العلماء.ثم يذكر الداعي إلى تأليف كتابه الذي جمع فيه نبذا من أخبار بلاد المغرب والأندلس معتمدا الإيجاز والاختصار؛ وهو منهج عام سلكه في عموم كتابه، والتزم تطبيقه[3].

وفي الجزء الأول من الكتاب: وقف على ذكر أخبار إفريقية من بداية الفتح زمن عثمان رضي الله عنه، ثم أخبار الولاة، والوجود الصفري والإباضي، إلى بداية الخلافة العباسية مشرقا، وظهور الأغالبة كقوة موالية لهم في المغرب، وتليها أخبار الفاطميين؛ وقبائل زناتة وصنهاجة خلفاء الفاطميين، ثم هجرة بني هلال؛ وما أحدثته في بلاد المغرب من خلخلة للأوضاع، حتى ظهور حركة الموحدين. كما ذكر في

---

[1]: محمد المنوني، مرجع سابق، 67/1.

[2]: نفسه، 67/1.

[3]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، مقدمة المحقق، 2/1.

جهات أخرى من بلاد المغرب أخبار الأدارسة وبني مدرار، وبرغواطة، وزناتة (مغراوة وبني يفرن)، وولاة الخلفاء الأمويين بالأندلس، وأخبار المغرب الأقصى الكثيرة إلى حين ابتداء اللمتونيين[1].

أما الجزء الثاني فقد عرض فيه أخبار الأندلس والجزيرة الإيبيرية، منذ بداية حركة الفتح الإسلامي، ثم قيام الخلافة الأموية، وانتقال الحكم إلى مؤسسة الحجابة التي كان يديرها العامريون، ووقوع الفتنة البربرية، إلى وقت ظهور عصر الطوائف، وحتى دخول المرابطين إلى الأندلس سنة (478هـ/1085م)[2].

وبخصوص الجزء الثالث ففيه خبر المرابطين، وملوكم في المغرب والأندلس إلى حين زوال دولتهم، ثم مراحل قيام الدولة الموحدية وأفولها، وحكم الدولة الحفصية في إفريقية، ودولة بني هود، وبني الأحمر في الأندلس، ودخول المرينيين إلى مدينة مراكش، وقيام دولتهم في بلاد المغرب والأندلس، لينتهي الكتاب عند أحداث سنة (667هـ/ 1268م)[3].

- **موارد ابن عذاري المراكشي في كتابه " البيان المُغرب":**

كتاب البيان المغرب لابن عذاري واحد من أهم المدونات التاريخية وأوسعها وأشملها - قبل تاريخ ابن خلدون- حول تاريخ الغرب الإسلامي، ويبدو أن أهمية كتاب ابن عذاري ترجع إلى تعدد روافده، وكثرة النصوص التي طبعت كتابه لمؤرخين كبار فقدت مؤلفاتهم، وآخرين لا يرد ذكرهم إلا عند ابن عذاري، ونجد أن المؤرخين الذين نقل عنهم عدد كبير حيث لم يوجد هذا العدد في مؤلفات أخرى خصوصا المصنفات الكبرى، هذا من ناحية الشكل أما توظيفه للمادة الخبرية فقد تفرد عن غيره بمنهجه؛ وبلغ أوج الكتابة التاريخية في التأريخ للمغرب والأندلس، نقدا وتفصيلا أو تلخيصا وإجمالا.

---

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، مقدمة المحقق، 2/1.

[2]: نفسه، 3/1.

[3]: نفسه، 4/1.

توصف موارد ابن عذاري بالاتساع والتنوع من حيث موضوعها ومجالها وحتى منهجها، وهو ما يتوافق مع قدرات ابن عذاري في الجمع والنقد، وعمق التكوين والدقة في الطرح، والخطة المبنية على قواعد صحيحة، وقد ذكر ابن عذاري المؤرخين الذين نقل عنهم، أو سمع منهم، وكانت نقوله ومنتخباته عديدة أبانت عن منهجه القويم في التعامل مع المصادر والأخذ عنها، وهو ما ميّز كتابته التاريخية، وجعل كتابه من أوثق المصادر التي أرخت للمغرب والأندلس في طابع عام وعالمي جزئي.

أشار ابن عذاري إلى مصادره في مقدمة كتابه فقال:" جمعت ذلك من الكتب الجليلة، مقتضبا من غير إسهاب ولا إكثار، فاقتطفت عيوبها، واقتضبت فنونها، ووصلت الحديث بالقديم، والقديم بالحديث، لأنه إذا اتصل يستظرف ويستحلى، فنقلت - والله ولي التوفيق- من تأريخ الطبري، والبكري، والرقيق، والقضاعي، ومن كتاب "الذيل" لابن شرف، ومن كتاب ابن أبي الصلت، ومن "المجموع المفترق"، ومن كتاب " بهجة النفس وروضة الأنس"، ومن كتاب" المقباس"، و" المقتبس"، و" القبس"، ومن مختصري عريب وابن حبيب، ومن" درر القلائد وغرر الفوائد"، ومن "القلائد"، و" المطمح" لابن خاقان، ومن كتاب ابن حزم، و"ذخيرة" ابن بسام، ومن " أخبار الدولة العامرية"، لابن حيان، ومن كتاب" تقصي الأنباء في سياسة الرؤساء"، ومن كتاب " الأنوار الجلية في الدولة المرابطية"، ومن " نظم الجمان في أخبار الزمان" لابن القطان، ومن كتابي الأشيري والبيذق، وكتاب يوسف الكاتب، وكتاب ابن صاحب الصلاة أبي مروان، ومن كتاب ابن رشيق، ومن كتاب وجدته أو تعليق، ومن شيوخ أخذت الأخبار الوقتية عنهم بتحقيق، والله الهادي إلى سواء الطريق"[1].

عرفنا ابن عذاري على جملة مصادره، وأبقى بعضها دون تعريف، مع أنه حريص على ذكر مظانه، والإحالة إلى أصحاب النصوص بالإشارة التي تبدو أحيانا ناقصة كأن يذكر لقب المؤلف أو كنيته أو اسم أبيه، أو نسبته لمدينة، أو ذكر الكلمة الأولى من الكتاب، ويبدو أن ذلك كان فهمه سهلا في عصر المؤلف، أو بعده بقليل لوجود

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 1/ 2-3.

المؤلفات، وأخبار أصحابه، لكن عند المتأخرين تتراكم عوائق وصعوبات تتطلب جهدا وتحقيقا، وقد تبقى مبهمة إذا غاب خبرها في كتب التراجم[1].

ويمكن عن طريق ما ذكره ابن عذاري من مصادر ذكر المجالات التي تترتب فيها موارده والمتمثلة في: المصادر: الأندلسية، والمغربية، والمشرقية، وكتب التراجم، والرواية والسماع.

أولا: المصادر الأندلسية:

تنوعت مصادر ابن عذاري المراكشي الأندلسية، خصوصا وأنّ أغلبها لم ترد عند غيره، وشملت مصادر تاريخية محضة، ومؤلفات جغرافية لكن معظمها مفقود

1- المصادر الأندلسية المفقودة:

أ- كتاب المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس لأبي مروان عبد الملك بن موسى الورّاق[2].

ب- أخبار ملوك الأندلس لأحمد بن محمد بن موسى الرازي القرطبي (ت344هـ/955م)[3].

[1]: عبد الله بن محمد علي بن حيدر علي، **كتاب البيان المغرب لابن عذاري ومنهجه**، أطروحة دكتوراه، اشراف، محمد الحبيب الهيلة، 1418-1419هـ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ص61.

[2]: ومؤلفه هو أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق، من مؤرخي القرن (06هـ/12م)، حيث عاصر الدولة المرابطية، وبدايات الدولة الموحدية، وكان حيا سنة (555هـ/1160م)، وهذا يبين بالتقريب الفترة التي عاش فيها المؤلف. انظر: علي ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م، ص200-201.

[3]: هو أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن حماد الرازي القرطبي، وأصله من الري، قدم والده محمد بن موسى الرازي إلى الأندلس سنة (249هـ/864م)، وسكن قرطبة وامتهن التجارة، وولد ولده أحمد سنة (274هـ/888م)، وتلقى العلم على علماء قرطبة، ويعد ثالث شخصية لأسرة الرازي الكبيرة التي أنجبت عددا من المؤرخين والجغرافيين حول تاريخ الأندلس، كتب كتاب" أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم"، وكتاب في" صفة قرطبة" وكاتب" أنساب مشاهير الأندلس" و" مسالك الأندلس ومراسيها"و" أعيان الموالي في الأندلس"، وقد ضاعت هذه الكتب كلها إلا قطعة في "صفة الأندلس" التي ترجمت للإسبانية ونشرت سنة 1840م.انظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 95/1، عبدا الواحد ذنون طه، **ابن عذاري المراكشي شيخ مؤرخي المغرب العربي**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2005م، ص74-75-76-78.

ت- كتاب درر القلائد وغرر الفوائد" لأبي عامر السالمي (ت559هـ/1164م)[1].

ث- كتاب: "المغرب في محاسن أهل المغرب" لليسع بن عيسى الغافقي(ت595هـ/1198م) [2].

ج-كتاب: العبر لابن أبي فياض (ت459هـ/1066م)[3].

ح- كتاب: الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية، وتقصي الأنباء في سياسة الرؤساء، لأبي بكر بن الصيرفي (ت 570هـ/1174م)[4].

---

[1]: هو أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوي السالمي الطرطوشي، من أهل طرطوشة، وأصله من مدينة سالم ولهذا سمي كذلك، يكنى بأبي عامر، مؤرخ وفقيه عمر طويلا بمرسية، وكتب فيها للأمير محمد بن سعد بن مردنيش توفي سنة (559هـ/1164م)، له مؤلفات في اللغة والأدب والشعر والتاريخ ، من مؤلفاته " درر القلائد وغرر الفوائد" وهو أكبر كتبه، وذكر المستشرق الانجليزي فرانز روزنتال أن العنوان الكامل للكتاب هو:" **درر القلائد وغرر الفوائد في أخبار الأندلس وأمرائها وطبقات علمائها وشعرائها**" انظر فرانز روزنتال، **علم التاريخ عند المسلمين**، ص619-620، محمد علي دبور، **ابن عذاري المراكشي ذاكرة الفكرة التاريخي بالغرب الإسلامي**، ط1، دار المقتبس، بيروت، 1439هـ/2018م، ص144-145.

[2]: ذكر بعنوان:" **المعرب في آداب المغرب**" عند ابن سعيد الأندلسي، **المغرب في حلى المغرب**، 88/2، الترجمة رقم، 405، وبعنوان:" **المعرب عن محاسن أهل المغرب**" عند شمس الدين الذهبي، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، تحقيق طيار التي فولاج، سلسلة عيون التراث الإسلامي، اسطنبول، 1995م، 1045/3، وبعنوان:" **المُغْرِب في محاسن المغرب**" عند العباس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، 277/10، وذكره المستشرق الإسباني" آنخل جونثالث بالنثيا" بنفس العنوان، وذكره حجي خليفة، **كشف الظنون**، 1747/2، بعنوان" **المغرب في تاريخ المغرب**" وكذلك ابن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ص109، وقد نقل عنه العماد الأصفهاني الكاتب، **خريدة العصر وجريدة العصر**، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م، 173/1، 208، 401/3، 429، 440.

[3]: هو أبو بكر أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفياض، ويعرف هذا المؤرخ بابن الغشاء وهو أندلسي الأصل، ولد في مدينة إستجة في حدود سنة (375هـ/986م أو 379هـ/990م)، وعاش في مدينة المرية وفيها نشأ وتعلم، وتوفي بها سنة (459هـ/1066م)، وكتابه أشار إليه المؤرخون بأسماء عديدة، فقال ابن حزم: اسمه العبر، وقال ابن بشكوال: له (تأليف من الخبر والتاريخ)، وابن الأبار يذكره باسم" العبر"، وسماه محمد بن علي بن الشباط المصري (ت681هـ/1282م) بـ" كتاب العبرة" . ذكره ابن عذاري يذكره باسم القاضي ابن أبي الفياض . انظر: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 128/2. ذنون طه، مرجع سابق، ص91.

[4]: هو يحي بن محمد بن يوسف الأنصاري، يكنى بأبي بكر، من أهل غرناطة ولد سنة (467هـ/1074م)، وذكر أنه توفي بغرناطة، وقيل بأوريولة من أعمال مرسية، في حدود سنة (570هـ/1174م)، وهو من كبار علماء غرناطة. برع في كثير من مجالات المعرفة كالآداب واللغات والفقه والتاريخ، وكان من الشعراء، أثنى عليه ابن خلدون، وابن الخطيب، الذي

خ-كتاب: البيان الواضح في الملم الفادح لابن علقمة الصدفي البلنسي (ت 509هـ/1115م)[1].

د- كتاب: الدولة العامرية لابن حيان القرطبي (469هـ/1076م)[2].

ذ- كتاب: أبي العباس العذري (ت478هـ/1085م)[3]. نقل ابن عذاري المراكشي

ر- كتاب: تاريخ ابن أبي الصلت (529هـ/1134م)[4].

ز- كتاب: مختصر تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي (ت 370هـ/980م)[5].

أفرد له نصا مهما لشخصيته الأدبية وما يتميز به من صفات، اشتهر ابن الصيرفي بكونه واحدا من كبار رجالات الدولة المرابطية وكاتبا لأمرائها . محمد دبور، مرجع سابق، ص158-159.

[1]: هو أبو عبد الله محمد بن خلف بن حسين بن إسماعيل الصدفي، المعروف بابن علقمة. ولد في بلنسية بالأندلس، وفيها نشأ وتعلم واشتغل في الدواوين، ونبغ كونه مؤرخا، وسجل أخبار بلده بلنسية في كتابه:" البيان الواضح في الملم الفادح"، وقد أشار اليه ابن الخطيب ب:" تاريخ بلنسية" لابن علقمة، وذكره حاجي خليفة بعنون:" تاريخ بلنسية من بلاد الأندلس". توفي ابن علقمة سنة (509هـ/1116م) انظر: ذنون طه، مرجع سابق، ص123-124.

[2]: هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي، مولى الأمير عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، من أهل قرطبة، ومن أبرز مؤرخي الأندلس لتوظيفه منهج نقدي أظهر حسه التاريخي الكبير فكان أعظم مؤرخ في العصور الوسطى على الصعيدين الإسلامي والمسيحي، وله من الكتب:" المقتبس"، و" أخبار الدولة العامرية"، و" المتين" و، " البطشة الكبرى"، ولم يصل من هذه المؤلفات سوى أجزء وقطه من كتاب" المقتبس". توفي ابن حيان سنة (469هـ/1076م). انظر: ذنون طه، مرجع سابق، ص94-95.

[3]: هو أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن فلذان بن عمران بن منيب بن زغيبة بن قطبة العذري، ويعرف بابن الدلائي، نسبة إلى دلاية إحدى قرى المرية، وقد ولد بها سنة (393هـ/1085م)، وتوفي سنة 478هـ/1085م)، وقد نشر الباحث عبد القادر الأهواني قطعة منه في مدريد(مطبعة معهد الدراسات الإسلامية) سنة 1965م تمثل في الجزء السابع من مؤلفه الجغرافي تحت عنوان:" نصوص عن الأندلس : قطعة من ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، وفي سنة 1966م ترجم المستشرق الإسباني فرناندو دي لاجرانخا هذه القطعة إلى اللغة الإسبانية، Fernando dela Grandja/ La marca superior en la obra de la – udri- Zragoza-1966. انظر: محمد دبور، مرجع سابق، ص179-180.

[4]: هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشبيلي المكنى " بـ أبي الصلت الأندلسي". صاحب في المهدية الأمراء الصنهاجيين، وقصد مصر رسولا فسجن في القاهرة في خزانة البنود، وكان فيها خزائن منوعة للكتب، حث أقام بها نحو عشرين سنة، فخرج وقد ألم بمختلف العلوم، ثم استقر بإفريقية، ثم المهدية، وعظم ذكره عند الملوك، وتوفي بعدها سنة (529هـ/1134م) بالمهدية، ودفن بالمنستير.انظر: محمد دبور، مرجع سابق، ص172-173.

[5]: هو عريب بن سعد القرطبي، كان أديبا وشاعرا، ومؤرخا وعالما بالنحو واللغة، كما أنه كان طبيبا، ومن العلماء الموسوعيين في القرن (4هـ/10م)، ترجم له ابن عبد الملك ترجمة مطولة، وذكر بعض مؤلفاته منها **تاريخه** الذي اختصره من تاريخ الطبري، و: أخبار إفريقية والأندلس"، وكتاب" الأنوار"، وكتاب في " خلق الإنسان وتدبير الأطفال"، وقد تقلد مناصب إدارية في بلاد بني أمية، ككاتب للحكم المستنصر، ثم خازن للسلاح أيام الحاجب المنصور بن أبي

س- كتاب: تاريخ أبي بكر محمد بن عيسى بن مُزَين (ت470هـ/1078م)[1].

ش- كتاب: تاريخ ابن عون الله القرطبي (ت441هـ/1039م)[2].

ص- كتاب: المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (487هـ/1094م)[3].

ض- كتاب: تاريخ الموحدين لأبي الحجاج يوسف بن عمر الكاتب (ت ق7هـ/13م)[4].

ط- كتاب: المسالك للإشبيلي[5].

ظ- كتاب ابن مسعود[6].

ع- كتاب أخبار الرؤساء بالأندلس.

غ- كتاب: بهجة النفس وروضة الأنس.

ف- كتاب الاقتضاب.

عامر. توفي في حدود سنة (370هـ/980م). انظر: ذنون طه، مرجع سابق، ص84-85. ابن عذاري المراكشي، قسم الموحدين، ص178- 179.

[1]: هو أبو بكر محمد بن عيسى محمد بن سعيد ابن مزين، مؤرخ وفقيه وأديب أندلسي ينتمي إلى أسرة بني مزين المعروفة بالأندلس (أكشونبة جنوب البرتغال). انظر: ذنون طه، مرجع سابق، ص109-110.

[2]: هو أبو المطرف عبد الرحمان بن إبراهيم بن محمد بن عون الله بن حدير، من أهل قرطبة ولد سنة (357هـ/967م)، ثم رحل إلى المشرق فقرأ على كثير من الشيوخ، ثم عاد إلى قرطبة وأصبح أحد العدول، وكان فاضلا ناسكا ورعا زاهدا صدوقا، من بيت علم وشرف، ولي إمامة مسجد عبد الله البلنسي وتوفي سنة (441هـ/1049م). انظر: محمد دبور، مرجع سابق، ص183.

[3]: هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري، من أهل شلطيش غربي إشبيلية، وسكن قرطبة ، وكان من أهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بالأنساب والأخبار، اهتم بالكتب جمعا وصيانة، وهو من بيت شرف وإمارة، ومن العماء الموسوعيين الذين أنجبتهم الأندلس ولد سنة (405هـ/1014م)، وتوفي بقرطبة (487هـ/1094م). انظر: محمد دبور، مرجع سابق، ص184- 185.

[4]: أبو الحجاج يوسف بن عمر الأموي الإشبيلي، اشتهر بالكاتب، وكان أحد الكتاب الملازمين للخليفة الموحدي يعقوب المنصور، ومن أكبر المؤرخين لدولته، وقد عايش الاحداث التي أرخ لها وساهم في صناعتها، كانت له حظوة في البلاط الموحدي حيث نال ثقتهم وشغل مناصب امة، في الأعمال المخزنية بإشبيلية، ومسؤولا عن الإدارة، ثم عذل واتهم بأخذ أموال ولكن تم تبرأته بعد ذلك واعيد له ما أخذ منه، وكان كتابه الذي ألفه عن والد المنصور أحد أسباب خلاصه، ثم توفي في أوائل (ق 7هـ/13م). انظر: محمد دبور، مرجع سابق، ص189- 190.

[5]: ذكره ابن عذاري باسم الإشبيلي ولا يعلم عنه شيء.

[6]: ذكره ابن عذاري، ولم يذكر عنوان كتابه، كما أننا لا نعرف عن المؤلف شيئا يذكر.

2- المصادر المطبوعة.

ق-مختصر ابن حبيب (ت238هـ/852م)[1].

ك-كتاب: ابن حزم الأندلسي (456هـ/1064م)[2].

ل-كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي (ت463هـ/1070م)[3].

م- كتاب: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لأبي عبد الله الحميدي (488هـ/1095م)[4].

ن-كتاب" الصلة لابن بشكوال (ت578هـ/1182م)[5].

---

[1]: هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة، بن عباس بن مرداس السلمي، أصبه من طليطلة، فانتقل جده إلى قرطبة، وانتقل أبوه وأخوته في نتنة الربض إلى إلبيرة ولد سنة (174هـ/790م)، وتعلم على يد كبار علماء عصره، رحل إلى المشرق للحج وطلب العلم، ثم عاد إلى الأندلس سنة (216هـ/831م)، وقد جمع علما كثيرا، فنال شهرة كبيرة وكثرت مؤلفاته، توفي سنة (238هـ/852م). انظر: محمد علي دبور، ابن عذاري المراكشي، ص201.

[2]: هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أحد أهم الشخصيات الأندلسية الموسوعية، ولد سنة (384هـ/994م)، وله مؤلفات كثيرة شملت مختلف صنوف العلم والمعرفة، في مقارنة الأديان، والأنساب، والتاريخ، والمنطق، وتوفي سنة 456هـ/1064م). ذنون طه، مرجع سابق، ص88- 89.

[3]: هو أبو عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، من أهل قرطبة، وهو إمام عصره، ووحيد دهره علما ومعرفة، ولد سنة (368هـ/1070م) وقد في كثير من مدن الاندلس لنشر علمه، ويشارك في أحداثه وطنه السياسية حتى توفي بشاطبة (463هـ/1070م). انظر: القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،** تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، 31/2، والمقري، **نفح الطيب**، 5/2، وأبو الوليد ابن الفرضي، **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**، تحقيق السيد عزت العطار، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1988م، 460/1.

[4]: هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح ابن عبد الله بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي الأندلسي الميوركي الحافظ الشهير، من أصلي أندلسي من قرطبة، سكن جزيرة ميورقة، فصار من أهلها ونسب إليها، ولد قبل سنة 420هـ، وتوفي سنة (488هـ/1095م)، وكان موصوفا بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع، وكان محدثا فقيها، وأديبا شاعرا، رحل إلى المشرق وطاف بعدد من بلدانه، فزار مصر ودمشق ومكة وبغداد وظل بها إلى حين وفاته. انظر: محمد دبور، مرجع سابق، ص205- 206.

[5]: هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن سعود بن موسى بن بشكوال الأنصاري، ينحدر من أسرة تنسب إلى شرين بشرق الأندلس بالقرب من بلنسية، ولد في قرطبة (494هـ/1100م)، وقد عمر كثير احتى تجاوز الثمانين وتوفي سنة (578هـ/1182م).

ه- قلائد العقيان في محاسن الأعيان- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملمح أهل الأندلس للفتح بن خاقان الأندلسي (ت535هـ/1140م)[1].

و- كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام (ت542هـم1147م)[2].

ي- كتابا: المن بالإمامة، وتاريخ ثورة المريدين لابن صاحب الصلاة (ت أواخر ق 6هـ/12م)[3].

ثانيا: المصادر المغربية.

1- المصادر المفقودة:

أ- كتاب: نظم اللآلي في فتوح الأمر العالي لابن الأشيري التلمساني (569هـ/1173م)[4].

ب- كتاب: تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الأزمان لابن سعدون القروي (485هـ/1092م)[5].

ت- كتاب: القبس لابن حمادة الصنهاجي (628هـ/1231م)[6].

---

[1]: أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الأندلسي المقتول في مراكش سنة (535هـ/1130م)، بأمر من أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين، وأصله من صخرة الولد وهي قرية بجهة قلعة يحصب بالقرب من غرناطة، وكان من أشهر الأدباء والكتاب الأندلسيين في عصر المرابطين، والكتابان المذكوران من أهم ما كتب ابن خاقان. انظر، محمد دبور، مرجع سابق، ص210.

[2]: هو أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، نسبة إلى مدينة شنترين، في البرتغال حاليا نشأ في بيت حسب، ورحل إلى لشبونة ثم وفد على قرطبة، ثم وافته المنية سنة (542هـ/1147م).

[3]: هو أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم الباجي الأندلسي، المعروف بابن صاحب الصلاة والمتوفى على الأرجح في أواخر القرن 6÷/12م.

[4]: هو أبو علي حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب، ويعرف بابن الأشيري التلمساني، محدث، ومقرئ، ومؤرخ وكاتب مغربي، نشأ في تلمسان ودرس بالمغرب والاندلس وعاصر الدولتين المرابطية والموحدية، عمل كاتبا للأمير تاشفين بن علي، ثم أصبح أحد كتاب الخليفة عبم المؤمن بن علي بعد سقوط المرابطين. انظر: ذنون طه، مرجع سابق، ص184.

[5]: هو أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي، وأصله من القيروان وإليها ينسب، وبها ولد سنة (413هـ/1022م)، وخرج منها للتجارة، فطاف ببلاد المغرب والأندلس، ولقي عددا كبيرا من الشيوخ، وسمع منهم في القيروان ومصر ومكة، وكان من أهل العلم بالأصول والفروع، وسمع الناس منه أيضا بقرطبة وبلنسية والمرية وغيرها من البلدان، توفي بأغمات بالمغرب الاقصى سنة (485هـ/1092م). انظر: محمد دبور، مرجع سابق، ص223.

[6]: هو الحسن علي بن حمادة الصنهاجي، من مؤرخي المغرب في القرن 7هـ/13م. اشتهر بمؤلفاته التاريخية القيمة، ومنها كتابه المعروف " أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، وكتابه، " النبذ المحتاجة من أخبار صنهاجة، وكتابه القبس، الذي لم يذكر عنه شيء، ولم يعرف مؤلفه إلا من خلال بيان ابن عذاري، ومفاخر البربر.

ث- كتاب: المسالك والممالك لمحمد بن يوسف الوراق (ت363هـ/973م)[1].

ج- كتاب: الذيل لابن شرف الجذامي القيرواني (ت469هـ/1076م)[2].

ح- كتاب: أنساب البربر وملوكهم لابن أبي المجد المُغيلي.

خ- كتاب: المجموع المفترق لأبي الحسن النَّوفلي[3].

د- كتاب: فتوح إفريقية لأبي المهاجر عيسى بن محمد القيرواني[4].

ذ- كتاب: ابن بجير.

ثانيا المصادر المطبوعة:

أ- كتاب: تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني (ت بعد 417هـ/1026م)[5].

ب- كتاب: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين" للبيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي[6].

ت- كتاب: نظم الجمان لابن القطان (ت منتصف ق 8هـ/14م)[7].

---

[1]: هو محمد بن يوسف بن عبد الملك الوراق، ترجع أصوله إلى الأندلس، ثم انتقلت عائلته إلى إفريقية، فنشأ بالقيروان، وعرف بالقروي، وكان جغرافي بارع. محمد علي دبور، مرجع سابق، ص228-229.

[2]: هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني، الأديب الشاعر والمؤرخ، ولد بالقيروان، وبرع في الكتابة والشعر، وكان من خاصة المعز بن باديس أمير إفريقية، ثم غادر إلى صقلية، ثم إلى الأندلس أين استقر بإشبيلية التي توفي بها سنة (460هـ/1067م). انظر: ذنون طه، مرجع سابق، ص180.

[3]: هو أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي من أهل القرن 3هـ/9م، ولا تتوفر معلومات حوله.

[4]: هو حفيد أبي المهاجر دينار، وأحد تلاميذ خارجة عبد الله بن وهب أحد المحدثين المصريين، ولهذا روايات عيسى بن محمد لا تختلف عن روايات أهل مصر، كما أنه نقل عن أشياخ عرب إفريقية وبلاد المغرب. انظر: ذنون طه، مرجع سابق، ص145.

[5]: هو إبراهيم بن القاسم الكاتب المعروف بالرقيق القيرواني، موطنه القيروان، ومن الرقة، ولا تتوفر حوله معلومات سوى أنه عاش في النصف الصاني من القرن 4هـ وأوائل القرن 5هـ، في زمن الدولة الصنهاجية وتولى ديوان الرسائل في البلاط الصنهاجي مدة تتجاوز العشرين سنة، كان قليل الشعر ولكنه كثير الكتابة في التاريخ. انظر: ذنون طع، مرجع سابق، ص147.

[6]: هو أبو بكر بن علي الصنهاجي دليل المهدي بن تومرت في رحلته عائدا من المشرق، ولا نعرفه عنه إلا القليل، وكتابه أهم مؤلف حول بدايات الدولة الموحدية، وله كتاب آخر بعنوان: الأنساب في معرفة الأصحاب، وهو أيضا كتاب في تاريخ الدعوة الموحدية.

[7]: هو أبو علي حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، المعروف بابن القطان من مشاهير البربر، ويكنيه ابن عذاري بالفقيه ، ولا نعرف الكثير عن حياته غير أنه توفي تقريبا سنة 670هـ/1271م)، وكانت له صلة بالخليفة الموحدي

ث- كتاب: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي (ت 560هـ/1165م)[1].

ج- كتاب: الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ/1303م)[2].

وهناك مصادر أخرى مشرقية منها: " التاريخ الكبير" للواقدي (ت 207هـ/823م)، و" عجائب البلاد والزمن" للمسعودي (ت 346هـ/957م)، و"تاريخ الأمم والملوك" للطبري (ت 310هـ/922م)، و" فتوح البلدان" للبلاذري (ت 279هـ/892م)، و"الإكليل" للهمذاني (ت 334هـ/945م)، و" الإمامة والسياسة" لابن قتيبة (ت 276هـ/889م)، و" عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف" لأبي عبد الله القضاعي (ت 404هـ/1062م)، و" كشف الأسرار وهتك الأستار" لأبي بكر الباقلاني (ت 403هـ/1012م).

كما تلقى ابن عذاري المراكشي روايات شفهية عن بعض الشيوخ والشهود على الأحداث التي عاشوها، فضلا عن معاصرته لأحداث نهاية الدولة الموحدية وبداية حكم بني مرين، وأهم من نقل عنهم ابن عذاري مشافهة الشيخ الصالح أبو علي صالح بن أبي صالح[3]، والشيخ أبو الوفاء عدل[4]، و أبو عمران بن تيجا[5]، والشيخ أبو العباس حميدي بن مخلوف الهسكوري[6]، ووردت أيضا روايات لم يحدد ابن عذاري راويها[7].

المرتضى أبو حفص عمر بن إسحاق(646-665هـ/1248-1266م) وألف له مجموعة من الكتب. انظر: ذنون طه، مرجع سابق، ص156-157.

[1]: هو محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري، من أهل مراكش وقاضي قضاتها، كان إماما عالما ومؤرخا توفي بمدينة تلمسان. انظر: ذنون طه، مرجع سابق، ص195.

[2]: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، المعروف بالشريف الإدريسي، ألف كتابه للملك النورماني روجر الثاني.

[3]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 27/1-28.

[4]: نفسه، قسم الموحدين، ص232.

[5]: نفسه، 407.

[6]: نفسه، ص451.

[7]: نفسه، ص275، 451.

ولبيان أهم المواضيع والصيغ التي نقل وفقها ابن عذاري المراكشي نصوص كتابه من أهم المصادر الأندلسية والمغربية نلاحظ الجدول التالي:

اسم المؤلف	عنوان المصدر	الصيغة والموضوع
أبو مروان عبد الملك بن موسى الورّاق(كان حيا(555هـ/ 1160م)[1]	**المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس (مفقود)**	" **قال أبو مروان في كتاب " المقباس"**[2]، ذكر حد المغرب وإفريقية وما اتصل بهما وعًّ منهما، " **قال الوراق"**[3]، خبر حول كورة طنجة، ومساكن صنهاجة، " **قال الوراق"**[4]، خبر ابتداء الدولة العبيدية الشيعية، " **ذكر الورّاق"**[5]، بعض أخبار زناتة ودولتهم بالغرب إلى حين ظهور المرابطين، **"هكذا ذكر أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق في كتابه" المقباس في أخبار فاس"**[6] ، أحداث وقعت سنة (459هـ/1066م) في مدينة فاس ، " **قال الوراق في مقباسه"**[7]، خبر اغتيال الآمر بالله الفاطمي حاكم مصر سنة (527هـ/1132م)، " **قال الوراق"**[8]: خبر إرسال علي بن مجاهد بمركب إلى مصر مملوء من الطعام بسبب جوع سنة (447هـ/1055م)، " **قال الوراق في مقباسه"**[9]، **مقباسه"**[9]، خبر إظهار المعتضد بن عباد موت هشام المؤيد سنة سنة 451هـ/1059م، وهذا ثالث إعلان عن موت هشام، " **قال الوراق"**[10]، خبر تغلب عبد الملك بن جهورعلى أخيه عبد الرحمان، وتسلطه على

[1]: رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، 322/2- 323.

[2]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 5/1.

[3]: نفسه، 26/1.

[4]: نفسه، 124/1.

[5]: نفسه، 253/1.

[6]: نفسه، 255/1.

[7]: نفسه، 311/1.

[8]: نفسه، 228/3.

[9]: نفسه، 3/ 249.

[10]: نفسه، 3/ 258.

		قرطبة سنة (456هـ/1014م)، " **قال أبو مروان الوراق**"[1]، خبر قتال المعتضد بن عباد لبني يرنيّان أصحاب قلعة أراكش وشذونة، وقتل اميرهم محمد بن خزرون سنة (458هـ/1065م)، " **قال الوراق في المقباس**"[2]، خبر عزم علي بن يوسف بن تاشفين تولية ابنه سير ولاية العهد، وأخذ البيعة له، " **هكذا ذكر الوراق**[3]"، خبر عزل علي بن يوسف ابنه تاشفين تاشفين عن الأندلس بطلب من ابنه سير سنة 533هـ/ 1138م. " **قال الوراق في المقباس**"[4]، خبر وفاة سير ولي عهد علي بن يوسف بن تاشفين وانتقال ولاية العهد لتاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين." **قال أبو مروان الوراق**"[5]، خبر خلع علي بن يوسف بن تاشفين ولده تاشفين عن ولاية العهد وتولية ولده أسحاق. " **قال أبو مروان الوراق (تابع)**"[6].
عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت379هـ/ 989م)	**الحجاب للخلفاء بالأندلس**	" **قال الرازي عن الواقدي**"[7] ، خبر عن استعمال الوليد بن عبد الملك لموسى بن نصير على إفريقية، وطارق بن زياد على طنجة. و" **وذكر الرازي**"[8]، خبر عن المواجهات بين رذريق وطارق بن زياد، " **قال الرازي" وحدث عن الواقدي عن موسى بن علي ابن رباح عن أبيه**...[9]، خبر غضب موسى بن نصير على قائده طارق بن زياد، و" **ذكر الرازي**..."[10]، خبر خروج

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 272/3.

[2]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عبّاس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، 4/ 78.

[3]: نفسه، 80/4.

[4]: نفسه، 97/4.

[5]: نفسه، 99/4.

[6]: نفسه، 101/4.

[7]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س. كولان وليفي بروفنصال، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980م، 6/2.

[8]: نفسه، 8/2.

[9]: نفسه، 13/2.

[10]: نفسه، 16/2.

		طارق بن زياد من طليطلة لمقابلة موسى بن نصير، " **اتصل هذا في كتاب الرازي**"[1]، خبر دعوة الوليد بن عبد الملك لموسى بن بن نصير للمثول أمامه **قال الرازي**[2].
		خبر عن استخلاف موسى بن نصير ولده عبد العزيز على الأندلس وأهم منجزاته، " **قال الرازي**"[3]، خبر مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير على يد جنده بأمر سليمان بن عبد الملك، **قال الرازي**"[4]، خبر عن بداية التحضير لمرور عبد الرحمان بن معاوية للأندلس من طرف مواليه سنة (136هـ/753م)، "**قال الرازي**"[5]، خبر عن امتلاك الحبحباب بن رواحة لسرقسطة سنة (137هـ/754م)، **قال الرازي**"[6]، خبر عن ثورة محمد بن يوسف يوسف الفهري على الأمير عبد الرحمان بن معاوية (الداخل) سنة (169هـ/785م)، " **وذكر الرازي**"[7]، خبر نزول عبد الرحمان بن معاوية (الداخل) بمنية الرصافة، وانشاده شعرا في نخلة أهاجت شجنه، "**قال الرازي**"[8]، خبر عن الخلاف بين ابني ابني عبد الرحمان الداخل هشام وسليمان، على إمارة الأندلس، وظهور الفتن، "**قال الرازي**"[9]، خبر عن غزو محمد بن السليم أرض جليقية وما حققه من انتصارات سنة (247هـ/861م)، "**ومن العجائب في هذا العام (267هـ/881م) ماذكره الرازي وغيره**"[10]، خبر عن الزلزال، والرياح الشديدة

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 16/2.

[2]: نفسه، 24/2.

[3]: نفسه، 25/2.

[4]: نفسه، 40/2.

[5]: نفسه، 41/2-44.

[6]: نفسه، 57/2.

[7]: نفسه، 60/2.

[8]: نفسه، 62/2.

[9]: نفسه، 97/2.

[10]: نفسه، 2/ 104-105.

		والصاعقة التي أصابت الناس، وما أحدثته من خوف وفزع، " **قال الرازي"**[1]، خبر غزوة محمد بن أمية بن شهيد إلى كورة ريّة، وكورة إلبيرة واستقرار الأحوال بهما، " **قال الرازي"**[2]، خبر خبر عن عزوة محمد بن لب إلى منطقة ألبة وما حققه من انتصارات ضد المشركين، **"قال الرازي"**[3]، خبر عن فتح عبد الرحمان الناصر إشبيلية سنة (301هـ/913م) " **ذكر الرازي عن الفقيه محمد بن عيسى أنه قال ..."**[4].
أبـو عـامر محمـد بـن أحمـد بـن عامر السالمي (ت559هـ/ 1164م)	**درر القلائـد وغـرر الفوائد (مفقود)**	**"قال هذا في كتاب: درر القلائد وغرر الفوائد"**[5]، خبر عن نتائج نتائج المعركة التي دارت بين بلج بن بشر، وابني عبد الملك بن قطن في سرقسطة (123هـ/740/)، " **ومن درر القلائد.."**[6]، خبر خبر مواجهة ثعلبة بن سلامة العاملي لثورة البربر في ماردة سنة (124هـ/741م)، " **هذا مساق السالمي في درر القلائد"**[7]، خبر ارسال الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور إلى العلاء بن مغيث بولاية الأندلس والدعوة للعباسيين لكنه فشل وقتل، " **وفي كتاب درر القلائد..."**[8]، خبر مدة بقاء المجوس في إشبيلية إشبيلية يعيثون فسادا وكانت سبعة أيام، " **قال أبو عمر السالمي..."**[9]، خبر عن معركة ودي سليط بقيادة عبد الرحمان بن محمد. " **وقد ذكر أبو عامر السالمي في كتابه:" درر القلائد وغرر الفوائد"**[10]، خبر عن الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن الحجاج وما بذله من مال لشراء جارية بغدادية جميلة وفصيحة اللسان.

[1]: نفسه، 105/2.
[2]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 115/2.
[3]: نفسه، 129/2-130.
[4]: نفسه، 229/2.
[5]: نفسه، 32/2.
[6]: نفسه، 33/2.
[7]: نفسه، 52/2.
[8]: نفسه، 87/2.
[9]: نفسه، 2/ 112.
[10]: نفسه، 128/2.

اليسع بن عيسى الغافقي (ت595هـ/ 1198م)	**المغرب في محاسن أهل المغرب (مفقود)**	" **قال اليسع بن عيسى الغافقي** "[1]، خبر تحصن المهدي بن تومرت في جبل إيجليز، وتحريضه لأتباعه الموحدين على قتال الملثمين الذين وصفهم بالمجسمين، والبرابرة المفسدين، ووصف فقهاءهم بالمكاين.
ابن أبي فياض (ت459هـ/ 1066م)	**العبر (مفقود)**	"**قال ابن أبي الفياض**"[2]، خبر عن تحديد تاريخ ميلاد عقبة بن نافع الفهري، وأنه ولد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة، "**قال ذلك ابن أبي الفياض**"[3]، خبر عن غزوة عقبة عقبة بن نافع للسوس الأقصى،"**وذكر ابن أبي الفياض**"[4]، هنا ذكر مدح ابرهيم بن الحجاج، وذم عشيرته من أهل قرطبة في أبيات شعر نقلها وهي للشاعر محمد بن يحي القلفاط القرطبي" **قال بن أبي الفياض**"[5]، نقل عنه كلاما عن محمد ابن ابراهيم بن حجاج صاحب قرمونة، في بيان ولايته ومنجزاته وقبول الناس له.
أبو بكر بن الصيرفي(ت 570هـ/ 1174م)	**الأنورا الجلية في أخبار الدولة المرابطية.** **وتقصي الأنباء في سياسة الرؤساء.**	"**هكذا ذكر صاحب كتاب الأنوار الجلية في محاسن الدولة المرابطية**"[6]، وفاة الفقيه محمد بن أحمد بن رشد رحمه الله، " **قال أبو بكر يحي بن محمد الأنصاري**"[7]، قال أخبرني أبو عبد الله البوني، قال: لما لحق الأمير مزدلي...وخبر مواجهته للأذفونش ببلنسية التي حفظها الله من الأعداء، " **قال بن الصيرفي**"[8]، مطالبة أبو العلاء بن زهر القاضي ابن منظور بإشبيلية، " **قال أبو بكر الأنصاري**"[9]، تولية تاشفين على

[1]: نفسه، 68/4.
[2]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 19/1.
[3]: نفسه، 27/1
[4]: نفسه، 128/2.
[5]: نفسه، 129/2.
[6]: نفسه، 74/4.
[7]: نفسه، 4/ 41-42-81.
[8]: نفسه، 49/4 – 50.
[9]: نفسه، 80/4.

		غرناطة، وتحصينه لها."**قال ابن الصيرفي، وذكر في كتاب تقصي الأنباء في سياسة الرؤساء...**"[1]، أبو العلاء بن زهر يطالب القاضي ابن منظور بإشبيلية.
ا بن علقمة الصيرفي.	**البيان الواضح في الملم الفادح (مفقود)**	" **قال محمد بن علقمة**"[2]، الكبيطور في بلنسية، وثورة القاضي ابن جحاف ببلنسية.
أبو مروان حيان بن خلف حسين بن حيان القرطبي	**أخبار الدولة العامري(مفقود)**	"**قال ابن حيان**"[3]، خبر ثورة زيري بن عطية المغراوي ، ذكر نسب عمر بن حفصون وبداية ثورته على الأمير محمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام، خبر عدد الفرسان المعدين لغزو الصائفة إلى جليقة، خبران عن أولى غزوات المظفر بن عبد الملك بن أبي عامر لبلاد الإفرنج، شعر لابن دراج القسطلبي في مدح المظفر بن عبد الملك، نزول صاعقة بالعسكر في هذه الغزوة ...وغيرها من الأخبار.

[1]: نفسه، 49/4.

[2]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 31/4-41.

[3]: نفسه، 252/1، 209/2، 3/ 4، 42،84، 113، 114، 118، 125، 127- 128، - 129، 137، 173، 178، 181.

		"قال حيان بن خلف"[1]، ذكر حكاية عن إفضال الناصر لدين الله لعماله، خبر استبشار الحكم المستنصر باللهبولادة ولده هشام، خبر نقل ابن حيان عن بعض الكتب أقولا وأبياتا في محمد بن أبي عامر حينما حجب هشام بن الحكم عن الناس واستبد بالامر، خبران عن مقتل عيسى بن سعيد وزير الدولة، خبر ادعاء عبد الرحمان بن أبي عامر أنه ولي عهد الخليفة هشام بن الحكم سنة 399هـ، خبر الصلح بين هشام بن سليمان ومحمد بن هشام الملقب بالمهدي، خبر خلع هشام بن الحكم من طرف سليمان المستعين بالله، خبر تولية سليمان المستعين بالله لعلي بن حمود على مدينة سبتة، خبر مقتل عبد الرحمان الملقب بالمرتضي، خبر بلاد الأندلس بعد مقتل المرتضي وتفرق بني أمية،...(إلخ) وعديد الأخبار الأخرى. وقد ذكرنا بعضا من مواضيعها في مختلف الأجزاء واختصرنا نظرا لكثرتها.
أبو العباس أحمد بن عمر العذري (ت478هـ/ 1085م)	**"ترصيع الأخبار وتنويع الآثار" والبستان في غرائب البلدان" والمسالك إلى جميع الممالك" (مفقود)**	**" قال العذري"**[2]، الملك تودوش ومحاربته للبربر في سبتة، ثم حكمها يوليان ولاقاه عقبة ودخلها، ومن ولي في سبتة من الأمراء لبني أمية وغيرها. **" ذكر العذري وغيره..."**[3]، ذكر أخبار الأدارسة وسبب دخولهم المغرب، ومن وليها منهم ومن غيرهم إلى هذه السنة.
ابن أبي الصلت	**الديباجة في مفاخر صنهاجة (مفقود)**	**" قال أبو الصلت**[4]**"**، خبر القضاء على الشيعة من طرف المعز بن باديس في كامل إفريقية، **" قال أبو الصلت"**[5]، دخول العرب

[1]: نفســـــه، 106/2، 126، 280، 300، 3/ 4، 8- 9، 18، 27، 32، 130، 131، 138، 143، 144، 147، 156، 158، 162، 164، 169، 188، 240.

[2]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 203/1، 105.

[3]: نفسه، 210/1.

[4]: نفسه، 1/ 274.

[5]: نفسه، 292/1، 293.

(529هـــــ/ 1134م)		القيروان بعد هزيمة صنهاجة وأميرها المعز بن باديس. " **هكذا ذكر أبو الصلت**"[1]، خبر وفاة المعز بن باديس بالمهدية سنة (454هـ/1062م) " **إلى هنا انتهى كلام أبي الصلت في أخبار المهدية وأمريها الحسن بن علي بن يحي بن تميم إلى سنة 518هـ/1123م** "[2].
عريب بن سعد القرطبي (ت 370هـ/980م)	**مختصر تاريخ الطبري (مفقود)**	"**هكذا ذكره عريب في مختصره**"[3]، خبر عن غزوة ابن أبي سرح إفريقية (33هـ/653م) " **قال عريب في مختصره**"[4]، خبر عن مسمى البلاد التي نزلها معاوية بن حديج من إفريقية، " **قال عريب في مختصره للطبري**"[5]، خبر عن غزوة عقبة بن نافع للمغرب، "**هكذا نص عريب في مختصره للطبري**"[6]، خبر الحلملة التي أرسلها معاوية بن حديج إلى صقلية، "**وحقق عريب أن خلعه لطاعة أبي جعفر كان في هذه السنة**"[7]، خبر خلع عبد الرحمان بن حبيب لطاعة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (137هـ/754م)، " **قال الرقيق وعريب**"[8]، خبر عن زحف أبي قرة من تلمسان إلى القيروان،" **وفي سنة 154هـ قال عريب...**" [9]، خبر عن استخلاف عمرو بن حفص للمهنا بن المخارق على طبنة، " **قال عريب وغيره...**"[10]، خبر عن شح الأخبار عن إفريقية سنة (228هـ/842م)، " **وقال عريب...**"[11]،

[1]: نفسه، 298/1.

[2]: نفسه، 309/1.

[3]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 14/1.

[4]: نفسه، 15/1.

[5]: نفسه، 15/1.

[6]: نفسه، 1/ 16– 17.

[7]: نفسه، 67/1.

[8]: نفسه، 77/1– 78.

[9]: نفسه، 1/ 78.

[10]: نفسه، 1/ 108.

[11]: نفسه، 167/1.

		خبر عن هروب زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب من إفريقية إلى مصر، " **قال عريب**"[1]، خبر فتح الناصر لدين الله الاموي لمدينة سبتة (319هـ/931م)، " **قال عريب**"[2]، خبر تسليم عبد الرحمان الرحمان بن عمر بن حفصون حصن طرش للخليفة الناصر لدين الله.
أبو بكر بن مزين (ت470هـ/ 1078م)	**تاريخ ابن مزين في دول المغرب(مفقود)**	"**قال ابن مزين...**"[3]، هزيمة باديس لابن عباد (431هـ/1039م). (431هـ/1039م).
ابن عون الله القرطبي (441هـ/ 1049م)	**تاريخ ابن عون الله القرطبي**	"**قال محمد بن عون الله...**"[4]، ويبدو أنه خطأ من ابن عذاري في في الاسم، أو وجد هكذا في بعض نسخ الكتاب، خبر دولة المظفر بن المنصور، ذكر تسمية الحاجب عبد اللك بالمظفر بالله...وغيرها من الأخبار.
أبو عبيد البكري(ت487هـ/	**المسالك والممالك**	" **هكذا ذكر البكري في كتابه**"[5]، خبر عن صفة مدينة طنجة، " **قال البكري...**"[6]، خبر عن بني يغمراسن بتلمسان، " **قال البكري...**"[7]، خبر عن مدينة وليلي، " **قاله البكري...**"[1]، خبر

[1]: نفسه، 201/1.

[2]: نفسه، 175/2.

[3]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 202/3.

[4]: نفسه، 3/ 10،14- 15، 32، 39، 46، 62، 65، 66، 68، 69.

[5]: نفسه، 26/1.

[6]: نفسه، 65/1.

[7]: نفسه، 83/1.

1094م)		عن مدينة تلمسان، " **قالابن حمادة والبكري** "[2] خبر عن أولاد أدريس بن إدريس، " **قال البكري...**"[3]، خبر عن مدينة المهدية، " **وذكر أبو عبيد البكري...**"[4]، خبر عن خراب مدينة القيروان على يد العرب، " **قال البكري...**"[5]، خبر عن استرجاع مدينة بربشتر من أيدي النصارى على يد المقتدر بالله ابن هود (457هـ/1064م)، " **قال البكري...**"[6]، خبر عن حصارالروم لمدينة بربشتر واثر ذلك على أهلها، " **قال ابو عبيد...**"[7]، خبر عن شدة المرابطين في القتال، " **قال أبو عبيد ...**"[8]، خبر عن الحصن الذي لجأت إليه لواتة في صراعها مع زناتة.
أبو الحاج يوسف بن عمر الكاتب (ت بداية ق 7هـ/13م)	**تاريخ الموحدين (مفقود)**	" **قال أبو الحجاج يوسف بن عمر**"[9]، خبر عن غزوة الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى شنترين (580هـ/1184م)، **قال يوسف بن عمر...**"[10]، خبر عن انصراف أكث الجيش عن الخليفة لسوء فهم الأوامر، واستماتة الباقين في الدفاع عنه ضد الروم، " **قال يوسف بن عمر المؤرخ...**"[11]، موت الخليفة أبي يعقوب بسبب سهم أصابه (580هـ/1184م)، " **قال يوسف بن عمر...**"[12]، خبر عن جلوس الخليفة المنصور للأحكام بنفسه، " **قال أبو الحجاج يوسف بن عمر...**"[13]، خبر

---

[1]: نفسه، 1/ 200.

[2]: نفسه، 211/1.

[3]: نفسه، 219/1.

[4]: نفسه، 294/1.

[5]: نفسه، 3/ 227- 228.

[6]: نفسه، 253/3.

[7]: نفسه، 11/4.

[8]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، قسم الموحدين 14/4، 17.

[9]: نفسه، 162.

[10]: نفسه، 164.

[11]: نفسه، ص164.

[12]: نفسه، ص173.

[13]: نفسه، ص177.

		عن سقوط راية ابن غانية والبشر بسقوط دولته، " **قال يوسف بن عمر الكاتب في تاريخه...**" [1]، خبر عن عدد القتلى في غزوة الأرك (591هـ/1194م)، "**قال ذلك يوسف بن عمر في تاريخه...**"[2]، خبر ن السيل الكبير بواديإشبيلية وما سبب من أضرار سنة (597هـ/1200م)، " **قال يوسف الكاتب**" [3]، خبر عن أوامر الخليفة الناصر لأهل إشبيليةللاستعداد للحرب (600هـ/1203م).
الإشبيلي	**المسالك**	" **قال الإشبيلي في مسالكه...**"[4]، خبر عن أسبقية الإفرنج للبربر للبربر في سكنى المغرب والصراع بينهم، "**قال الإشبيلي في كتابه المسالك...**"[5]، خبر عن أن المسجد الذي يقع على وادي نفيس بناه عقبة بن نافع الفهري.
ابن مسعود	**كتاب ابن مسعود**	" **وفي كتاب ابن مسعود...**"[6]، خلافة عبد الرحمان الناصر في الأندلس وأهم منجزاته بمدينة سالم (335هـ/946م).
مجهول	**أخبـار الرؤسـاء بالأندلس (مفقود)**	" **قيدت هذا من كتاب أخبار الرؤساء بالأندلس**"[7]، خبر عن دولة محمد بن هشام الملقب بالمهدي، وانتزاعه الخلافة من هشام بن الحكم، مع ذكر سيرة المهدي.
مجهول	**بهجة النفس وروضة الأنس (مفقود)**	" **قال مؤلف كتاب بهجة النفس...**"[8]، دخول موسى بن نصير الأندلس، " **وقال في كتاب بهجة النفس...**"[9]مقتل عبد الملك بن قطن الفهري، "**ومن كتاب بهجة النفس**"[10]، هزيمة ثعلبة

[1]: نفسه، ص220.

[2]: نفسه، ص239.

[3]: نفسه، ص242.

[4]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 20/1.

[5]: نفسه، 27/1.

[6]: نفسه، 213/2- 214.

[7]: نفسه، 51/3.

[8]: نفسه، 12/2- 13.

[9]: نفسه، 32/2.

[10]: نفسه، 33/2- 34، 57.

		للبربر وسبي ذراريهم، " ذكر الصميل بن حاتم وسبب الفتنة، " **ومن كتاب بهجة النفس"**[1]، ثورة عبد الغافر اليماني بإشبيلية ضد الأمير عبد الرحمان، ثورة العلاء بن مغيث الجذامي ضد الأمير عبد الرحمان الداخل، **"ذكر ذلك في بهجة النفس..."**[2]، خبر دخول المجوس إلى إشبيلية سنة 230هـ، " ، خبر عن صراع الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم مع ابن حفصون سنة (278هـ/891م).
مجهول	**الاقتضاب (مفقود)**	**" ومن كتاب الاقتضاب قال..."**[3]، خبر انتزاع محمد بن هشام بن عبد الجبار الخلافة من هشام بن الحكم، " **" ومن كتاب الاقتضاب"**[4]، تكرار نفس
ابن حبيب (238هـ/852 م)	**مختصر ابن حبيب(مطبوع)**	الخبر من ابن عذاري، **وذكر في كتاب الاقتضاب..."**[5]، خبر عن عدد المسلمين والنصارى الذين كانوا مع عبد الجبار في قتاله للبربر، **" نقلت هذا من كتاب الاقتضاب"**[6]، خبر عن دولة القاسم بن حمود بقرطبة سنة (413هـ/1022م). **" فذكر عبد الملك بن حبيب..."**[7]، الأماكن التي بقيت في أيدي النصارى في الأندلس.
ابن حزم الأندلسي (456هـ/ 1064م)	**مؤلفات مختلفة**	**" قال أبو محمد بن حزم، وقال ابن حزم في جملة كلامه..."**[8]، خبر عن انقطاع دولةبني أمية، خبر انتقال الأمر لدولة بني العباس وسيطرة الفرس عليها، **"قال ابن حزم..."**[9]، مرافقة ابن حزم وبعض الوزراء للأمير المنصور، خبر تصالح الخليفتين

[1]: نفسه، 51/2، 52.

[2]: نفسه، 87/2.

[3]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 51/3- 51.

[4]: نفسه، 82/3، 84.

[5]: نفسه، 96/3- 97.

[6]: نفسه، 133/3- 134.

[7]: نفسه، 13/2.

[8]: نفسه، 63/1- 64، 39/2- 40، 156، 244/3.

[9]: نفسه، 64/1، 299/2، 132/3.

		يحي بن علي بن حمود صاحب قرطبة، والقاسم بن حمود بإشبيلية " **قال علي بن حزم**" [1]، خبر عن نسب زناتة، **قال أبو محمد**... "[2]، انتقال الأمر إلى بني العباس بالمشرق، " **قال أحمد بن حزم**..."[3]، خبر وصف المنصور لمدينة الزاهرة.
ابن عبد البر القرطبي (463هـ/ 1070م)	**الإستيعاب في معرفة الأصحاب**	" **قال ابن عبد البر**... "[4]، خبر عن عقبة ابن نافع وفتوحاته في بلاد المغرب والسودان.
أبو عبد الله الحميدي (488هـ/ 1095م)	**جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (مطبوع)**	" **وقال الحميدي**..."[5]، أخبار عن فضل بلاد المغرب، " **قال الحميدي في كتابه**..."[6]، نقل أشعار انتقاها الحميدي ونقلها عنه ابن عذاري وهي لصاحب إشبيلية أبي عمرو عباد.
ابن بشكوال (578هـ/ 1182م)	**الصلة (مطبوع)**	" **وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة**..."[7]، خبر عن ولاية موسى بن نصير إفريقية والمغرب وبعض أخباره، " **وقال ابن بشكوال في كتاب الصلة**..."[8]، ذكر نسب موسى بن نصير، وأعماله زمن علي ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما)
الفتح بن خاقان (ت 535هـ/ 1140م)	**قلائد العقيان في محاسن الأعيان (مطبوع)** **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملمح أهل الأندلس**	**"قال الفتح بن خاقان**..."[9]، ذكر سيرة الحاجب محمد بن أبي عامر. " **قال أبو نصر**..."، خبر عن صفات وشمائل بني عباد في الأندلس، وأكثر من ذكر صفات المعتضد بالله.

[1]: نفسه، 65/1.

[2]: نفسه، 40/2.

[3]: نفسه، 65/3.

[4]: نفسه، 28/1.

[5]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 7/1.

[6]: نفسه، 285/3.

[7]: نفسه، 39/1.

[8]: نفسه، 22/2.

[9]: نفسه، 273/2، 297.

	(مطبوع)	
ابـــن بســـام (542هـــــ/ 1147م)	**الـذخيرة فـي محاسـن أهل الجزيرة (مطبوع)**	" **قال ابن بسام...**"[1]، بعض أخبار جعفر بن عثمان المصحفي،" **في ذلك قال ابن بسام رحمه الله...**"[2]، بعض أخبار سليمان بن الحكم المستعين بالله وسيرته، "**قال ابن بسام...**"[3] بعض أخبار عبد الرحمان بن هشام المستظهر بالله وسيرته "**قال ابن بسام... "**[4]، أخبار العبدي مبارك، ومظفر العامريين، "**قال ابن بسام... "**[5]، خبر أبويحي محمد بن معن بن صمادح التجيبي،"**قال ابن بسام..."**[6] ، خبر حسام الدولة أبو مروان،"**قال ابن بسام..."**[7]، خبر افتتاح المرابطين إشبيلية وخلع المعتمد بن عباد، " **وذكر ابن بسام رحمه الله... "**[8]بعض أخبار المعتمد بن عباد المعتضد وحربه للبربر،" **قال ابن بسام...**"[9] بعض أخبار بني جهور أمراء قرطبة، "**قال ابن بسام**" [10] ، خبر الكتاب الذي أنشأه ابن عبد البر بين يدي المعتمد بن عباد المعتضد ارتجالا إلى ابن أبي عامر، " **قال ابن بسام رحمه الله... "**[11]، خبر مخاطبة المعتضد حلفائه وأخبارهم بخبر ولده فأجابوه على ذلك،" **أخبر ابن بسام قال...**" [12]، بعض أخبار وقعة بطرنة من نظر بلنسية بين الروم وحاكمها آنذاك عبد العزيز بن أبي عامر، ذكر قول ابن عذاري عن ابن بسام أنه لم يقع إليه خبر وقعه بطرنة في كتاب

---

[1]: نفسه، 255/2.

[2]: نفسه، 118/3.

[3]: نفسه، 139/3.

[4]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 162/3.

[5]: نفسه، 175/3.

[6]: نفسه، 184/3.

[7]: نفسه، 206/3.

[8]: نفسه، 214/3.

[9]: نفسه، 233/3.

[10]: نفسه، 245/3.

[11]: نفسه، 248/3.

[12]: نفسه، 253/3.

		ابن حيان.
ابن صاحب الصلاة (ت أواخر ق6هـ/12م)	**المن بالإمامة (مطبوع)** **تاريخ ثورة المريدين (مطبوع)**	" **قال ابن صاحب الصلاة...**"[1]، خبر عن ابن الربرتير وأصله، خبر عن منازلة عبد المؤمن بن علي لتلمسان سنة 540هـ،...وغيرها "**وذكر ابن صاحب الصلاة...**"[2]، خبر عن دخول الموحدين مدينة فاس، خبر عن إقامة عبد المؤمن بن علي أيام المهدي بن تومرت...وغيرها "**ولقد أخبر ابن صاحب الصلاة**"[3] ، خبر عن المرأة التي بعثت لتاشفين بطبق من سبنية فسر بذلك،" **قال أبو مروان ابن صاحب الصلاة...**"[4]، خبر عن عبور الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى الأندلس" **هكذا ذكر ابن صاحب الصلاة...**"[5]، خبر عن حصار عبد المؤمن بن علي لمدينة مراكش سنة 541هـ" **أخبر أبو مروان عبد الملك بن محمد قال:...**"[6]، خبر عن القصيدة التي أمر السيد أبو حفص الشاعر أبا عمر بن حربون أن يصنعها يشوق فيها إلى أخيه أبي يعقوب" **قال مؤلفه: أخبر أبو مروان ابن صاحب الصلاة قال:...**"[7]، خبر عن السبب في تعجيل حركة الشيخ أبي حفص عمر بن يحي إلى الأندلس" **فأخبر أبو مروان ابن صاحب الصلاة قال:...**"[8]، خبر عن وباء الطاعون الذي اجتاح مدينة ماكش. " **وقد ذكر ابن صاحب الصلاة... في تاريخ المريدين الثوار**"[9]، خبر عن جواز أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي وغيره إلى الأندلس.

[1]: نفسه، قسم الموحدين، ص23، 30، 88، 195، 200.

[2]: نفسه، ص24، 81.

[3]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، ص16.

[4]: نفسه، ص159، 160- 161.

[5]: نفسه، ص27.

[6]: نفسه، ص98.

[7]: نفسه، ص105.

[8]: نفسه، ص136-137.

[9]: نفسه، ص35.

ابن الأشيري التلمساني(569هـ/ 1173م)	نظم اللآلي في فتوح الأمر العالي (مطبوع)	"**قال الكتاب أبو علي بن الأشيري التلمساني...**"[1]، نزول عبد المؤمن جبل الصخرتين، وهزيمة الموحدين لتاشفين، "**وقال الكتاتب الأشيري التلمساني...**"[2]، خبر حصار الموحدين الموحدين لتاشفين في حصن بناه مع لمتونة، وموته دون معرفة السبب، "**قال الكتاب الأشيري...**"[3]، إخبار أبو الحسن الطراز للأشيري عن حصار عبد المؤمن بن علي لأهل وهران وقتلهم، "**قال الأشيري...**"[4]،خبر قدوم عبد المؤمن على تلمسان بعد فتح وهران، "**ذكره الأشيري...**"[5]، خبر عدد الجمال التي غنمها غنمها الموحدون من لمطة والتي وصلت لثمانين ألف حسب قول الأشيري، "**قال الأشيري...**"[6]، خبر نزول عبد المؤمن جبل إجليز ولزومه حصار مدينة مراكش "**وذكر ابن الأشيري...**"[7]، خبر فتح مدينة مراكش،،"**فارتجل أبو علي الأشيري أبياتا...**"[8]، خبر عن شبل ربض عند الخليفة عبد المؤمن، وزرزور تكلم في حضرته، فأنشد الأشيري أبياتا في ذلك.
ابن سعدون القروي (485هـ/ 1092م)	تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجن الفتن وتقلب الأزمان (مفقود)	" **قال أبو عبد الله بن سعدون بن علي في تأليفه في" تعزية أهل القيروان، بما جرى على البلدان، من هيجان الفتن وتقلب الأزمان"**[9]، خبر الدعوة التي بدأ فيها عبيد الله المهدي العبيدي وذكر نسبه،"**قال ابن سعدون...**"[10]، خبر عن أصل مذهب العبيديي، ويختم بقوله: انتهى هذا ما لخصته من كتاب ابن سعدون" خبر عن خروج أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي

[1]: نفسه، ص17.

[2]: نفسه، ص21.

[3]: نفسه، ص22.

[4]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، ص22.

[5]: نفسه، ص26.

[6]: نفسه، ص27.

[7]: نفسه، ص28.

[8]: نفسه، ص47.

[9]: نفسه، 1/ 281، 287.

[10]: نفسه، 287/1.

		على أبي القاسم الشيعي، وخروج الفقهاء والعباد مع أبي يزيد، ويذكر ابن عذاري أن ابن سعدون سمى الفقهاء رجلا رجل"[1].
ابـن حمـادة الصـنهاجي(628هـ/ 1231م).	**القبس (مفقود)**	" "، رواية ابن حماد في ذكر حد المغرب، خبر قتل عمرو بن حفص كان سنة 154هـ/770م، " "، ولاية هرثمة بن أعين على إفريقية من قبل هارون الرشيد وقتاله ابن الجارود، " "، خبر ولد إدريس بن إدريس وهو اثني عشر، " "، خبر رؤية ابن حماد السجل الذي كتبه الحكم المستنصر لأهل سبتة سنة 353هـ/964م يرفع عنهم جميع الوظائف المخزنية، والمغارم السلطانية، " "، بعض أخبار زناتة ودولتهم بالمغرب. " "، تقسيم سليمان المستعين بالله بعض بلاد الأندلس على رؤساء القبائل سنة 403هـ/1012م، " "، خبر هروب العبيد العامريين إلى شرق الأندلس بعد استيلاء البربر على قرطبة، يوسف بن تاشفين يأمر القاضي محمد بن عيسى ببناء جامع سبتة، " "، خبر في حوادث سنة 520هـ/1126م مفاده ادعاء رجل من ريف سبتة أنه الخضر فحمل إلى مراكش وقتل بها، " "، خبر محاصرة الموحدين لمدينة مراكش سنة 524هـ، خبر وصول النصارى سنة 527هـ إلى حومة مدينة شريش والبحيرة، " "، خبر غزو تاشفين بن علي لبلاد الروم 532هـ/1129م، ذكر السيل العظيم بطنجة 532هـ/1129م، " "، خبر المعركة التي حدثت بين تاشفين بن علي والموحدين في شوال سنة 534هـ/1130م، " "، خبر انجلاء أهل المغرب إلى الأندلس، " "، خبر وصول الموحدين إلى سبتة ثم تيطاون ورجوعهم إلى غمارة، " "، خبر مقتل تاشفين بن علي سنة 539هـ/1144م.
محمـد بـن جرير الطبري	**تاريخ الطبري**	**الجزء1:** نص عن فتوح إفريقية يخص إعطاء عثمان رضي الله عنه ابن أبي السرح أخماس إفريقية وسخط أهلها عليه، ذكر خبر غزو حبيب بن مسلمة قورية من أرض الروم، خبر غزو معاوية بن حديج الكندي إفريقية سنة 45هـ، مقتل عمرو بن

[1]: نفس، 1/ 217.

		حفص على يد أبيحاتم الإباضي وأبي غادي ومن معهما من البربر، خبر افتتاح يزيد بن حاتم إفريقية وقتل أبي غاديوأبي حاتم، خبر وقوع صاعقة بالمسجد الحرام ومقتل رجلين، خبر عقد الخليفة الرشيد ولاية العهد لابنه محمد سنة 173هـ. **الجزء2:** ذكر الأقوال في افتتاح الأندلس وأول من دخلها، خبر التقاء واجتماع موسى بن نصير مع طارق بن زياد في قرطبة، ولاية عنبسة بن سحيم على الأندلس من قبل والي إفريقية يزيد بن أبي مسلم.
علي بن محمد بن عبد الملك القطان	**نظم الجمان في أخبار الزمان**	- صفة مدينة تاهرت، خبر دعاء عقبة أنه مستجاب، عودة عقبة للقيروان بعد استكمال الفتح، خبر عزل حسان بن النعمان وتولية موسى بن نصير، خبر طارق بن زياد قبيل دخول الأندلس، خبر ولاية كلثوم بن زياد إفريقية والمغرب، ارتداد طريف وبرغواطة عن الإسلام، خلع والي إفريقية عبد الرحمان بن حبيب، مقتل والي إفريقية عمرو بن حفص، خبر معركة بين عيسى بن ريعان وقبائل البربر، غياب أخبار إفريقية المشهورة سنة 253هـ/867م، نسب أبوعبد الله الشيعي، نفي النسب الفاطمي، وفاة المستنصر بن الظاهر، خبر أمير إفريقية يحي بن تميم بن المعز، أنتشار الغلاء والوباء بتلمسان 514هـ/1120م[1]. - **الجزء 2:** خبرمعسكر طارق قبل دخوله الأندلس، ذكر أسباب عبور طارق للأندلس، عقبة بن الحجاج واستخلافه على الأندلس، خبر ولاية هشام بن عبد الملك على إفريقية والمغرب، ولاية ثعلبة بن سلامة العامي على الأندلس[2]. - خبر عزل القاسم بن محمود عن قرطبة سنة 414هـ/1023م، سعي أهل قرطبة إلى إعادة دولة بني أمية باستخلاف عبد الرحمان بن هشام بن عبد الجبار، خبر استخلاف محمد بن عبد الرحمان المستكفي ثم خلعه ووفاته، خبر إسماعيل بن القاضي وهروبه مع صاحب قرمونة يحي بن علي سنة

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 1/ 25، 28، 30، 39، 42.

[2]: نفسه، 44/2، 55، 65، 67، 77,

		427هـ/1039م ومقتل اسماعيل، خبر إدريس بن يحي آخر خلفاء الحموديين، خبر خلف الحصري شبيه هشام المؤيد، وقطع ابن عباد للدعوة الهاشمية، خبر مقتل الوزير ابن السقا، بعض أخبار المعتضد بن عباد ووفاته سنة 460هـ/1067م[1]. - خبر سير يوسف بن تاشفين سنة 464هـ/1071م إلى المغرب جيش كبير، خبر حرق علي بن يوسف بن تاشفين لكتاب إحياء علوم الدين ودعوة الغزالي لازالة ملكهم، خبر بقاء المهدي بجبل ايجليز من سنة 515هـ غلى 518هـ وحادثة التمييز التي قام بها البشير الونشريسي، خبر وقعة البحيرة بين المرابطين والموحدين، خبر انتصار الموحدين على المرابطين سنة 524هـ/1130م وموت المهدي، خبر فتح عبد المؤمن لتاروت وبلاد السوس ودخول اليتونوين سنة 529هـ/1134م[2].
أبو بكر بن علـــــــي الصنهاجي	أخبار المهدي بن تومرت، وابتداء دولة الموحدين	**الجزء4:** خبر تنقل عبد المؤمن بن علي من تينمل متوجها إلى بلاد الغرب. **الجزء5:** خبر إرسال طاهر بن كباب الصنهاجي قائد محلة بجاية بتلمسان سرا إلى عبد المؤمن يعلمه بتوحيده ويعده بفتح محلة بجاية، من أخبار فتح مراكش ودخول الموحدين إليها وقتل أسحاق أمير لمتونة، وجملة من ذرية علي بن يوسف، ذكر خبر حصن تيوينوين ببلاد السوس.

[1]: نفسه، 15/3، 39، 107.

[2]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 7/4، 4، 30، 287، 307.

- **منهج ابن عذاري المراكشي في كتابه البيان المغرب.**

يعد المؤرخ ابن عذاري المراكشي واحدا من أشهر مؤرخي المغرب الإسلامي خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ويتميز بالدقة الشديدة في إيراد الأحداث التاريخية لهذه الفترة العصيبة من تاريخ المسلمين في المغرب والأندلس، ويظهر التزامه الدقيق بمنهج محدد وضعه لنفسه في بداية الكتاب حتى نهايته.

ويشتمل كتاب " البيان المغرب" على تاريخ المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الموحدية، ويتميز هذا المؤلف من حيث مادته عن كل المصنفات التي كتبت بعده حول تاريخ المغرب والأندلس، كما، وترتيبا، ومنهجا، ورافدا، وهذا التفوق خصوصا منتخباته من المصادر المفقودة جعل من ابن عذاري المراكشي أحد أعظم مؤرخي الغرب الإسلامي الوسيط.

يبدو أن ابن عذاري المراكشي قد اطلع على عديد المؤلفات المغربية والمشرقية التي سبقته، ما جعله يطلع على مناهج المؤرخين، وطرق كتابتهم، وقائمة روافده من المصادر التي ذكرها في مقدمة كتابه تؤكد ذلك[1]، وهي لا تشكل كل موارده التي نقل عنها معلوماته، وبهذا العدد الهائل من المصادر يكون قد اطلع على مختلف أساليب الكتابة خصوصا أسلوب الحوليات، وترتيب الأحداث حسب السنوات[2]، مع الاختصار في رواية الأخبار في شكل حوادث متصلة وقعت في سنوات مختلفة، وقد التزم ابن عذاري الدقة البالغة في إيراد الأحداث التاريخية، وتسجيل أخبار بلاد المغرب والأندلس في فترة عصيبة معتمدا على منهج فريد في كتابته التاريخية، وضعه وطبق عناصره في كامل كتابه.

لقد صرح ابن عذاري باعتماده أسلوب الاختصار في مقدمة كتابه، ووقف عند ذلك في كل حدث ساقه، دون أن ينساق وراء تفصيل من نقل عنهم وأخذ، بل اكتفى بالإشارة إلى الخبر ثم يُحيل القارئ إلى تفاصيل الخبر في مصادر أخرى لمؤرخين آخرين حتى لا يُكرر الأحداث، ويحافظ على مسلكه فيقول:" ومما حدث... من

---

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 2/1.

[2]: انظر: ذنون طه، مرجع سابق، ص39.

الوقائع ما أذكرها ملخصا مؤرّخة بأوقاتها"[1]، وما صرح به من اختصار ونقل، ما يكفي ذكره عناء الإطالة والاسترسال، ويجمل في مواضع أخرى تواريخ السنين معا فيقول:" ولم يعط الحال تفصيل هذه السنين من سنة 151هـ إلى سنة 153هـ بعدها سنة سنة، فأجملت أمرها هنا إجمالا مختصرا يغني عن إعادتها في كل واحدة منها"[2]، غير أنّه خرج عن قاعدة الإيجاز التي رسمها لنفسه في مواضع قليلة بحسب أهمية الخبر، ولا شك أن لبعض الأحداث خصوصية تدير القلم وتسيله فيستطرد دونما شعور، وعبّر عن ذلك بقوله:" وللحديث شجون..."[3].

وكغيره من المؤرخين العرب المسلمين ركز ابن عذاري على توظيف المنهج الحولي بعد أن جزأ مؤلفه إلى ثلاثة أجزاء، وذلك على مرور السنين إلى عام 667هـ"[4].و يذكر أهم الأحداث في كل سنة، ثمّ يأتي على إيراد أهم أحداث السنة السابقة لها، ثمّ التي جاءت بعدها فيقول: " إلى أن كان من كذا ما أذكره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى"[5]، وقوله:"، أو قوله:" حسبما أذكره في موضعه إن شاء الله تعالى"[6]، ويخرج أحيانا عن منهجه ليورد أحداثا لا علاقة لها بالسنة التي يؤرخ لها حيث يقول في مواضع عديدة من كتابه:"... على ما يأتي ذكره إن شاء الله..." [7] ، أو " على ما أصفه إن شاء الله"[8]، أو " على ما يأتي مفسرا..." [9]، وغيرها من العبارات[10]، وأحيانا لا تتوفر لديه معلومات كافية في أخبار السنة وصرح بذلك قائلا:" :" عريت هذه السنة من أخبار إفريقية، فلم يكن فيها خبر مشهور يجتلب"[11].

---

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 304/1.

[2]: نفسه، 76/1.

[3]: نفسه، 229/2، وقسم الموحدين، ص348.

[4]: نفسه، 5/1.

[5]: نفسه، قسم الموحدين، ص367.

[6]: نفسه، 242/3.

[7]: نفسه، 232/3,

[8]: نفسه، قسم الموحدين، 417.

[9]: نفسه، 106/2،

[10]: نفسه، 230/3، قسم الموحدين، ص293، 365.

[11]: نفسه، 115/1.

أما المنهج الآخر الذي وظفه ابن عذاري فهو الكتابة عن تاريخ المدن، أو التأريخ للدول بشكل منفصل، وهذا شائع أيضا في أدبيات الكتابة العربية خلال بدايات التدوين، وعليه نجد أن الأحداث التاريخية تختلط بالوقائع الجغرافية، لأن المؤلفين اعتادوا توصيف جغرافيا البلد قبل البدء في التأريخ له[1]. وفي نسق غير مألوف مزج ابن عذاري بين المنهجين، وعرض مادة كتابه في أشكال لم ينقطع فيها السياق[2]، ويخرج عن الحوليات لذكر بعض الأخبار الخاصة كبعض أحداث سنة (62هـ/681م) ثم يعود للتأريخ بالسنين فيقول:" رجعنا إلى نسق التأريخ..."[3]، أو " رجعنا للخبر" [4] أو " رجع الخبر إلى نسق السنين"[5]، وحين تتوفر مادة كبيرة في بعض بعض أخبار السنوات يكتب ابن عذاري عديد الصفحات، كما أن يلغي ما لا فائدة من ذكره.

لا تختلف طريقة إيراد أخبار الأندلس عن ذكر أخبار المغرب عند ابن عذاري المراكشي، فالترتيب على السنين والاختصار مقاربة اعتمدها في كامل كتابه، واللجوء إلى التفصيل والخروج عن الحوليات أحيانا استمر معه أيضا، وهذا ما ضمن له الرجوع إلى خلفية الأحدث أو الإشارة إلى نتائجها[6]، ويداخل أحيانا بين أخبار الأندلس والمغرب للعلاقة التي تجمع بين العدوتين، والتأثير المتبادل بين المجالين، وهو يذكر بعض أخبار سجلماسة بالمغرب[7] ساق بعض أحداث سنة (572هـ/)

---

[1]: انظر: ذنون طه، مرجع سابق، ص39.

[2]: يجمل ابن عذاري حملات عقبة بن نافع ويجمعها حتى لا تنقطع. انظر: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 24/1.

[3]: نفسه، 227/1.

[4]: نفسه، 163/3.

[5]: نفسه، 240/3.

[6]: ذنون طه، مرجع سابق، ص42.

[7]: نفسه، ص331.

بالأندلس[1]، كما أنه ذكر بعض أخبار المغرب ثم أكمل تأريخه للأندلس" رجع الخبر إلى بعض أخبار الأندلس"[2]، وهذا المنهج الفريد ميّز كتاب ابن عذاري واختص به.

وأولى ابن عذاري في بيانه اهتماما خاصا بالوثائق الممثلة فيما يصدر أو يحضر للبلاط من بيعات أو رسائل سلطانية موجهة إلى العمال في مختلف الأقطار والأمصار، ولأن كتابة التاريخ تنطلق من الوثيقة أعطى هذا الحضور الوثائقي لبيان ابن عذاري قيمة كبيرة، وأهمية بالغة، فقد حوى عددا معتبرا ونادرا من المراسلات والوثائق اختص بها ابن عذاري، ولم ترد في المصادر التقليدية الأخرى التي عاصرته، أو كانت أقرب مكانا إلى البلاط في وقته.

وكما جرت عليه العادة في التأليف وبيان منهج المؤرخ فقد ذكر ابن عذاري في مقدمة كتابه ذلك فقال:" وذكرت بعض البيعات والرسائل السلطانية وما تعلق بها، وكان بسببها من الوقائع المذكورات، والأمور المشهورات..."[3]، ويبدو أنه اختصر بعض الرسائل، وهذا يبعدها عن روح الأصل كون الوثيقة نص مهم في كماله، نظرا لاختلافها أو موافقتها لمعلومات وردت في مصادر أخرى، ويصرح بهذا الاختصار بقوله:" :" فصل من الرسالة..."[4]، أو " هذه الرسالة التي أذكرها هنا مختصرة إن شاء **الله**..."[5] أو " فصول من ذلك"[6]، وغير ذلك من العبارات التي تؤكد اختصار ابن عذاري للرسائل، وبخصوص خبر السلاطين والأمراء فإن ابن عذاري قد خصص مجالا كبيرا في مؤلفه لتتبع خبرهم وعرض سيرهم منذ اعتلاء الأمير الحكم حيث يذكر نسبه ونشأته وأسرته، ومدة حكمه، وطريقة إدارته، وأهم منجزاته في مختلف المجالات ويختم ذلك بقوله:" وتمت أخباره"[7]، ويبدو أن التأريخ لرجال الدولة بهذا

[1]: نفسه، قسم الموحدين، ص330.

[2]: نفسه، ص330.

[3]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 5/1.

[4]: نفسه، قسم الموحدين، ص261.

[5]: نفسه، ص378.

[6]: نفسه، ص339.

[7]: نفسه، ص235.

الشكل هو من طبيعة كتابة العصر التي تولي أهمية أكبر للحكام والسلاطين، وكما أن كتاب البيان كتاب تاريخي في شكله العام إلا أنه ساق تراجم معتبرة في ثناياه كالترجمة لعموم الفقهاء في العدوتين ومن أمصار أخرى غير المغرب والأندلس، كالفقهاء العراقيين، والمدنيين[1].

وفضلا عن التراجم للشخصيات سواء كانت سياسية أو علمية خصص ابن عذاري نهاية كل سنة لذكر أهم من توفي فيها، بعدما خلص من جملة الأخبار التي ساقها في السنة، ويبدأ بذكرها أحيانا في بداية السنة، مع التركيز على الشخصيات المؤثر والفاعلة خاصة العلمية لكثرتها مخالفا غيره ممن يشحن أخر السنة بكم هائل من الوفيات، وكان غالب الوفيات الذين ذكرهم من السياسيين والعلماء مشرقا ومغربا[2]، ممن كان أصلهم قرشيا خاصة، مع التركيز على العدوتين المغرب والأندلس لتخصص المؤرخ وموضوع الكتاب، كما لم يفوّت ابن عذاري اعتماد أسلوب الاختصار فيذكر الوفيات مجملة دون مسميات لكثرتها فيقول في أحداث سنة (303هـ/915م) :" ومات في هذا العام بقرطبة جملة من وجوهها، وبياض أهلها يطول الإخبار عنهم؛ والاجتلاب لهم، إلى من مات في الكور والمواضع البعيدة ممن لم يأخذه إحصاء ولا عدٌّ..."[3].

يرى ابن عذاري أن قيام الدول وتعاظم المد الإسلامي بكون بتولي العرب أمور الأمة الإسلامية منطلقا من ثنائية الإسلام والعروبة، وقد ساق روايات تقترب من الأسطورة بذكر صفات الفاتحين العرب وكراماتهم كموسى بن نصير باعتباره رمزا عربيا[4]، كما أنه لقب بعض خلفاء بني أمية بلقب الإمام الشرعي، وأمير الجماعة، وحتى العبارة الأدبية الرصينة في أسلوب ابن عذاري تشي بنزعته العربية؛ حين أكثر

---

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 162/1– 168– 185.

[2]: نفسه، 66/1،188،192،204،206، 245، 275،

[3]: نفسه ، 169/2.

[4]: نوال فرحان محمد الخالدي، **رؤية ابن عذاري المراكشي للحوادث المؤثرة في حركة التاريخ**، مسالك للدراسات الشرعية واللغوية والإنسانية، السعودية، العدد9، فبراير 2021م، ص62

من السجع[1] ومن المقطوعات الشعرية والنثرية التي تنوعت مناسباتها بين الهجاء والمدح والرثاء والغزل[2]، وهذا يؤكد لنا اهتمام ابن عذاري بالعروبة ومكوناتها، ويرى في الولاية بأن تكون في العرب دون غيرهم خصوصا قريش بخلاف المؤرخين المعاصرين له، والذين لم يهتموا بذلك كلسان الدين بن الخطيب، وابن أبي زرع وغيرهم[3]. إنّ مقياس تحديد فترة ازدهار الدول محل خلاف عن المؤرخين، أما ابن عذاري فإنه يربط ذلك بالقيام بواجب الجهاد لذا نجده يثني على عصر الأمير الأغلبي أبي إبراهيم أحمد بن محمد (224-249هـ/856-863م) لجهاده في صقلية ضد الروم، كما أشاد بجهود الأمويين في الأندلس لكثرة انتصاراتهم على النصارى، ولا يغفل عن ذكر قيمة العدل، وقد أشار بسيرة بعض الأمراء في هذا الباب كالثائر ابن حفصون (ت 305-917م)[4].

ويبدو أن ذكر ابن عذاري للكوارث الطبيعية جاء امتدادا لمكونات نظريته الدينية في كتابته التاريخية، حيث أنه مزج أحداث التاريخ البشري بالتاريخ الطبيعي باعتبار أن حوادث التاريخ من صنع الله كما هي حوادث الطبيعة، فيذكر بذلك الأمطار والسيول والمجاعات، حيث أشار إلى كثرة الخصب بإفريقية سنة (396هـ/1005م)، والقحط الشديد بالأندلس سنة (274هـ/887م)، وكسوف الشمس، وسيل وادي شنيل بالأندلس الذي خرب قرى إشبيلية، وغيرها من الأحداث التي ساقها بأسلوب قرآني أحيانا[5].

لقد بلغت كتابة ابن عذاري مبلغا مميزا عند المؤرخين الذين جاءوا بعده، ومن المعاصرين أو المحدثين، ذلك أنه انتهج منهجا فريدا في نقد الأحداث؛ وبناء الأخبار فلم يكن مجرد ناقل أو ملخص، بل كانت له رؤية أوسع وأعمق عن طريق اعتماد التعليق، والتفسير والتصحيح والتحقيق، وهذا كله يشكل منهجه التاريخي النقدي

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 176/3، 187.

[2]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 9/3-10، 80، 110.

[3]: نوال فرحان الخالدي، مرجع سابق، ص66.

[4]: نفسه، ص67.

[5]: نفسه، ص67-68.

الذي اعتمده في كتابه، لهذا يعتبر البيان المغرب من الأصول مع أنه ألف في زمن متأخر، ولا يمكن لأي باحث في تاريخ المغرب والأندلس تجاوزه أو الاستغناء عنه[1].

ومن بين طرائق النقد التي وردت في كتاب البيان المغرب، وأبانت عن منهج ابن عذاري نجد ذمّه لسياسة عمر بن عبد الله المرادي عامل طنجة تجاه البربر، حين أساء لهم فتعدى في الصدقات؛ والعشر، وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيء للمسلمين، وقد عارض ابن عذاري هذه السياسة بقوله:" وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب للإسلام[2]" ثم يذم سلوك الوالي بقوله:" فكان فعله الذميم هذا سببا لنقض البلاد، ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير القتل في العباد، نعوذ بالله من الظلم الذي هو وبال على أهله[3]"، ويسجل ابن عذاري موقفا آخر حول أحداث سنة (202هـ/817م) لمّا ذكر ثورة الربض الثانية وبحث عن أسبابها، مبينا أنه لم تكن هناك ضرورة لوقوعها، نتيجة الأمن والدعة والعافية والرخاء الذي كان يعيشه الناس الذين لم تفرض عليهم ضرائب، ولم يظلموا أو يعنفوا حتى يخرجوا على سلطانهم، بل كان ذلك شرا وبطرا، وطبعا جافيا، وعقلا غبيا في هلاك أنفسهم"[4]، وبعد تحقيق ابن عذاري في أسباب قيام الثورة، كال نقدا عنيفا للثوار الذين تسببوا في وقوع ثورة لا طائل من ورائها سوى الفساد في الأرض.

ويعرض ابن عذاري رأيا آخر من آرائه النقدية حول الطريقة التي قتل بها عبد العزيز بن سعيد خلال المرحلة الأخيرة من عمر الدولة الموحدية حين شارك في التدبير لانتزاع الخلافة من الواثق بالله، فقيل أنه قتل كما قتل ابن المرتضي بمسلة، ولكن ابن عذاري قال أنه قتل مسيفا[5]، وما رد الخبر الأول إلا بعد تحقيق قاده إلى رأيه، وفي أحداث أخرى ويذهب ابن عذاري في تحقيقه إلى أن ما أشيع عن خروج بني مرين لمواجهة الموحدين سنة (665هـ/1267م) وانصرافهم مهزومين لما

---

[1]: عبد القادر بوباية، **مصادر تاريخ المغرب والأندلس**، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2011م، ص159.

[2]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**،51/1.

[3]: نفسه، 51/1-52.

[4]: نفسه، 75/2،76.

[5]: نفسه، قسم الموحدين، 151-153.

أصابهم من خوف وجزع غير صحيح، ويبيّن أن الانصراف كان بسبب مواثيق وعهود انصرف على إثرها سلطان بني مرين أبي يوسف يعقوب، ثم يؤكد الخبر من مصدر سماعي أو شفهي وهو الشيخ أبو العباس حميدي بن مخلوف الهسكوري الذي أرسله الواثق بالله إلى سلطان بني مرين أبي يوسف في سفارة رسمية، وكان شاهدا للصلح الذي تمّ بين الطرفين[1]، فيقول:" وفي سنة (665هـ/1267م) عاد الشيخ الصالح المبارك أبو العباس حميدي بتصحيح الخبر بانصراف بني مرين إلى الغرب دون طعن ولا ضرب[2]. وفي حادثة خروج يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المريني على عمه السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة (657هـ/1260م) ومحاولته الاستعانة بالنصارى ليصبح سلطانا فعد إلى خدع أهل سلا بانتزاع السلاح من أيديهم ومكّن النصارى منهم، وهو الأمر الذي انتقده ابن عذاري بشدّة بقوله:" كان تدبيرا خاليا من السداد والصلاح مع قضاء الله وقدره"[3].

وبعدها ينتقل ابن عذاري إلى تصحيح خبر تعلق بعدد المدن التي تنازل عنها ابن الأحمر لملك قشتالة لإتمام الصلح الذي عقد بينهما، في حدود سنة (665هـ/1267م) على نحو أربعين مسورا من بلاد المسلمين أكثرها كان بغرب الأندلس، لكن ابن عذاري يحدد عدد المدن المتنازل عنها بمائة وخمسة فيقول:" أخبرني من أثق به من بني مسلمة أن الفقيه أبا القاسم العزفي قال ...إن جملة ما أعطى ابن الأحمر لألفونسو من المدن والحصون المسورة ...مائة وخمسة"[4]، وأن أغلبها في شرق الأندلس، وفي الغرب القليل[5]، وبعيدا عن سياسة الملوك وحياة البلاط أشار ابن عذاري في كتابه إلى ارتفاع الأسعار، والمجاعات والأوبئة، والغلاء والقحط الذي حل بالبلاد[6]، وما ترتب على كل ذلك من فتن في المغرب والأندلس،

---

[1]: محمد علي دبور، مرجع سابق، ص119.

[2]: نفسه، ص120-121.

[3]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، قسم الموحدين ،ص 451.

[4]: نفسه، ص462-463.

[5]: محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص121-122.

[6]: انظر: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 116/1، 118، 255...

وفي المقابل تحدث عن الرخاء والخصب مع التعرض أيضا لبعض الظواهر الطبيعية كرصد السيول، وهبوب الرياح وآثارها المدمرة، والحرائق، وظهور المذنبات والصواعق، والزلازل وكسوف الشمس[1] وغيرها[2]، وكل هذه الأحداث التي ذكرناها ساقها ابن عذاري بأسلوب نابع من معرفة جيدة بالدين الإسلامي، فتأثر أسلوبه باستخدام الألفاظ القرآنية في التعبير عن أفكاره وتصوراته، كالمفردات التي استخدمها في مقدمة كتابه، وفي سرده للأحداث تظهر النزعة الدينية عن طريق العبارات التي يرددها كقوله:" الله أعلم"، و" لا حول ولا قوة إلا بالله"، " ونعوذ بالله من هذا الاغترار"، أو :" نسال الله العافية في دار القرار"، كما شاع في أسلوبه الكثير من ألوان البيان والبديع خصوصا في قسم الموحدين، وقد يكون ذلك تبعا للمصادر التي نقل عنها، وظهور الكتابات بهذا اللون في عصره[3].

لقد نجح ابن عذاري المراكشي في تأليف كتاب مميز بحوادثه، وطرائق عرضها، وتغطيته لفترة هامة من تاريخ الغرب الإسلامي بفضل ذكائه، ومعرفته بماضي الأمم وواقع الحال، فقدم لنا مؤلفا أصيلا ونفيسا، لا يمكن لأي باحث في تاريخ المغرب والأندلس أن يستغني عنه، فهو فسيفساء تاريخية تحوي إبداعا في رصد تاريخ المغرب والأندلس من فجر الإسلام إلى ظهور بني مرين، فأرّخ للحكام والأسر بأسلوب غاية في القوة والجمال، وبالرغم من المؤاخذات على الكتاب، إلا أنه يبقى أفضل ما جادت به قريحة مؤرخ، وأروع ما ألف في تاريخ المغرب والأندلس لتنوع مادته، وثراء معلوماته ولا نغالي إذا قلنا أن الكتابة التاريخية عند ابن عذاري قد بلغ الأوج ترتيبا وعرضا ومنهجا.

---

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 133/1، 166، 182.

[2]: محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص122-123.

[3]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، ص125-126.

2- ابن عذاري المراكشي وكتابة تاريخ عالمي عن المشرق

- أخبار المشرق في كتاب البيان المغرب:

يذكر ابن عذاري في ثنايا كتابه "البيان المُغرب"، أنه قام بتأليف تاريخ عن المشرق يبدو أنه كتبه قبل بيانه المُغرب وعنونه بـ: **"البيان المُشرق في أخبار المَشرق"**. ولكن هذا الكتاب ما زال مخطوطا، أما الإحالات القليلة التي أشار فيها ابن عذاري إلى كتابه هذا، فتتضمن معلومات عن العصر الراشدي، والدولة الأموية، والدولة العباسية[1]، والفاطميين في مصر[2]، ويشير ابن عذاري إلى بيانه المُشرق حين يسوق خبر يزيد بن معاوية حيث يقول:" وقد ذكرنا أخباره في تأليف"، ويبدو أنه يقصد بيانه المشرق[3]، كما وردت إشارات أخرى عن أخبار مشرقية، يعتقد أنه استلها من كتابه عن المشرق، لكنه لم يشر إلى ذلك صراحة مثل بعض أخبار الفتوح في المشرق، وذكر وفيات عدد من الصحابة في سنوات متفرقة[4] وغيرها[5].

لم يهمل ابن عذاري في بيانه المغرب أخبار المشرق نظرا لأهميتها بحكم دار الإسلام، والعلاقة التي ربطت بين المشرق والمغرب سياسيا وعلميا، وحتى روحيا، فذكر ابن عذاري بعض أحداث المشرق الكبرى بما توافق السنة التي يؤرخ لها من تاريخ المغرب والأندلس، وأهمية ذلك الخبر بالنسبة لما يرويه، وقد تكرر هذا في مواضع من كتابه كفتح بيت المقدس سنة (583هـ/1187م) من طرف موحد الجبهة الإسلامية صلاح الدين يوسف بن أيوب[6]، وإيراد أخبار الخليفة العباسي المهدي حيث يقول:" وقد ذكرنا بعض أشعاره وأخباره في (تأريخ المشرق)، والغرض منها ذكر أخبار المغرب الأقصى والأوسط[7]، وكذلك في سرد خبر الخليفة الفاطمي العزيز

---

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 14/1-15، 66.

[2]: أشار ابن عذاري المراكشي لكتابه **"البيان المشرق"**، في كتابه الشهير" **البيان المغرب"** وأحال إلى أخبار ذكرها فيه من أخبار المشرق، انظر: ابن عذاري، **البيان المغرب**، 14/1- 15، 23، 66، 80، 229.

[3]: نفسه، 23/1.

[4]: نفسه،14/1-15، 88،288.

[5]: طه ذنون، مرجع سابق، ص35-35.

[6]: نفسه، ص117.

[7]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 80/1.

العزيز بالله نزار يقول:" وقد ذكرنا بعض أخباره في أمراء مصر في أخبار المشرق. وهو هنا يحيل القارئ إلى التوسع في أخبار المشرق بالرجوع إلى كتابه الذي لم يصلنا، والذي ذكره في مقدمة كتابه " البيان المشرق في أخبار المشرق"[1].

ويتضح مما تقدم أن كتاب " البيان المُشرق في أخبار المَشرق" يمكن أن يكون كتابا جامعا تناول فيه ابن عذاري أخبار المشرق العربي الإسلامي، والدول التي قامت فيه. وقد عَدَّ مصر من ضمن المَشرق، فذكر أخبار أمرائها هناك[2]؛ فعلى سبيل المثال، لم يفصل في الحديث عن العزيز بالله الفاطمي، نزار بن المعز (365هـ-386هـ/975-996م) في أخبار سنة (365هـ/975م) بل أحال القارئ إلى كتابه عن المشرق بالقول: " وقد ذكرنا بعض أخباره في أمراء مصر في (أخبار المشرق) "[3]. ولابن عذاري مؤلف مؤلف أخر تناول فيه أخبار يزيد بن معاوية رضي الله عنه، كما صرح بذلك في الجزء الأول من كتاب البيان المغرب[4]، ولم يذكره أحد ممن ترجم لابن عذاري.

---

[1]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 80/1، 229.

[2]: طه ذنون، مرجع سابق، ص35.

[3]: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 299/1.

[4]: نفسه، 23/1.

المبحث الثالث: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: من تاريخ للمدينة إلى كتابة عالمية جزئية.

لم يقصد مؤلف كتاب " الحلل الموشية في الأخبار المراكشية" التأريخ لمدينة مراكش العاصمة العظمى لدولتي المرابطين والموحدين التي شهدت أهم الأحداث الكبرى في تاريخ المغرب والأندلس ووصفت بـ" بغداد المغرب" بل قصد أشياء أخرى أبعد من عنوان الكتاب نفسه، وباستثناء ما كتبه المؤلف عن تأسيس المدينة، وما ذكره عن بعض مؤسسات المرابطين والموحدين بها، وما ساقه في خاتمة الكتاب من أخبار مجملة، فإننا لا نجد شيئا ذا أهمية عن تاريخ مدينة مراكش وعمرانها وخططها الذي ذكره الرحالة والجغرافيون، كما لم يتطرق لأهم أعلامها الذين نزلوا بها في مختلف العصور، وبالرغم من أن عنوان الكتاب يوحي بأنه يندرج ضمن تاريخ المدن، إلا أنه بالنظر إلى مفاصله الموضوعية والزمنية لا يدخل ضمن الكتابة التاريخية حول تاريخ المدينة المغربية، بل يؤرخ لتاريخ العدوتين المغرب والأندلس في فترة حافلة وحاسمة من تاريخ الغرب الإسلامي، وهو ما يضعه ضمن الكتابة التاريخية العامة التي حاول فيها المؤلف الجمع بين تاريخ القطرين (المغرب والأندلس) زمن المرابطين والموحدين في شكل كتابة جامعة لتاريخ الغرب الإسلامي الذي يوصله إلى أخبار بني مرين.

1- نسبة كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية.

كتاب الحلل الموشية كتاب هام غير أن مؤلفه مجهول بالرغم من المخطوطات العديدة التي وصلتنا[1].

---

[1]: المخطوطة الأولى للكتاب موجودة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (د 1428)، في شكل مجموع به تسعة مصنفات، آخرها الحلل ترتيبا، الذي يبدأ من الصفحة 191 إلى الصفحة 259. انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 342/2. وتوجد نسخة أخرى بنفس الخزانة تحب رقم (د 1536)، لكنها مبتورة الأول والآخر، والمخطوطة (03) بباريس تحت رقم (825)، والمخطوطة الرابعة بلشبونة في أكاديمية العلوم، والمخطوطة الخامسة بيابرة تحت رقم رمز (CXVI)، والمخطوطة السادسة بليدن تحت رقم (1-24)، والمخطوطة السابعة بمجمع التاريخ بمادريد، والثامنة كان يملكها ليفي بروفنسال، إضافة إلى امتلاك عامل بالقنصلية الإسبانية لنسخة مخطوطة من الحلل، ولطالب الحرجاوي من

كل مخطوطات الحلل الموشية لم يرد فيها اسم المؤلف الذي بقي مجهولا، وعمل المحققون على البحث عن مؤلف الكتاب بعد جهود بذلوها بتتبع المعلومات الواردة في المخطوط، أو الإشارات في مؤلفات أخرى إلى كتاب الحلل، والتي تكشف عن المؤلف الحقيقي لكتاب الحلل.

عرف كتاب الحلل من خلال طبعتين صدرت الأولى بتونس سنة (1329هـ/1910م)، عن مطبعة التقدم الإسلامية، على نفقة الحاج الحاج عبد الله بن الحسين الكاهية الجراري المغربي السوسي، وإبراهيم بن محمد العيسى، وصححه بشير الفورتي[1]، ونسب الناشرون الكتاب خطأ للسان الدين بن الخطيب لأن تاريخ تأليف المخطوط ورد في آخر قطعه وهو سنة (783هـ/1381م) كما جاء في نصه (..إلى هذا العهد الذي ألفت فيه هذا المجموع وهو يوم الخميس الثاني عشر لشهر ربيع الأول من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة) [2] أي بعد سبع سنوات من وفاة ابن الخطيب (776هـ/1374م). كما أن صدور الأمر بتأليف الكتاب عن مراكش كان أثناء حصارها من طرف الأمير أبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني سنة (784هـ/1383م)، وكانت دولة الأمير الأولى ما بين (775-785هـ/1374-1384م)، وهو الذي قبض على لسان ابن الخطيب الذي فرّ إلى بلاد المغرب[3] ليسلمه للغني بالله بغرناطة، وبهذا لا يمكن بأي حال أن يكون ابن الخطيب هو صاحب المخطوط، ومؤلف الحلل الموشية، وبالنظر إلى مضمون الكتاب يبدو من تصدير الكتاب المسجّع أنه من تأليف ابن الخطيب أديب غرناطة الكبير، ولكن بتجاوز التصدير نجد أسلوبا آخر تماما خال من السجع وبعبارات بسيطة قد تكون

تلمسان يملك مخطوطة من الحلل. انظر: الطاهر أحمد مكي، **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، مجلة كلية دار العلوم، العدد 5، كلية دار العلوم، القاهرة، 1976م، 24-25.

[1]: لسان الدين محمد بن عبد الله ابن الخطيب، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تحقيق السيد البشير الفورتي ، مطبعة التقدم الإسلامي، تونس، 1329هـ، ص1.

[2]: مجهول ، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار، وعبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط1 1979 ، ص 181

[3]: نفسه ، ص 6- 7- 8.

لقصاص أكثر منها لمؤرخ وأديب ألمعي مثل ابن الخطيب، كما أننا لا نجد أي إشارة لمؤلفاته، ولا ذكرياته التي طالما كان ابن الخطيب يشير إليها، والناشرون بهذه النسبة الخاطئة لم يشيروا لمصادرهم التي اعتمدوها، كما أن تحقيقهم اعتمد على نسخة واحدة مع بعض الأوراق من مخطوطة أخرى[1].

أما الطبعة الثانية للحلل الموشية فقد نشرت بالرباط سنة (1355هـ/1936م) من طرف يهودي مغربي اسمه علواش في سلسلة " النصوص العربية للمعهد العالي للدراسات المغربية"، ولم ينسب فيها الكتاب لأحد، مع أنه اعتمد على مخطوطة الجزائر (رقم 8) التي كان يملكها المستشرق ليفي بروفنسال، وأيضا على القطعتين اللتين نشرهما المستشرق الهولندي رينهارت دوزي في كتابيه "العباديون" و"أبحاث في الأدب الأندلسي"، ومع أنه استطاع تجاوز الكثير من أخطاء الطبعة التونسية لم يعتمد باقي المخطوطات الموجودة للكتاب[2].

وذكر علواش أن أبا عبد الله محمد بن محمد بن الموقت المراكشي، أشار في كتابه" السعادة الأبدية في التعريف برجال الحضرة المراكشية" إلى الحلل الموشية من بين مصادره ونسبها إلى أبي عبد الله محمد بن أبي العلاء ابن السماك المالقي[3].

وهناك دراسة أخرى بتحقيق سهيل زكار، وعبد القادر زمامة طبعت سنة (1398هـ/1979م) لم ينسب فيها المخطوط هي الأخرى لأحد، وأشار الباحثان إلى أنها لمؤلف أندلسي من أهل القرن (08هـ/14م)، ولم يكلفا أنفسهما عناء البحث عن المؤلف الحقيقي بسبب الظروف التي صاحبت تأليف الكتاب والتي يصعب في ظلها تحديد كاتبه، ولم يقفا على رأي أبي الربيع سليمان بن محمد الحوات الحسني (ت 1232هـ/1816م) في كتابه " الروضة المقصودة في مآثر بني سودة"، والذي نسب

[1]: الطاهر أحمد مكي، مرجع سابق، ص27.

[2]: نفسه، ص27.

[3]: نفسه، ص27.

الكتاب لأبي العلاء بن السماك[1] بحجة قلة المعلومات للتعرف على هذه الشخصية فأوقفا البحث بقولهما (لا يمكننا المضي في البحث في هذه القضية)[2].

إنّ الرأي الذي ذهب إليه كل من سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، لم يلق قبولا عند عموم الباحثين، فنجد المؤرخ المغربي محمد بن شريفة يقول:" لست أفهم لماذا لم يأخذ هذان المحققان بقول مؤلف البدور الضاوية، ونظن أنه لم يقل هذا جزافا فلعله وقف على نسخة منسوبة إلى مؤلفها المذكور"[3]، ويبدو أنهما لم يطلعا على مختلف الدراسات المنجزة حول نسبة الكتاب[4] كالبحث الذي أنجزته كدراسة ماريا خيسوس"حول من يحتمل أن يكون مؤلفا لكتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" [5]، وتحقيق محمود مكي لمخطوط "الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة " الذي تعرض فيه لمسألة نسبة كتاب الحلل. وبالنظر إلى رأي عموم الباحثين فإننا نجدهم ينسبون الكتاب لابن السماك استنادا إلى بعض الدلائل والملاحظات التي استخرجوها بعد المقارنة بين كتابي ابن السماك "الزهرات المنثورة

---

[1]: هنا ينبغي الإشارة إلى أن الاسم الوارد عن هذه الشخصية بكتاب الحلل المحقق من طرف سهيل زكار وعبد القادر زمامة جاء بلفظ (بن السماك) دون تشكيل أو إرشاد أما بكتاب الزهرات المنثورة المنسوب له أيضا ذكره محمود مكي بلفظ (بن سماك) وفصل في ذلك فقال أن هذا هو الصواب بكسر السين دون تشديدها، وفتح الميم و معناه الارتفاع – كما جاء بلسان العرب مادة س م ك – كما يمكن أن يكون (ابن السماك) بكسر السين المشددة و يقول أن هذا المعنى سيظهر كذلك في الترجمة التي أوردها ابن الخطيب عنه، أما طريقة كتابة هذا الاسم بغير ما سلف ذكره لا مبرر لها . ابن سماك العاملي، **الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المنثورة** ، تحقيق محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد 1979-1980م، ص 5- 6.

[2]: **الحلل الموشية**، ص9.

[3]: رشيد العناني، **دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة و البشر**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1997م، ص 214 – 215

[4]: يبدو أن المحققين كان هدفهما المادة التي يحويها المخطوط وما فيه من معلومات نفيسة بغض النظر عن كاتبه، ويظهر ذلك من خلال عرضهما لمسألة نسبة المجموع في فقرة لا تتجاوز النصف صفحة، وهذا يكاد أن يكون اختصارا مخلا، إلى جانب اكتفائهما بعرض برأي مؤرخ واحد ثم رده، كما أنهما لم يعرجا حتى على الدراسة السابقة التي أخطات في نسبة المخطوط لابن الخطيب، ثم إغلاقهما للمسألة، والحكم عليها بالعقم، في حين غيرهم من المؤرخين واصلوا و استمروا في البحث إلى أن اتفقوا على رأي واحد وتوصلوا إلى نتيجة حكموا عليها بالقطعية.

[5]: Maria JesusRubiera sur un possible auteur de la chronique intitulee Al- Hulal al-mawsiyya: fidikr al-ajbar al-marrakusiyya , en 2 coloquio Hispano – Tunicino pp143-146

في نكت الأخبار المأثورة" و "رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير " مع كتاب "الحلل الموشية "، ومن بين الآراء الملاحظات التي قد تحسم نسبة الكتاب تشابه أسلوب عرض المادة، وطريقة ترتيبها بين الكتب الثلاثة المذكورة [1]، كإيراد عبارات متشابهة في اللفظ، ومتقاربة في المعنى، في كتابي" الحلل" و "الزهرات" فيذكر في مقدمة الكتابين مبجلا للسلطان النصري الغني بالله (حامل الكل وكافل لكل)[2]، وفي الكتاب الثاني يقول: (حامل الكل وكافل الخلق)[3]، وفي عبارة أخرى يقول: (وهذا حين الابتداء بما أشرت إليه من الأنباء)[4] ويأتي ما في معناها في كتاب " الزهرات" قوله: (وهذا حين الابتداء بالزهرات)[5]، وهذا التوافق والتماثل والتكرار لا يمكن أن يصدر من مؤلفين، وفي نفس الموضوع والموضع من الكتابين[6]، ولعمري إنه لدليل قوي يوحي بأن صانع كتاب " الحلل" هو نفسه مؤلف كتاب " الزهرات".

ويضاف إلى ذلك عدم تعرض الكتابين لأخبار الدولة النصرية خصوصا عصر السلطان الغني بالله الذي ألف له الكتابين، ولم يرد فيهما سوى الدعاء له، ويبدو أن التشابه بين الكتابين طال خاتمتهما أيضا، والتي ضمنهما المؤلف الدعاء لدولة بني نصر بطول التعمير، ومدح سلاطينها، وخصّ منهم " الغني بالله "، الذي مجده بمختلف عبارات وألفاظ الأبهة والجلال نتيجة ازدهار البلاد ورفاهيتها في فترة حكمه، ولا شك في أن التوافق في الأسلوب والأفكار يدفعنا إلى القول بأنها صدرت من محل واحد، وجعبة واحدة دلت على صاحبها الذي أخفى هويته، وهي إشارات

[1]: رشيد العناني، مرجع سابق، ص 214- 215.

[2]: مجهول، **الحلل الموشية**، ص13.

[3]: ابن سماك العاملي، **الزهرات المنثورة**، ص49.

[4]: مجهول ، **الحلل الموشية**، ص 14

[5]: ابن سماك العاملي، **الزهرات المنثورة**، ص50.

[6]: فالكاتب رغم عدم حديثه عن أخبار سلطانه إلا أنه عمد إلى الدعاء له و إظهار الطاعة و الولاء له في نفس الموضع بكلا الكتابين في بداية المقدمة و في معظم الخاتمة ، حتى العبارات المتشابهة لم يجذب الانتباه إليها تطابق و تقارب الألفاظ و المعاني فقط بل كان مكان استعمالها نفسه أيضا.

ترفع الغموض، وتقطع كل نزاع حول نسبة الكتاب كما يقول المؤرخ محمد بن شريفة[1].

وفي دراسة أخرى لكتاب " الحلل الموشية" بتحقيق عبد القادر بوباية الصادرة سنة (1430هـ/2010م) اعتمدت آراء المؤرخين والمحققين السابقين الذي قالوا بنسبة الكتاب لابن السماك العاملي، وقد حظي هذا الرأي بالقبول والاعتماد عند العديد من الباحثين المتأخرين أمثال الأستاذ عبد العزيز الساوري[2]، بحيث أصبح الكتاب يُنْسبُ مباشرة لابن سماك، ولم يعد مؤلف " الحلل الموشية" مجهولا بفضل جهد الباحثين والمحققين في تتبع الإشارات، واستخراج الدلائل وتسجيل الملاحظات التي فصّلت في نسبة الكتاب، وقطعت الشك باليقين، فمن هو ابن السماك الذي نسب له الكتاب.

إنّ مؤلف كتاب "الحلل" هو أبو القاسم ابن أبي العلاء محمد بن محمد ابن سماك العاملي المالقي، ويكنى تارة " أبا القاسم" وأخرى " أبا عبد الله" على عادة أهل الأندلس آنذاك [3]. والده أبو العلاء محمد ابن سماك، وفي مؤلفات أخرى يقال له أبو المعالي، ويبدو أن الخلاف سببه خلط النساخ بين اللفظين كون أصلهما واحد [4]. نشأ نشأ أبو القاسم على نهج والده فكانا من كتاب ديوان الإنشاء [5]، على عادة أفراد أسرته أسرته التي خدمت ملوك بني نصر بغرناطة[6].

وتنتمي أسرة بني سماك إلى قبيلة عاملة إحدى القبائل اليمنية التي قدمت من الأردن نحو مالقة التي استقرت بها [7]، وقد تُرجم لبعض أفراد هذه الأسرة، وذكر خبر

---

[1]: رشيد العناني، مرجع سابق، ص216.

[2]: عبدالعزيز الساوري رئيس مصلحة المخطوط والمكتبات التراثية بوزارة الثقافة والشباب والرياضة بالرباط، له مقالات عديدة في مجال التاريخ المغربي الأندلسي من بينها "حوار مع الدكتور محمد بن شريفة حول كتابه ابن مغاور الشاطبي " و "صناعة المخطوط الأندلسي" و" البياضي آخر الوراقين في الأندلس".

[3]: ابن سماك، **الزهرات المنثورة**، ص46.

[4]: نفسه، ص43.

[5]: نفسه، ص14.

[6]: نفسه، ص43.

[7]: نفسه، ص9-10.

رحلتهم من مالقة نحو غرناطة، ووردت أسماء لعلمائهم وأشياخهم في حين لم يصلنا عن صاحب المخطوط سوى ما كتبه عنه شيخه ابن الخطيب[1] الذي قال عنه (من كتاب الدولة تولاه الله فاضل نجيب، ولدواعي المجادة والإجادة مجيب و نوارة مرعى خصيب، وفائز من سهام الإدراك بنصيب فصاله بارعة، ونصاله شارعة، وشمائله إلى نداء الفضائل مسارعة على حداثة يندر معها الكمال، وتستظرف الأعمال فإن انفسح مداه بلغت السماك يداه) [2] رغم خلو هذه الترجمة الأدبية من معلومات تاريخية وأخبار شخصية، إلا أنه من خلال أسلوب ابن الخطيب الأبوي في الحديث عن محمد ابن سماك تظهر حداثة تولي مؤلفنا لمنصبه في ديوان الإنشاء[3]، كما تتضح تتضح الصورة الحسنة عن العلاقة الطيبة التي جمعت بين الطالب وشيخه من خلال تضمين ابن الخطيب في ترجمته لأبي القاسم قصيدة [4]كتبها هذا الأخير عنه اعتزازا وفخرا به.

بعد الفصل في نسبة مخطوط " الحلل" لابن السماء، ولمعرفة زمن التأليف وظروف الكتابة ينبغي الحديث عن الظروف التاريخية المصاحبة لذلك في مدينة غرناطة التي نشأ فيها المؤلف، وأهم الأحداث التي مرت بها المدينة. لقد كان تاريخ تأليف المخطوط سنة (783هـ/1381م) ، وخلال هذه السنة كانت غرناطة النصرية في قمة الذروة سياسيا وعسكريا، وتعيش سلما نتج عنه استقرار وازدهار، ورخاء وخيرات بكامل البلاد وصفها المؤلف في خاتمة الكتاب، ويبدو أن ذلك عائد إلى كفاءة – الغني بالله- وحسن تدبيره، ورعاية لمصالح الأمة، وحسن علاقته مع الملك المسيحية، والفضل الأول في التخطيط لذلك يرجع لمؤرخ غرناطة وأديبها، ووزيره

---

[1]: ابن سماك، **الزهرات المنثورة**، ص13.

[2]: لسان الدين ابن الخطيب، **الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص299-300.

[3]: ابن سماك، **الزهرات المنثورة**، ص14.

[4]: انظر ترجمة ابن الخطيب لان سماك في الكتيبة الكامنة، ص300-301.

السابق لسان الدين ابن الخطيب [1]، الذي قال قبل مغادرته لغرناطة (وشرعت في عقد السلم مع العدو لسنين، ورتبت الأمر ترتيب الآباء للبنين، ورجوت إحسان الله لي)[2].

أما بلاد المغرب فأحوالها كانت سيئة أواخر القرن الثامن الهجري بسبب المشاكل السياسية والفتن الداخلية والخارجية بين الكيانات المدعية للإرث الموحدي، فاستمر الصراع المريني الزياني لسنوات, فساءت الأحوال, وسالت الدماء و سادت الفوضى والخوف محل الأمن والسلام حتى أصبحت بلاد المغرب ساحة قتال ومواجهة، و لم تقف الأمور عند هذا الحد بل ظهرت شخصية حاولت استغلال هذه الظروف العصبة والموحلة لزيادة حال البلاد سوءا و تقهقرا، وهي السلطان النصري محمد الغني بالله حاكم غرناطة الذي كان هدفه تفكيك بلاد المغرب، وإضعاف سلطة بني مرين بفاس بالتدخل في شؤونهم بعد أن كان له مساب فضل وإحسان لهذا السلطان في أشد أيامه الصعبة، لكنه قابل الإحسان بالإساءة، ولم يقف موقف المحايد أو الناصح بل إلى كل الحيل لإضعاف سلطة بني مرين في البلاد، وكان لفرار وزيره لسان الدين بن الخطيب ذائع الصيت إلى بلاد المغرب سببا رئيسا في تعمق حقده على بني مرين الدين رفضوا تسليم الوزير، فقام هذا الأخير بتحريض أميرين مرينيين عبد الرحمان بن علي، وأبو العباس أحمد اللذان كان لهما بعض الضغينة على بني سلالتهم بفاس فأمدهما بالجيش والعتاد فأشعلا نار التمرد والفتن بالبلاد، وقد نجحا في ذلك، واستولى الأمير الأول على مراكش، والثاني على فاس ثم شرعا في تقسيم بلاد المغرب لصالحهما[3]. ومن ثمَّ تمكن السلطان النصري من الاستيلاء على جبل طارق، وإلغاء منصب شيخ الغزاة المغاربة الذي كان يمثل الوصاية العسكرية المرينية على الأندلس، ثم ألقى القبض على ابن الخطيب، وتمّ قتله في سجنه بفاس أواخر سنة (776هـ/1374م)[4] .

---

[1]: ابن سماك، **الزهرات المنثورة** ، ص22-23.

[2]: لسان الدين ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ج1 و2.

[3]: مجهول، **الحلل الموشية**، ص6-7.

[4]: ابن سماك، **الزهرات المنثورة**، ص23.

لم يدم الود طويلا بين الأمرين المرينيين طويلا فقد حوصرت مراكش من طرف أبي العباس أحمد صاحب فاس، وأثناء هذا الحصار جاء الأمر من الغني بالله[1] بتأليف هذا الكتاب[2] الذي يعد من الوسائل المعنوية التي مارسها السلطان لغايته المذكورة[3]، ثمّ تمكن أبو العباس من دخولها وقتل الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن سنة (784هـ/1382م)، وبعد مدة قصيرة أعاد بنو مرين الاستقرار لبلاد المغرب، واستبعد تدخل بني نصر في توجه بلاط فاس، واستمر بنو مرين في سياستهم القائمة على وحدة بلاد المغرب ما جعل مؤلف " الحلل" يخفي اسمه وهويته، لأن الكتاب ألف برسم سلطان الدولة النصرية -الغني بالله- والذي أبان فيه المؤلف عن ولائه له، ولم يذكر شيئا عن نفسه سوى جمعه لمخطوطه.

2- منهج المؤلف في كتابة مخطوط الحلل الموشية.

وصل إلينا مخطوط الحلل كاملا غير مبتور واستهله ابن سماك بالبسملة والصلاة والسلام على المصطفى ثم عنون كتابه، لينتقل بعده إلى مقدمته التي شرح فيها بالتفصيل جل ما يحويه مؤلفه بشكل يزيل الغموض، ويوضح المضمون، فكانت مقدمة المجموع بمثابة فكرة عامة مركزة تعرض باختصار ما سيقف عليه القارئ في هذا الكتاب .

[1]: مع أن الكاتب لم يذكر أنه الف كتابه تلبية لرغبة السلطان النصري وإستجابة لأمره بل يجعل من الحصار الذي رفع على حاضرة مراكش و الفوضى التي عمتها و حزن الناس عليها سببا لكتابة مؤلفه .

[2]: مجهول، **الحلل الموشية**، ص8.

[3]: بعد علمنا أن الكتاب ألف لغرض تحقيق هدف السلطان النصري و أنه من الوسائل المعنوية المستعان بها في ذلك يخطر التساؤل الآتي لماذا حمل الكتاب في عنوانه إسم مراكش بالتحديد ؟ قد يكون الجواب احد هذين الإحتمالين : إما أن يكون الهدف هو إغاضة أمير فاس و زيادة إشعال نار الحقد و النزاع خاصة و أن هذا الأمير محاصر لمراكش فكأن هذا السلطان يمثل موقف مشجع النزاع المحافظ على الحرب الخلاف . أو كون حاضرة مراكش عاصمة الدولتين السابقتين للدولة الحالية التي قامت على انقاضهما فتجاهلا و رفضا لها و لعاصمتها الجديدة فاس و حنينا لما كان قبلها في إطار العمل على القضاء على الحكم المريني بها جاء الأمر بتأليف هذا المجموع . هذا ما يظهر و الله أعلم بنواياه .

بعد إتمام المقدمة شرع الكاتب في أول موضوع وهو الحديث عن مدينة مراكش والتي لم يخصص لها سوى صفحتين[1] يذكر فيهما الكاتب سبب اختطاطها، كيفية تعميرها ليصل تدريجيا إلى اتخاذها معقلا لدولة الملثمين، ثمّ ينتقل إلى أهم فصول الكتاب بالحديث المفصل عن تاريخ الدولة المرابطية، وصدر الدولة الموحدية حتى نهاية خلافة عبد المؤمن بن علي، واستعراض خلفائها بإيجاز حتى سقوطها ليصبح بعد ذلك رواية شديدة الاختصار تقتصر على سرد أسماء سلاطين بني مرين حتى عهد الكاتب[2].

أما من ناحية الأسلوب الذي انتهجه ابن السماك في عرض أفكاره، والطريقة التي طبقها في بناء عمله، نجده اعتمد الإيجاز والاختصار، وتجنب الإطالة والإطناب، وهذا يلاحظ من خلال تكراره للعبارات الدالة على حرصه في جعل كتابه مختصرا[3] غير مطولا مثل قوله عن ابن تومرت: (ناظرهم في مسائل من العلم لا يتسع إيرادها في هذا المختصر)[4]، و قوله أيضا (ليس هذا الموضع محل بسط القول وتقصي الأنباء إنما بني فيه على الاختصار و إطراح التطويل)[5].احترامه للتسلسل الزمني، وتقييد كل حادثة بتاريخها، ومكانها كتاريخ تولي السلاطين والأمراء مناصبهم[6]، وتاريخ الحروب كمعركة الزلاقة[7] ومعركة الأرك[8] وغيرها، مثلما جاء في

---

[1]: رغم أن الكتاب عنون باسمها ما يجعلنا نستنتج أن العنوان بعيد عما يحويه الكتاب الذي يمكن تصنيفه ضمن كتب التاريخ العام و لا علاقة له بكتب تاريخ المدن. انظر كتاب **الحلل الموشية**، لمؤلف مجهول، ص 04

[2]: ابن سماك، **الزهرات المنثورة**، ص 40

[3]: فلا نستطيع جعل إيجازه في عرض أخبار دولة بني مرين دليلا على اعتماد الكاتب أسلوب الاختصار لأنه فصل قبل ذلك و أطال في الحديث عن دولة المرابطين و بداية الموحدين فلو أراد المواصلة بنفس الأسلوب لكان له ذلك إلا أن الفكرة التي ألف من أجلها الكتاب حالت دون ذلك .

[4]: مجهول، **الحلل الموشية**، ص101.

[5]: نفسه، ص186.

[6]: نفسه، ص171.

[7]: نفسه، ص66.

[8]: نفسه، ص159.

في قوله: (ووضعت كل نازلة في زمانها مندرجة في اسم سلطانها ،وسقت خبر ملوكها أحسن مساق على انتظام من القول و اتساق)[1].

ومن دلائل حرص ابن السماك على ترتيب وتنظيم أفكاره أيضا، عدم عبوره المباشر إلى العنصر الموالي في الكتاب بل يخاطب القارئ، ويوضح له الموضوع اللاحق كأن يقول: (وأشير إلى شيء من سيرته..ثم أعود إلى التعريف بذكر ولده، وولي عهده، وما جرى من الحوادث من بعده ...من أحوال مراكش وأخبارها في مدة حصارها إن شاء الله)[2]، أو قوله: (وإتمام خبره يأتي بعد في اسمه إن شاء الله)[3]، أي في في العنصر الموالي المسمى باسمه، كذلك أثناء حديثه عن عبور الأمير يوسف بن تاشفين إلى الأندلس أربع مرات يقول إثر الانتهاء من كل واحد منها: (وهذا تلخيص الخبر عن جوازه الأول للأندلس بحول الله و قوته)[4].

ويظهر كذلك أسلوب الكاتب الأدبي التاريخي ولغته الفصيحة[5] في استعماله للصور البيانية، والمحسنات البديعية مثل قوله: (عظمت الهجمات تطحن رؤوس رجاله و مشاهير أبطاله)[6]. كما يظهر تأثره بدينه سواء في اقتباسه كلمات وألفاظ من القران الكريم والحديث النبوي الشريف كقوله: (فلما تراءى الجمعان اضطربت المحلتان)[7] و قوله: (وأنه لم يكن بداءة منهم..والبادئ أظلم)[8]، أو في طريقة حديثه عن عن ملك قشتالة الأذفنش، وتلقيبه بالطاغية واللعين [9]، والدعاء عليه إثر ذكر اسمه

---

[1]: مجهول، **الحلل الموشية**، ص13.

[2]: نفسه، ص81.

[3]: نفس، ص102.

[4]: نفسه، ص66.

[5]: إذ هناك العديد من الكتاب المغاربة و الأندلسيين من وصلتنا مخطوطاتهم تتخلل كتابتها بعض الكلمات بالدارجة أو باللهجة المغاربية والأندلسية.

[6]: نفسه، ص61.

[7]: نفسه، ص122.

[8]: نفسه، ص86.

[9]: نفسه، ص54.

بقولـه:" لعنـه الله"[1] مقابـل التـرحم علـى شـهداء المسـلمين، والتغنـي بفتوحـاتهم وبطولاتهم[2].

ضمن ابن السماك كتابه العديد من الأبيات الشعرية المنسوبة غالبيتها لقائليها مثل البيتين اللذين أنشدهما ملك صنهاجة[3]، وشعر أحد الصالحين عن زوال ملك الموحدين، وأخرى وجدت على الجدران[4]، وغيرها من القصائد سواء القصيرة أوالطويلة كقصيدة ابن الصيرفي التي هنأ فيها أميره تاشفين بن علي على انتصاره في إحدى الغزوات التي خصص لها خمس صفحات و نصف[5].

كما أكثر ابن السماك من إيراده لنصوص الرسائل المتبادلة بين الأمراء، والولاة ونصوص تولية العهد [6]، فيذكر نص المكتوب كله من البسملة حتى السلام سواء طال طال أم قصر مثل رسالة أمير المسلمين، وناصر الدين ابن تاشفين إلى الكافة والخاصة من بني فلان [7]، وذكر كتاب الخليفة العباسي إلى الأمير المرابطي[8]، وما دار من رسائل بين ملك قشتالة الأذفنش، والمعتمد بن عباد[9]، كما يميز بين الرسائل التي يكتبها الأمير أو الخليفة، وبين الذي يكتبها هذا الأخير. كما عمد في جمع أخباره وخاصة البعيدة عنه زمانيا أو مكانيا إلى الرجوع والأخذ عن مصادر غيره من

---

[1]: نفسه، ص56.

[2]: هنا يحضرنا قول بعض الباحثين و الذي يظهر أنهم متاثرون بالمستشرقين أن المؤرخ لا يدخل مشاعره في عمله و لا يذكر مثل هذه الصفات ..فلو كان هذا صحيحا لذم عمل ابن سماك هذا و لم يعد تحفة تاريخية و مصدرا ثمينا عن تاريخ دولة المرابطين و لو تتبعنا رأيهم في ذلك فمن سيدافع عن التاريخ الإسلامي و أين هي شخصية المؤرخ المسلم في كتابه – و حديثنا هذا لا يعني تغيير الحقائق التاريخية أو تزييفها بحجة العاطفة الدينية و الإنحياز لها.–

[3]: مجهول، **الحلل الموشية**، ص18.

[4]: نفسه، ص170.

[5]: نفسه، ص124-129.

[6]: نفسه، ص78.

[7]: نفسه، ص29.

[8]: نفسه، ص87.

[9]: نفسه، ص38-43.

المؤرخين والفقهاء، ونسبة أقوالهم إليهم[1]، لكن طريقته في عرضها بمؤلفه تنوعت في في عدة أشكال تتمثل في ذكر اسم القائل فقط دون ذكر كتابه[2] مثل قوله في نصه قال:" أبو عبد الله محمد بن يحيى الزهري"[3]، و أحيانا يدعم المعلومات التي أخذها من غيره بذكر قرب قائلها من الحدث، واحتكاكه به مثل إخباره عن الفقيه أبي مروان العنري أنه ممن شهد معركة الزلاقة، وممن كانت له ملابسة بتلك الأمور ثم يورد قوله [4].

ويذهب ابن السماك إلى عدم ذكره لمصدر الخبر كأن يقول ما نقله جماعة من علماء التاريخ [5]، أو حكى بعضهم [6]، أو أن يذكر اسم الكاتب وكتابه الذي أخذ منه وهذا قليل جدا يكاد يكون في موضعين وهما كتاب" أنساب الخلفاء والأمراء" لأبي علي ابن رشيق [7]، و"كتاب البيان الواضح" لمحمد بن خلف [8]، وأحيانا يذكر عنوان الكتاب دون اسم مؤلفه مثل" قال مصنف كتاب الأنوار الجلية"[9]، كما يستعمل للإشارة إلى كلام غيره بعض المصطلحات " كأثبت"[10]، و"حكى" [11] و"حدث" [12] و غيرها.

---

[1]: نلمس أمانته العلمية حتى ولو لم يذكر المصدر الذي نهل منه لكنه لا ينسبه لنفسه حتى و إن لم يتوصل لقائله كالبيتين اللذان وجدهما على الجدار.

[2]: ما يشكل على الباحث فيما بعد الوصول إلى الكتاب من قول واحد فقط خاصة إن لم يهتدى للتعريف بقائله أو كان هذا المقطع من المخطوط ضائعا فالكثير من الكتب التي استقى منها المؤرخون المتقدمون مادتهم فتصبح عملية البحث عسيرة

[3]: مجهول، **الحلل الموشية**، ص17.

[4]: نفسه، ص62-63.

[5]: نفسه، ص15.

[6]: نفسه، ص142.

[7]: نفسه، ص103.

[8]: نفسه، ص83.

[9]: نفسه، ص93.

[10]: نفسه، ص103.

[11]: نفسه، ص104.

[12]: نفسه، ص30، 32،78.

ومما يميّز طريقة ابن السماك في الكتابة هو تكراره الكبير في كل الكتاب لعبارة (قال كاتب هذا)[1]، و يقصد بها نفسه فيستعملها أحيانا لإضافة تعليقاته، وأحيانا وأحيانا أخرى للانتقال من كلام غيره من المؤرخين إلى رأيه. إضافة لاستخدامه عبارات يشد بها ذهن القارئ، ويستحضر انتباهه كما لو أنه يروي له الأحداث مباشرة مثل قوله (..إعلم رحمك الله..)[2].

وفي نهاية كتابه يعود ابن السماك لتلخيص ما سلف ذكره من أخبار دولة الملثمين والموحدين وأمراءهم وخلفاءهم، ويكمل ذكر نسب بني عبد الحق ليصل إلى خاتمة عمله، والتي استغرق فيها ثلاث صفحات ونصف يدعو لولي أمره وسلطانه -الغني بالله - ويثني عليه متفائلا بالمستقبل الرحب لبلاد المسلمين .

واستعمال كل هذه الطرق والأساليب يُبيّن أن هدف ابن سماك لم يكن الكتابة و التأليف فقط، إنما جعل القارئ يفهم الحدث ويعيشه لقول الكاتب (.. فيتصور الإنسان الحروب ومكائدها، ومن لم يشاهدها بنفسه فكأنه يشاهدها فالكيّس إذا نظر بفطنته في أخبار الناس، واطلع منها على وصف الحروب والمراس قام له ذلك مقام المشاهدة والعيان)[3].

بعد الحديث عن منهج المؤلف الذي سلكه في كتابه يظهر أن الكاتب نجح في إخراج عمل ميزته الترابط والتسلسل بين فقرات الكتاب، كما أنه قام بتعريف مجموعه في مقدمته بشكل أجاب فيه القارئ عن أسئلته قبل أن يطرحها لكن ما يلاحظ عن أسلوب الكاتب ومنهجه أنّه رغم حرصه على جعل مؤلفه مختصرا نجده يكثر من إيراد رسائل الأمراء والخلفاء، والقصائد الشعرية بطولها وقصرها، وقد يكون هذا مخالفا لهدف الإيجاز.

---

[1]: نفسه، ص15.

[2]: مجهول، **الحلل الموشية**، ص14.

[3]: فلربما كان ذكر مضمونها أو ملخص ما تحويه و الإطالة في أحداث أخرى كالتوسع في أخبار الدولة الموحدية في آخر مراحلها أنفع و الله أعلم .

كما لم يتبع طريقة موحدة في الإشارة إلى المصادر التي استعان بها، والتي تقود كلها إلى صعوبة الوصول أو الرجوع إلى تلك المعلومة، فتارة لا يذكر اسم قائلها، وأخرى لا يذكر اسم كتابه، وأحيانا لا يذكر لا الكتاب ولا المؤلف، وكثيرا ما كان يبالغ في مدح السلطان النصري - الغني بالله- ويثني عليه، ويخصص كل خاتمته و جزء من مقدمته للدعاء له، ونعته بأسمى وأفخم الألقاب، رغم سعيه لتمزيق وحدة بلاد المغرب، وقتل شيخه ابن الخطيب.

كما نلمس في كتابته نوعا من الحنين إلى الدولتين المندثرتين اللمتونية والموحدية، والوحدة الجامعة للمغارب، وذلك بمدح سلاطينها، والدعاء لهم أثناء الحديث عنهم، وذكر عدلهم، وحسن علاقتهم مع رعيتهم كقوله عن الأمير يوسف بن تاشفين: (فجزى الله أمير المسلمين، وناصر الدين أبا يعقوب يوسف ابن تاشفين أفضل الجزاء)[1]، وعن ابنه أنه قال: (قام بالأمور أحمد قيام، وكان يقصد مقاصد العز في طرق المعالي يحب الإشراف، ويقلد العلماء، عظيم البر، كثير الصدقة، قذف الله له في القلوب محبة فاجتمعت عليه الأمة)[2]، وإظهار اشتياقه لفتوحاتهم، وامتنانه لغزواتهم التي مكنوا بها قدم الدين في الأوطان فيقول عن معركة الزلاقة: (فياله من فتح ما كان أعظمه، ويوم كبير ما كان أكرمه فيوم الزلاقة ثبت قدم الدين بعد زلاقها وعادت ظلمة الحق إلى إشراقها)[3]، ثم ختم حديثه عن الملثمين، ودولتهم بشهادات قيلت عنهم في تقواهم وجسارتهم، وحملهم رفع راية الحق، ونصرة الدين على عاتقهم [4]. كذلك في إيراده لأخبار دولة الموحدين نجد مدحه للخليفة عبد المؤمن بن علي الذي كان يؤثر العلماء على أبنائه، ووصفه للهزيمة العظمى التي حلت بالنصارى على يدي السلطان الموحدي يعقوب المنصور في موقعة الأرك[5]، وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي توضح حنين الكاتب، واشتياقه للعدل والسلام الذي كان

[1]: مجهول، **الحلل الموشية**، ص84.

[2]: نفسه، ص66.

[3]: نفسه، ص140.

[4]: نفسه، ص159.

[5]: نفسه، ص175.

بمراكش يوم كانت عاصمة للحكم اللمتوني والموحدي، على غرار الدولة المرينية التي اقتصر فيها على ذكر أنسابها، وتعداد سلاطينها بحجة أن هذا الكتاب لم يوضع من أجل التطويل، ولم يبن على هذا الموضوع، وسيرد لاحقا كتاب يختص، ويفصل في أحداث بني مرين[1]، فكان الكاتب يكثر من التذكير بأنه يتحرى الإيجاز، ويجتنب الإطناب خصوصا في فصل الحديث عن المرينيين، وكأنه يتهرب أو يحاول وضع عذر لنفسه لعدم الخوض في أخبارهم رغم معاصرته لهم، وقربه من الحدث الذي سيولد له رصيد كبيرا، ومعلومات جمّة من الأخبار عن تاريخهم.

---

[1]: مجهول، **الحلل الموشية**، ص176.



الفصل الثاني:

الكتابة التاريخية الأسرية في المغرب الإسلامي

المبحث الأول: الكتابة التاريخية الأسرية المرينية:

تميزت الكتابة التاريخية المرينية خصوصا السلالاتية منها بنماذج مختلفة لمؤرخين اختصوا في التأريخ للسلطة المرينية من موقع قريب من الأحداث، ويبدو أن ظاهرة كتابة الكتاب بأمر السلطان وإهدائه إياه أكثر ما ميز هذه الكتابة، مع وجود من شذَّ عن هذه القاعدة لأسباب فرضها الوضع السياسي المضطرب في المراحل الأخيرة من عمر دولة بني مرين. هذا القرب من البلاط سيفرض أمر توجيه الكتابة التاريخية لصالح حكام فاس الذين حاولوا إثبات شرعية حكمهم عبر وسائل ودعاوى مختلفة منها توظيف التاريخ لخدمة دواليب السلطة.

وبالرجوع إلى حجم الكتابة التاريخية التي أشرف عليها حكام فاس ليترجموا سياستهم، ويدعموا مشروعهم الوحدوي، نجد تنوعا في التوزيع الجغرافي والزمني للكتابة التاريخية المرينية في محاولة منهم إلى إثبات مركزية في بناء العالم الثقافي المريني[1]، وقد تفوقوا في هذا المجال على الكيانات السياسية المعاصرة لهم والمدعية للإرث الموحدي، كالحفصيين في تونس، وبني عبد الواد في تلمسان، وبني نصر في غرناطة.

1- مركزية مدينة فاس في الكتابة التاريخية المرينية:

تُعَدُّ مدينة فاس من أهم مدن المغرب الإسلامي الوسيط منذ ظهورها كعاصمة للأدارسة سنة (172هـ/789م)، وارتباطها بالفرع العلوي الذي حظي بحب وتقدير ساكنة المغرب، لتغيب بعد ذلك عن المشهد السياسي المغربي كمركز له تأثيره، وفي المقابل يتصاعد دور مدن وسيطية أخرى كمدينة مراكش خلال حكم المرابطين والموحدين. غير أن بعث المدينة من جديد في دور أكثر فاعلية سيكون بفضل وصول الجماعات البربرية إلى هرم السلطة، واتخاذ الفرع المريني مدينة فاس عاصمة له أواسط القرن (7هـ/13م).

---

[1]: علاوة عمارة، **الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط**، مجلة التاريخ العربي، العدد32 خريف 1425هـ/2004م، ص354.

المستقبل الجديد للمدينة بدأ في الظهور تدريجيا مع توطيد بني مرين حكمهم، واتخاذهم فاس عاصمة لملكهم؛ حيث شهدت ازدهارا وتطورا سريعا من خلال عمرانها المتباين الذي أبان عن تنوع فئات مجتمع المدينة من قيروانيين وأندلسيين وغيرهم، حتى أضحت أهم المراكز الحضرية في المنطقة مع وجود صراع داخلي بين الفرع البربري الحاكم، ومجتمع المدينة الحضري.

ونظرا لأهمية المدينة تاريخيا خصوصا في الفترة الإدريسية، وما تلاها لاقت اهتمام بعض المؤرخين الذي كتبوا عن المدينة وحكامها منهم أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي[1]؛ الذي كتب كتابا عن تاريخ دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، وأبو طالب الناسك بن أحمد بن عيسى حفيد الإمام إدريس الفاتح ألف "كتاب السفرة "[2]، والمؤرخ الفاسي الفقيه القاضي محمد بن عبد الملك الوذُّون صاحب كتاب "تاريخ الأدارسة"[3]، وإبّان الفترة المرابطية والموحدية استمرت الكتابات عن تاريخ مدينة فاس ضمن المشروع الوحدوي حيث ألّف أبو القاسم بن جنون كتابا بعنوان " تاريخ مدينة فاس"[4]، وأتبعه عبد الملك بن موسى الوراق (كان

---

[1]: ليس هناك تاريخ دقيق لفترة حياته، ويبدو أنه عاش خلال القرن الثالث الهجري، وأدرك بداية القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي، أوائل القرن العاشر الميلادي، وكتابه من أقدم الكتب عن تاريخ الأدارسة، كونه كان معاصرا لبعض أئمتها، وقد نقل شهادات عن والده ومعاصرين آخرين حول هجرة المولى إدريس، وفراره من العباسيين والأغالبة، وبداية تأسيس الدولة. والكتاب مفقود لكن وصلنا منه بعض النقول عند أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق، جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، 302/2 إلى 310. عبد السلام الجعماطي، **ما فقد من التواريخ الفاسية نحو تأصيل لنشأة التدوين التاريخي بالمغرب الأقصى**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثامنة عشر، العدد 72، ، صادرة عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ديسمبر 2010م، صص134 إلى 137.

[2]: ألف الكتاب لحفظ شجرة نسب الأدارسة الأوائل، وكانت هذه المدونة المفقودة متداولة حتى منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي حيث أشار لها؛ واقتبس منها مؤلف " **عمدة الطالب** " ابن عنبة الحسيني (ت 828هـ/1424م). انظر: محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، 137- 138.

[3]: ينتسب هذ المؤرخ لأسرة بني الوذُّون الفاسية العريقة؛ حيث عاش خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، وكتابه من أوثق المصادر السلالاتية (للأدارسة، والمغراويين)، وقد أفاد منه إسماعيل بن الأحمر، انظر: **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، صص36-37.

[4]: عاش خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بفاس، وقد نقل عدد من المؤرخين أمثال: علي ابن أبي زرع ، **الأنيس المطرب**، صص68- 69، 74.

حيا 555هـ/1160م) الذي كتب كتابا بعنوان " المقباس في أخبار المغرب وفاس"[1]، وابن غالب الذي ألف كتابا عن تاريخ دولة الأدارسة[2]، وتبقى هذه المؤلفات التي أظهرت مكانة مدينة فاس وبعض حكامها، وارتبطت أكثر بفترة حكم الأدارسة، والمرحلة الموحدية بشكل أقل في حكم المصادر المفقودة التي حفظت لنا المصادر المتأخرة بعض النقولات عنها.

أ- ابن أبي زرع الفاسي: من كتابة جامعة لتاريخ مدينة فاس؛ إلى كتابة سلالاتية للمرينيين.

ظلت حَاضِرَةُ فاس حَاضِرَةً في كتابات المؤرخين المحسوبين على مدرسة مراكش أثناء الفترة الموحدية، غير أنَّ أهمَّ الأعمال حول المدينة وحكامها ستظهر انطلاقا من مركز المدينة خلال حكم بني مرين الذين وظفوا مؤرخين لتثبيت حكمهم، وتخليد مآثرهم وبطولاتهم، ونجد من بين أهم الإخباريين في هذا الاتجاه كاتب القرطاس[3]، وهو مؤرخ فاسي ذائع الصيت، وذو شهرة واسعة،

---

[1]: كان أحد أنصار الخلافة الموحدية، ونقل عنه جملة من المؤرخين منهم: ابن القطان، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، صص144- 145. وابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب**، 124/1، 253- 254، 78/4، 80، 97. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، 29- 30، 33. الجزنائي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة** فاس، ط2، المطبعة الملكية الرباط، 1991م، ص27. و مؤلف مجهول، **مفاخر البربر**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، 2005م، ص146، 189. انظر أيضا عبد السلام الجعماطي، مرجع سابق، 141- 142- 143.

[2]: لا نجد عنه من المعلومات إلا النزر اليسير، ويبدو أنه عاصر الدولة الموحدية، غير أنه لم يكن من مؤرخيها المعروفين. نجد نقولا عنه عند كل من ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، 59، الجزنائي، **زهرة الآس**، ص27.

[3]: عرف الكتاب باسمه الطويل المجموع " **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**" ، ثم عرف اختصارا **بالقرطاس** فقط في القرنين الأخيرين، ويبدو أن هذه التسمية كما زعم بعض المستشرقين مصحفة عن كلمة القرطاس؛ وهو لقب زيري بن عطية المغراوي غارس الزيتون الذي يمر في وسطه سور فاس؛ وأن القرطاس هو زيتون ابن عطية؛ وهو من منتزهات فاس في العصر الوسيط، وهناك دراسات حول ابن أبي زرع وأنيسه نذكر منها: عبد القادرزمامة، **ابن أبي زرع**، المناهل، العدد 18، 20، سنة 1980م، صص152، 163، 281، 294. محمد التطواني، **التعريف بابن أبي زرع**، مجلة الثقافة المغربية، العدد 9، 10، 1945م، صص480، 483. مزاحم علاوي الشاهري، وسالم محمود عيسى، **المؤرخ ابن أبي زرع ومنهجه في كتاب الأنيس المطرب**، مجلة التاريخ العربي، العدد 34، 2005م، صص، 141، 171. محمد الفاسي، **المؤرخان ابن أبي زرع وابن عبد الحليم حقيق عن مؤلف القرطاس**، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، تطوان، العدد5، 1960م، صص163، 166. محمد ظريف، **طريقة التأليف عند المؤرخين المغاربة في العصر الوسيط، نموذج الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لعلي**

لاقتران اسمه بأهم مؤلف تاريخي عن بلاد المغرب منذ استقلاله عن دار الإسلام إلى قيام الدولة المرينية، ومع هذا لا يوجد إلا نزر يسير من الأخبار حول حياة هذا المؤرخ في كتب التاريخ والتراجم والطبقات. هذه المعلومات القليلة لا تفي بالغرض لدراسة أحداث حياته وتقلباتها وأثرها في طريقة كتابته، ويزداد الأمر أكثر غموضا[1] حول شخص الكاتب حين الاصطدام بخلاف حول تحديد الاسم الكامل والصحيح لمؤلف القرطاس ونسبة الكتاب إليه[2]، وإن كانت الروايات تجمع في غالبها على أن صاحب القرطاس هو ابن أبي زرع[3] المؤرخ المحلي الذي لم يحظ بترجمة وافية تكشف جوانب من شخصيته الفريدة بالنظر إلى قيمة مؤلفه، ومستوى كتابته التاريخية.

بن أبي زرع الفاسي، مجلة تاريخ العرب، العدد3، 1983م، صص81، 97. انظر: مايا شاتزميلر، **المؤرخون والسلطة في المغرب**، تعريب ومراجعة، محمد شقير، محمد ظريف، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص27.

[1]: هناك غموض كبير حول شخصية ابن أبي زرع فلا نعلم إلا النزر اليسير عن تاريخ ولادته أو نشأته أو أخبار عائلته وشيوخه وتلاميذه، ووظائفه في مصادر القرن الثامن للهجرة، أو عند المتأخرين. وكنية ابن أبي زرع هي لثلاثة أعلام من أسرة فاسية واحدة، عاشوا في العصر المريني، وهم (محمد) الذي كان خطيبا ومحدثا بالجامع الكبير بفاس الجديدة (678هـ/1279م) وورد اسمه في الذخيرة وعند المقرّي، و(أحمد) الذي كانت وظيفته القراءة في جامع القرويين إلى حدود سنة (683هـ/) في أواخر دولة يعقوب المريني، وكان أحد فقهاء وشيوخ مدينة فاس، و(علي) الذي بيّن صاحب كشف الظنون أنه محمد بن أحمد الذي كان يشغل منصب كاتب في البلاط المريني، ويذكر محقق القرطاس عبد الوهاب بن منصور في مقدمة التحقيق أن صاحب القرطاس تولي منصب شاهد بسماط العدول، وفي الكتاب ما ينمّ عن ذلك. ابن أبي زرع، **القرطاس**، ص6. خالد غاوش، ابن أبي زرع الفاسي، **مؤرخ ليس له تاريخ**، ص...

[2]: عبد الله كنون، **ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة**، ط1، 2010م، دار ابن حزم، بيروت، ص468، 474.

[3]: ذكره بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة يعقوب بكر، دار المعارف، بيروت، **1977**م، 339/2، باسم" علي بن عبد الله بن أبي زرع "، واكتفى " باسيه " Rene Basset في" **دائرة المعارف الإسلامية**"، 1/ 79 بقوله " ابن أبي زَرْع، أبو الحسن، أو أبو عبد الله، على الفاسي "، ثم تحدث عن كتابيه. وكرر صاحب" **كشف الظنون**"199/1 في الكلام على كتابيه، تسميته " علي بن محمد بن أحمد ابن عمر " قال إنه ألف " **الأنيس المطرب** " قبل سنة 726هـ ، وجاء اسمه على نسخة كتابه، المطبوعة على الحجر: محمد بن عبد الحليم؟ " وقرأت في كناش مخطوط للشيخ عبد الحفيظ الفاسي: كانت وفاة ابن أبي زَرْع سنة 741هـ قاله الشيخ أبو العباس الونشريسي، صاحب" **المعيار**"، في فهرسته. انظر: خير الدين، الزركلي، **الأعلام**، 306/4.

أما تعلق بأخبار عائلته فلا نجد معلومات كافية حولها سوى ما ذُكِرَ من أن ابن أبي زرع كان ينتمي إلى أسرة عريقة، وبيت علم بمدينة فاس[1] بعد العثور على وصية في أحباس المدينة ذُكِرَ في عنوانها أنها تعود لعائلة ابن أبي زرع[2]. وقد نشأ هذا الأخير في الحاضرة المرينية أين احترف التوثيق واستطاع أن يبلغ مكانة علمية مميزة، وكانت له معرفة بتاريخ المغرب، وتاريخ مدينة فاس وجامعها بشكل أخص؛ نظرا لمعاصرته فترة حكم السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (710-731هـ/1313-1331م) الذي ألف له كتاب القرطاس، وأهداه له قبل سنة (726هـ/1325م)[3] إذ يقول:" وإني لمّا رأيت مكارم دولته السعيدة أطالها الله وخلّدها وأعلا كلمتها وأيدها تنظم نظم الجمان، وسور محاسنها تتلا بكل لسان ...أردت خدمة جمالها، والتقرب إلى كمالها، والتفيّأ بضلالها، والورود من عذب زلالها بتأليف كتاب جامع للطيف الأخبار وملح الآداب...فسهل الله ما أردته من ذلك بفضله وبركات مولانا أمير المؤمنين الظاهرة الباهرة..."[4].

شهد العصر الذي عاش فيه ابن أبي زرع ازدهارا علميا، وحركة فكرية نشيطة حيث ظهر جيل من العلماء والفقهاء والمؤرخين، أسهموا بشكل كبير في إثراء الحياة العلمية نذكر منهم الفقيه أحمد بن محمد الخزرجي العبادي السعدي (ت741هـ/1341م)، وكان من بيت علم بفاس وأصله من الأندلس، وأبو فاس عبد العزيز الملزوزي[5] (ت697هـ/1297م) له مؤلف " **نظم السلوك " في الأنبياء والخلفاء والملوك**"[6]، ومحمد بن علي بن عابد الأنصاري (ت761هـ/1359م) كان إماما في

---

[1]: ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص158.

[2]: شوهنده محمد الخطيب، **مصادر التاريخ المحلي لبلاد المغرب خلال القرنين (08-09هـ/14-15م)**، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2016م، ص267.

[3]: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى، بغداد، 199/1.

[4]: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، صص13- 14.

[5]: كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، 100/6.

[6]: **نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1963م.

التاريخ[1]، وإسماعيل بن الأحمر (ت 810هـ/1407م)، له كتاب" **روضة النسرين في دولة بني مرين"**[2]، وأبو عبد الله الآبلي (ت757هـ/1356م)، شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، وابن عذارى المراكشي (ت712هـ/1312م) شيخ مؤرخي بلاد المغرب صاحب كتاب" **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"**[3].

واشتهر ابن أبي زرع بمؤلفه القرطاس الذي ترجم إلى الكثير من اللغات الأوروبية نظرا لقيمته التاريخية[4]، وذكر فيه أن له مؤلف آخر بعنوان " **أزهار البستان في أخبار الزمان**"[5]؛ ساق فيه أخبار مدينة فاس، كما ينسب له كتاب " **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**[6]" وهو الآخر يؤرخ فيه لمدينة فاس أيضا حتى عصر السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (710-731هـ/1313-1331م)[7].

عنوان القرطاس الكامل هو" **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**[8]"، ويلاحظ أن هناك غموض في الجزء الأول من العنوان

---

[1]: اسماعيل بن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرى**، ص42.

[2]: المقري، مصدر سابق، ص7/5.

[3]: صديقي نصيرة، **الكتابة التاريخية في العصر الوسيط" ابن أبي زرع أنموذجا"**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد2، العدد2، ديسمبر، 2018م، ص291.

[4]: ترجم القرطاس إلى اللغات الألمانية؛ والبرتغالية؛ والفرنسية؛ والإسبانية، : Par A.Baumier sous le titre Histoire des souverains du Maghrib et annales de la ville de fes (paris 1860).

[5]: الكتاب مفقود ويسمى أيضا **"ذكر الموجود من أخبار الوجود"** ذكره ابن أبي زرع في القرطاس عند حديثه عن مدينة طنجة فقال:" ...فقد ذكرنا تاريخها ومن بناها في كتابنا الكبير المسمى (أزهار البستان في أخبار الزمان)، ويبدو أنه أوسع من القرطاس، انظر: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص21، عبد الله كنون، مرجع سابق، 483/1، حجي خليفة، مصدر سابق، 962/2.

[6]: الكتاب منسوب لابن أبي زرع طبع بمطبعة دار المنصور للطباعة، الرباط، 1971م.انظر: الزركلي، **الأعلام**، ص305-306.

[7]: أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني حكم ما بين (710-731هـ/1313-1331م)، انظر: ابن الخطيب، **الإحاطة**، 311/1.

[8]: إسماعيل بن يوسف بن الأحمر، **أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن**، تحقيق، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 359/1. طبع الأنيس المطرب، وكانت نشراته العربية المتداولة هي التي صدرت مرات عن المطبعة الحجرية الفاسية في جزء واحد، ونشر بالمطبعة الوطنية بالرباط عام (1355هـ/ 1936م)، ثم ظهر منه نحو النصف في جزأين، يقف ثانيهما عند نهاية عصر يوسف الموحدي الأول، بتحقيق الأستاذ الهاشمي الفيلالي، وأخيرا نشر كاملا في

العنوان ما جعل المستشرق كوتيي يتهم المؤلف على أنه لا يعدو أن يكون ناسخا للقراطيس، والظاهر أن للعنوان معنى جغرافي، وله علاقة بطبوغرافية مدينة فاس، وقيل أن بستانا خارج المدينة حمل هذا الاسم[1].

- **صعوبة تحديد مؤلف القرطاس:**

تكمن صعوبة نسبة القرطاس إلى صاحبه في حسم الخلاف حول كنيته واسمه، إضافة إلى الخلط الذي جاء في بعض الروايات التاريخية، حيث نجد ثلاث كنيات في عائلة ابن أبي زرع هي (أبو الحسن[2]؛ وأبو العباس[3]، وأبو عبد الله[4])، أما اسمه فعلي (بن محمد[5]، أو ابن عبد الله[6]) بن أحمد بن أبي زرع، والخلاف هنا كان في اسم والده، كما نُسِبَ القرطاس أيضا إلى صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي (ت 726هـ/1325م)[7].

مطبعة المنصور بالرباط سنة 1973م، في جزء واحد بتحقيق عبد الوهاب بن المنصور، وتمّ تحقيقه أيضا من طرف كارسل بوحسن نور تبرغ، مكتبة الثقافة المدينة، القاهرة، 2014م.

[1]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص27.

[2]: ذكر هذه الكنية من المؤرخين القدامى الجزنائي المعاصر لابن أبي زرع في، **زهرة الآس**، ص24، وأحمد بن القاضي في، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، 342/1، ومن المحدثين، عمر فروح ، **تاريخ الأدب العربي**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1983م، 406/6. وجرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، 222/3.

[3]: أبو العباس أحمد بن أبي زرع رجل عالم عاش بفاس نهاية القرن (07هـ/13م)، وتوفي سنة (709هـ/1310م)، عين واعظا وإماما بجامع القرويين؛ ولم يتجاوز السبعين يوما في منصبه قبل أن يقال من طرف السلطات المرينية لصالح أحد المقربين منها. انظر: مايا شاتزميلر،مرجع سابق، ص30. هذه الكنية (أبو العباس) كناه بها صاحب كتاب **مشاهير أعيان فاس**، ونقل ذلك عبد الله كنون، في "**ذكريات مشاهير رجال المغرب**"، 477/1.

[4]: كني أيضا ابن أبي زرع (بأبي عبد الله) ، وذكر ذلك ابن القاضي في " لقط الفرائد"، وكذلك الحلبي في الدر النفيس انظر: الزركلي، مصدر سابق، 305/4.

[5]: ورد اسم والده "محمد" عند كل من حاجي خليفة، مصدر سابق، 199/1، وعمر فروخ، مرجع سابق، 406/6.

[6]: هناك من يسمي والد علي ابن أبي زرع عبد الله كالجزنائي، زهرة الآس، ص24، وجرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، 222/3، والزركلي الذي ذكر الاسمين معا في كتابه، **الأعلام**، 305/4- 306.

[7]: صالح بن عبد الحليم أشار إليه صاحب كتاب مفاخر البربر مبديا الكثير من التقدير نحو هذه الشخصية المؤرخة، دون أن ينسب له القرطاس، ويبدو أنه عاصر ابن عذاري المراكشي الذي نقل عنه، كما لم ينسب المعاصرون لعبد الحليم كتاب القرطاس له حتى لا يكون له أي دور في تأليفه، انظر: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص30-34.

يذكر ابن أبي زرع في مقدمة كتابه العنوان الكامل للكتاب، ويصرح أنه هو كاتبه، وقد نسبه له الجزنائي في "زهرة الآس "[1]، وغيره من الباحثين المتأخرين كحاجي خليفة[2]، ورضا كحالة[3] وغيرهم.

بينما ذهب ابن سودة في دليله[4] إلى القول بأن الكتاب من تأليف صالح بن عبد عبد الحليم الإيلاني (726هـ/1325م)، بناء على ملخص من كتاب ابن الأحمر" بيوتات فاس" حيث أنّه انتهى من تأليفه سنة (726هـ/1325م)، والأنيس المطرب اثنان: صغير من تأليف صالح بن عبد الحليم[5]، وكبير من تأليف أبي العباس أحمد بن بن أبي زرع، وهذا خلط، وتقدير غير ثابت، لأن صاحب" مفاخر البربر الذي عاصر صالح بن عبد الحليم لم يذكر له هذا المؤلف[6].

وخاض في سبب الخلاف عبد الله كنون[7]، وأرجع منشأ الخلاف إلى رواية محمد بن جعفر الكتاني في كتابه" السلوة" الذي اعتمد القرطاس كمصدر ونسبه لصالح بن عبد الحليم، ونقل الخلاف في نسبته إلى أبي الحسن؛ أو أبي عبد الله، أو أبي العباس أحمد بن أبي زرع، وذكر أنهما اثنان الأنيس الصغير فرغ منه قبل وفاته (726هـ/1325م)، وآخر كبير هو " زهر البستان في أخبار الزمان" وفي الغالب تتفق مسائلهما، ولكن بالرجوع إلى القرطاس الكبير لا نجد فيه ذكرا للقرطاس الصغير، ويبدو أن هذا الخلط كان بسببه تعدد النسخ[8].

1: حققه عبد الوهاب بن المنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م، ص60.

2: حاجي خليفة، مصدر سابق، 199/1.

3: رضا كحالة، مصدر سابق، 181/7.

4: عبد السلام بن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت 1997، ص 84-85.

5: Maya Shatzmailler. L'historiographie me'rinide: Ibn khaldun et ses contemporains, leiden, E.J. Brill, 1982. P18.

6: عبد الله كنون، مرجع سابق، ص476.

7: نفسه، ص468- 474.

8: نفسه، ص470.

غير أنّ اغلب المؤرخين الكبار كابن خلدون في" العبر"[1]؛ والناصري في" الاستقصا"[2]، وابن الخطيب في" الإحاطة"[3]، والجزنائي في" زهرة الآس"[4]، وغيرهم ينسبون كتاب القرطاس لابن أبي زرع[5].

ونقلت المؤرخة مايا شاتزميلر اهتمام المستشرق ليفي بروفنسال كثيرا بنسبة القرطاس إلى صاحبه ووقوعه في اضطراب عند إقراره بوجود القرطاس الكبير[6]، ثم اكتشف سنة (1352هـ/1934م) شهادة تثبت وجود المؤرخ عبد الحليم المؤلف المزعوم للقرطاس الذي عاصر صاحب كتاب " مفاخر البربر " (كان حيا سنة 712هـ/1312م)[7].

- **مضمون كتاب القرطاس:**

أرّخ ابن أبي زرع في كتابه القرطاس لتاريخ المغرب الأقصى خلال ستة قرون، وتعمق في بحث تاريخ الأدارسة منذ بداية دولتهم سنة (172هـ/788م)، إلى عهد الدولة المرينية أي من نهاية القرن (2هـ/8م) إلى أوائل القرن (8هـ/14م) حيث عاصر أيام حكم السلطان أبي سعيد عثمان المريني (710-731هـ/1313-1331م). هذا المجال الزمني الذي يشمله كتاب القرطاس وردت فيه أخبار خمس دول هي دولة الأدارسة؛ ودولة زناتة الممثلة في (المغراويين؛ واليفرنيين)، ودولة المرابطين؛ والموحدين، ثم دولة بني مرين، وقد كان لهذه الدول دور بارز في تشكل وتطور البنية الفكرية والاجتماعية والثقافية لبلاد المغرب الأقصى بدخول مجموعات قبلية في

---

[1]: عبد الرحمن ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، ، 1408هـ/1988م، 245/6.

[2]: أبو العباس أحمد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء المغرب، 1418هـ/1997م، 209/1.

[3]: ابن الخطيب، **الإحاطة**، 28/1.

[4]: انظر: الجزنائي، مصدر سابق، ص60.

[5]: كما ينسبة أيضا لابن أبي زرع كل من ابن القاضي في" الجذوة"، والمقري في "نفح الطيب"، وعبد السلام القادري في "الدر السني"، والزياني في "الحادي المطرب"، وابن جعفر الكتامي في" الأزهار العاطرة الأنفاس". انظر: عبد الله كنون، مرجع سابق، ص473.

[6]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص32.

[7]: نفسه، ص34.

فلك الحضارة، وتبلور الفكر التاريخي المغربي، وتطور الكتابة التاريخية المحلية التي أرخت للدول والأسر الحاكمة.

استهلَّ ابن أبي زرع كتابه بديباجة مختصرة بيّن فيها منهجه في الكتابة بقوله:" بتأليف كتاب جامع للطيف الأخبار، وملح الآداب يحتوي على غرر من التاريخ وعجائبه، ونوادر أثره وغرائبه، يخبر بِنُبذ من أخبار ملوك المغرب المتقدمين وأمرائهم الماضين، وأممه السالفين، وتاريخ أيامهم وذكر أنسابهم... من أوّل دولة الإمام إدريس بن عبد الله الحسني إلى هذا الأوان، أبذل فيه جهدي..."[1]، حيث أنه بحث في تاريخ مدينة فاس، وركَّز أكثر على الفترة التي عاصرها من حكم بني مرين، ثم بَيّن مفاصل كتابه بذكر الدول التي حكمت المغرب الأقصى إلى وقته، وخصَّ سلالة بني مرين بشيء من التفصيل خصوصا الأمير الذي عاش في كنفه أبو سعيد عثمان في شكل سيرة شخصية[2].

ويَبتدئُ ابن أبي زرع حديثه عن الدول التي حكمت المغرب الأقصى بذكر خبر سلاطين الأدارسة بداية بالإمام إدريس بن عبد الله الحسني الذي دخل المغرب قادما إليه من المشرق مع مولاه راشد؛ فارين من موقعة فخ، حيث مرّ إدريس بالقيروان، ثم خرج إلى المغرب الأقصى فوصل تلمسان، وعبر ملوية إلى السوس، ثم طنجة، ليعود إلى مدينة وليلي سنة (172هـ/788م) فيستقر بها، وتبايعه قبيلة أوربة وكثير من الناس الذين توافدوا عليه من مختلف الجهات، ثم يبدأ بغزو تامسنا، وتادلة، وتلمسان التي ضمّها لدولته بعد أن أمَّن أهلها؛ وبايعته زناتة، ثم عزم بعض البربر على التخلص منه، فقتل مسموما[3].

وبانتهاء حكم إدريس الأول ينتقل ابن أبي زرع للحديث عن ابنه إدريس (الثاني)؛ واختياره موضع بناء مدينة فاس، ثم ذكره لمعالم المدينة، وتخطيطها، وصفتها؛ وتاريخ عمارتها؛ وتجديدها في فترة كل سلطان بوصف دقيق، ثم يتعرض

---

[1]: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص13.

[2]: نفسه، ص12- 13.

[3]: نفسه، ص20.

لبناء جامعي القرويين والأندلسيين، ويشير إلى جامع الشرفاء الذي انتقلت الخطبة منه للقرويين فخصّه ابن أبي زرع بذكر صفته، وإقامة صومعته، والخطباء الذي تعاقبوا عليه في الفترة الموحدية، والمرينية إلى سنة (726هـ/1326م)؛ نظرا لأهمية الجامع التعليمية؛ والدينية في أوساط المجتمع الفاسي أيام المرينيين[1].

ويواصل ابن أبي زرع بعدها حديثه عن الأدارسة إلى آخر أمرائهم الحسن بن كنّون الذي قتل سنة (375هـ/985م)، وأفول دولتهم التي تقاذفتها دولتي الفاطميين بإفريقية ومصر، ودولة بني أمية بالأندلس، ثم ينهي هذا الفصل من الكتاب بمختصرات ومتفرقات[2] وقعت في سنوات متتابعه فيها خبر المجاعات والأوبئة، والرخاء، والكوارث الطبيعية، ووفيات أشهر الشخصيات بالمغرب والأندلس وغيرها من الأحداث[3].

ثم ينتقل بعدها ابن أبي زرع إلى ذكر خبر دولة زناتة (المغراويين، واليفرنيين)، التي حكمت المغرب لمدة مائة سنة (362- 462هـ/972-1069م) شهد المغرب خلالها حروبا وتقلبات بين القبيلتين حول الحكم والاستيلاء على مدينة فاس، واهتم ابن أبي زرع بتسجيل الوقائع والأحداث مرتبة بدقّة، فذكر أوّل من ملك المغرب من مغراوة؛ وهو زيري بن عطية سنة (368هـ/978م)، والذي كان يخطب للأمويين ثم حُجّابهم قبل أن يقدم على خلع الخطبة للمنصور بن أبي عامر؛ فيجليه هذا الأخير عن فاس إلى مدينة تاهرت وما جاورها؛ حيث بقي هناك إلى أن توفي سنة (391هـ/1000م)، ثمّ وُلّي بعده المعزّ بن زيري الذي استطاع أن يحكم المغرب لمدة طويلة قاربت الثلاثين سنة (393-422هـ/1002-1030م) صالح فيها المنصور بن أبي عامر[4].

وبعدها يتحدث ابن أبي زرع عن الأمراء الذين تعاقبوا على الحكم من مغراوة، وبني يفرن إلى انتهاء حكم القبيلتين سنة (462هـ/1069م) بدخول اللمتونيين مع

---

[1]: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص56، 61، 71، 76، 78.

[2]: نفسه، ص 95.

[3]: نفسه، ص95، 96، 97 حتى 102.

[4]: نفسه، ص102 إلى 108.

أميرهم يوسف بن تاشفين مدينة فاس التي كانت متمدنة في أيام زناتة، وتغير حالها للأسوء بعد دخول المرابطين[1]، ويبدو أن ابن أبي زرع اعتمد هنا نفس طريقة كتابة الفصل الأول من كتابه حين تعرض لخبر أمراء زناتة؛ وتعاقبهم على الحكم، ليخلص لأهم أحداث الدولة خلال هذه الفترة (380- 462هـ/990-1069م)[2] في شكل كرنولوجيا أحداث مرتبة حسب السنين حول بعض الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية المختصرة والمكررة.

ولمّا بلغ ابن أبي زرع إلى مرحلة الحديث عن المرابطين؛ وقيام دولتهم بالمغرب خصص جزء هاما من كتابه لذلك؛ حيث ابتدأ بذكر قبيلة صنهاجة، وما يتفرع عنها كقبيلة لمتونة التي ينتمي إليها المرابطون، ثم ساق خبر الأمير يحي بن إبراهيم؛ ثم عبد الله بن ياسين الذي نجح في جمع اللمتونيين في رباطة، وبناء جيشه. ويلي ذلك ذكر الأمراء الذين تعاقبوا على الحكم، منهم أبو بكر بن عمر، ويوسف بن تاشفين الذي ذكر صفته وجهاده وجوازه للأندلس وعظيم ملكه، وكذا ابنه علي بن يوسف، وتاشفين بن علي، ويختم الفصل بأهم الأحداث التي جرت في المغرب والأندلس، وشملت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، مع تلخيص لوقائع سياسية حول أيام اللمتونيين ذكرها في نص الكتاب[3].

وبانقضاء دولة المرابطين حَلَّ محلهم الموحدون في حكم بلاد المغرب؛ فأفرد لهم ابن أبي زرع أيضا مجالا معتبرا في مؤلفه، نظرا لما أحدثته حركة ابن تومرت إمام الموحدين من خللخلة في الأوساط الفكرية والدينية والسياسية لمجتمع المغرب الأقصى بادعائه للمهدوية وحركته ضد المرابطين، وتمكنه من وتوحيد بلاد المغارب، وضم الأندلس بفضل الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي ومن جاء بعده من السلاطين الذين تعاقبوا على حكم الغرب الإسلامي، وساق ابن أبي زرع ذلك كله بالحديث عن فترة كل سلطان واحدا تلو الآخر حتى صار إلى ذكر أحداث عامة

---

[1]: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص108 إلى 119.

[2]: نفسه، ص119.

[3]: نفسه، 119 إلى 166.

من بداية الدولة إلى نهايتها ملتزما بالمنهج الذي اعتمده في الفصول السابقة، والتي خصصها لكل من الأدارسة، وزناتة، والمرابطين[1].

وتعتبر الأحداث الأخيرة التي ذكرها ابن أبي زرع في قرطاسه أهمّ جزء في مؤلفه كونه نقل أخبار المرينيين عن معاينة ومشاهدة، فوصف دولتهم بالسعيدة لأنها بلغت مراتب متقدمة في الرقي والتحضر في المغرب الإسلامي، ومن المعروف أنه نشأ وعلا شأنه السياسي في خضم حكم هذه الدولة، وبالتحديد في فترة حكم السلطان المريني أبي سعيد عثمان، فكان حديثه عن الأسرة المرينية الحاكمة فيه تحيّز وميل واضح ابتداء من سنة (656هـ/1258م) إلى وقت توقفه عن الكتابة سنة (726هـ/1325م)، وهو اعتراف ورد للجميل بالرغم من أن كتابه مؤلف جامع لتاريخ مدينة فاس طيلة ستة قرون ابتداء من نهاية القرن (2هـ/8م) إلى أوائل القرن (8هـ/14م)، وفي ختام فصول كتابه سجل ابن أبي زرع أهم الأحداث التي جرت في فترة حكم المرينيين بشكل مجمل، ثمّ أعقبها بذكر بعض الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بشكل مختصر ومقتضب[2].

- **موارد ابن أبي زرع في قرطاسه:**

استشهد ابن أبي زرع بآيات من القرآن الكريم[3]، وحديث نبوي شريف[4]، ونقل عن مصادر تاريخية مدوّنة، ومسموعة، واعتمد المشاهدة في رصد الأحداث التي عاصرها. وقد شكلت المصادر المكتوبة الموجود منها والمفقود رافده الأول نتيجة المنتخبات العديدة التي أوردها في مؤلفه وبيّن ذلك بقوله:" فألفت هذا المجموع المقتضب انتقيت جواهره من كتب التاريخ والحفاظ والكتّاب، وقيّدته من الرواة الثقات الأنجاب، وحذفت فيه الإسناد خيفة الإكثار والامتداد..."[5]. لقد انتهج ابن أبي

[1]: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص172-262.

[2]: نفسه، ص278 إلى 402.

[3]: استشهد ببعض الآيات: الآية 37 من سورة الشورى، والآية 159 من سورة آل عمران، والآية 56 من سورة الأنفال، انظر: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص224، 226، 238.

[4]: نفسه، ص37.

[5]: نفسه، ص14.

زرع منهجا خاصا في توثيق مصادره حيث أنه صرح أحيانا بعنوان المصدر فقط[1]، وفي أحيان أخرى ذكر اسم المؤلف فقط[2]، وفي مواضع أخرى آتى على ذكر الكتاب منسوبا إلى صاحبه[3]، والتزم ابن أبي زرع في الغالب بذكر مصادره، وتوثيق النصوص التي نقلها عن غيره؛ بخلاف عادة بعض المؤرخين في عصره، لم يصرحوا بمصادرهم، أو أشاروا إليها.

أما بخصوص الروايات المسموعة المذكورة في كتاب القرطاس أغلبها يخلو من ذكر اسم الراوي إلا قليلا، فتكررت ألفاظ (قال، وقيل، ويقال) وغيرها[4]، ربما لتعدد الروايات التي استخلص منها ابن أبي زرع ملخصه الذي ذكره فلجأ إلى التعميم، كما انطلق من شهادته لرواية الأحداث والوقائع التي جرت في فترة حكم السلطان أبي سعيد المريني الذي عاصره، وكان مقربا منه، والجدول التالي يوضح مصادر علي ابن أبي زرع الفاسي المتنوعة:

---

[1]: ينقل ابن أبي زرع عن المؤرخين ويذكرهم بصيغ عامة كقوله:" ما ذكره المؤرخون الذين اعتنوا بتاريخها..."، و" ذكر بعض المؤرخين لأيامهم..."، و" قال بعض المؤرخين..." و" قاله غير واحد من المؤرخين لدولتهم..."، و" حدثني من أثق به من أهل التاريخ..."، انظر" ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص38، 86، 181، 202، 283.

[2]: اكتفى ابن أبي زرع بذكر المؤلف ابن غالب دون أن يشير إلى عنوان كتابه الدقيق، وقد نقل عنه خبر اختيار موضع بناء مدينة فاس، وتاريخ المدينة في القديم، وخطبة إدريس بعد فراغه من بنائها، ويقول:... قاله ابن غالب في تاريخه. انظر: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص29، 37، 42، 49، ويذكر أيضا ابن مزّين، دون ذكر عنوان كتابه، ونقل عنه خبر ظهور نجم في السماء سنة (380هـ/990م). ابن ابي زرع، مصدر سابق، ص115. والقاضي يوسف ابن عمر، الذي نقل عنه خبر بيعة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي. ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص208.

[3]: صرح ابن أبي زرع في مواضع كثيرة بأسماء المؤرخين وعناوين كتبهم التي نقل عنها مختصرة في الغالب، ووصل عددها إلى 18 مصدرا تاريخيا، جلها مفقود.

[4]: انظر: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص31، 39، 208، 287.

المؤلف	عنوان المصدر	الموضوع؛ وعدد النقولات.	حالة المصدر	الصفحة
أبو محمد عبد الملك الورّاق	المقباس في أخبار الأندلس وفاس.	(**03**): الحديث عن ولد إدريس الأول/ بيعة الإمام إدريس الثاني/ مدة إقامة إدريس الثاني بمدينة تلمسان.	مفقود	24، 27، 50.
ابن حمادو البرنسي.	المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس.	(**08**): الحديث عن أولاد إدريس/ وفاة راشد مولى إدريس/ اختيار موضع بناء مدينة فاس/ وفاة إدريس الثاني/ قتل ابن أبي العافية سنة (328هـ/939م)/ فتوحات عبد المؤمن بن علي في إفريقية/ خبر فتح مدينة تلمسان/ دخول عبد المؤمن بن علي المهدية (555هـ/1159م).	مفقود	24، 28، 38، 50، 86، 180، 188، 198.
أبو عبد الله البكري	المسالك والممالك	(**02**): الحديث عن أولاد إدريس/ وفاة راشد مولى إدريس الأول.	منشور	24، 28.
ابن غالب	مؤلف في التاريخ.	(**04**): البحث عن موضع لبناء مدينة فاس/عزم إدريس القوي على بناء فاس بعد رواية الراهب/فاس في القديم/خطبة إدريس بعد فراغه من بناء فاس.	مفقود	29، 37، 42، 49.
التادلي	التشوف إلى رجال التصوف	(**02**): الحديث عن الفقيه ابن النحوي/ الحديث عن المولى العارف أبو جبل.	منشور	34، 170.
علي بن عمر الأوسي.	تقييد	(**01**): فيه حديث عن احصاء ما في مدينة فاس من العمارة والرفاهية أيام حكم المرابطين والموحدين لها.	مفقود	49.
مؤلف مجهول	الاستبصار في عجائب الأمصار	(**01**): الحديث عن سبب تسمية مدينة فاس.	منشور	45.
ابن بروان الأزدي	تقييد	(**01**): فيه حديث عن زيادات في جامع القرويين.	مفقود	60.
أبو القاسم بن جنون	تاريخ مدينة فاس	(**05**): الحديث عن فضائل نهر فاس/ الحديث عن بناء فاطمة أم البنين بنت محمد الفهري القيرواني لجامع القرويين/ الحديث عن توسعة جامع القرويين وبناء الباب الغربي وهو باب الشماعين/ الحديث عن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي.	مفقود	35، 55، 60، 198، 204.
ابن الباز	جلاء الأذهان	(**01**): الحديث نهاية حكم موسى بن أبي العافية للمغرب الأقصى، وانتقال الإمامة	مفقود	87.

		لكنون بن محمد بن القاسم بن إدريس.		
ابن الفياض	القبس	**(02)**: خبر عن شدّة الحسن بن كنون وانقراض أيام الأدارسة بعد موته/ خبر ظهور نجم في السماء.	مفقود	94، 115.
ابن مزّين	مؤلف في التاريخ	**(01)**: خبر ظهور نجم في السماء سنة (380هـ/990م).	مفقود	115.
محمد بن يعقوب الهمذاني	الإكليل في الدولة الحميرية	**(01)**: أصل اللمتونيين وظهور دولتهم.	منشور	119.
عبد العزيز الملزوزي	نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك	**(06)**: أصل المرابطين ونسبهم/ الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد المخلوع/ الحديث عن قبيلة زناتة/ خبر دخول بني مرين للمغرب/ الخبر عن سيرة ومآثر أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق المريني/ حصار أمير المسلمين يعقوب لمدينة مراكش.	منشور	120، 245، 280، 282، 300، 303.
ابن صاحب الصلاة	المنّ بالإمامة	**(04)**: بيعة، ووفاة محمد بن تومرت/ تقديم عبد المؤمن بن علي لخلافة المهدي بن تومرت/ فتح عبد المؤمن لوهران وتلمسان/ مرض ووفاة عبد المؤمن بن علي.	منشور	181، 184، 187، 202.
ابن رشيق	ميزان العمل	**(02)**: خبر بيعة ووفاة المهدي بن تومرت/ الحديث عن بيعة أمير المؤمنين عمر المرتضى بن إسحاق الموحدي.	مفقود	181، 258.
ابن الخشاب	مؤلف في التاريخ	**(03)**: خبر وفاة المهدي بن تومرت/ خبر وفاة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي/ خبر بيعة امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي وإخفاء خبر موته.	مفقود	180، 202، 208.
مجهول	المطرب في ملوك المغرب	**(01)**: سيرة وأحوال المهدي بن تومرت.	مفقود	183.
ابن مطروح القيسي	تاريخ ابن مطروح	**(05)**: الحديث عن نسب المهدي بن تومرت/ فتوح وغزوات عبد المؤمن بن علي/ فتح مدينة غرناطة/بيعة يوسف بن عبد المؤمن بن علي/ موت أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن.	مفقود	172، 187، 196، 209، 215.
يوسف ابن عمر	مؤلف في	**(01)**: خبر بيعة أمير المؤمنين يوسف بن	مفقود	208

	التاريخ	عبد المؤمن بن علي.		
أبـــو علـــي الملياني	تقييد في نسب بني مرين	(**01**): الحديث عن أصول بني مرين	مفقود	278.

لخّص الجدول أعلاه المصادر التي اعتمدها ابن أبي زرع في تدوين قرطاسه، والتي وصل عددها إلى إحدى وعشرين مؤلفا تاريخيا؛ شملت نماذج مختلفة ككتب التاريخ العام، والتاريخ المحلي، والجغرافيا والمناقب وغيرها، وقد استفاد ابن أبي زرع من عديد الكتب المفقودة التي كتبت خلال القرن (08هـ/14م)، حيث شكلت أغلب روافده، وهو ما يعطي مؤلفه قيمة خاصة لاعتماده نصوصا ضائعة.

فنجد أنه اعتمد في مواضع عديدة على نصوص كل من ابن حمادو البرنسي " المقتبس"، و ابن جنون " تاريخ مدينة فاس" لتتبع تاريخ المدينة في مختلف العهود، وترجع هذه النصوص للفترة الموحدية، ويبدو أن أصحابها اطلعوا على ما مرت به المدينة عن طريق المشاهدة، أو معاصرة الأحداث التي كانوا أقرب إليها من حيث الزمان والمكان.

أما بخصوص المرحلة التي كان ابن أبي زرع شاهدا عليها من تاريخ سلاطين بني مرين فالظاهر أنه رجع بشكل رئيس إلى النظم الشهير لعبد العزيز الملزوزي " نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك" بالإضافة إلى نصوص أخرى، وكذا الأخبار المسموعة، والرواية الشفوية التي رواها عن معاصرين للأحداث، أو ناقلين لها من موقع قريب زمانا ومكانا، وكانت شهادة المؤلف تخص الفترة التي عاصرها من حكم السلطان المريني أبي سعيد عثمان (710-731هـ/1310-1330م).

إنّ منهج ابن أبي زرع في التصريح بمصادره يعتمد على ذكر اسم المؤرخ عند بداية خبر ما تأكيدا لما ذكره، أو تأييدا لقوله، ثم يبيّن نُقُولَهُ بعنوان:" قال المؤلف عفا الله عنه"، وتكرر ذلك في مواضع عديدة من كتابه في روايته عن الأشياخ، ويبدو أنه أراد أن يفصل أقواله عن الأخبار التي نقلها؛ أو اختصرها من مصادر أخرى[1]. هذا التنوع والثراء في مصادر وأخبار القرطاس أعطاه قيمته التاريخية، وشهرته الواسعة،

[1]: ابن أبي زرع، مصدرسابق، ص28- 29، 34، 38، 45، 49.

وبوأه مكانة هامة ضمن أهم المصادر المحلية التي تؤرخ للمغرب الأقصى ومدينة فاس على وجه الخصوص.

- **منهج ابن أبي زرع في كتابه القرطاس:**

يعتبر كتاب الأنيس المطرب من المصادر القليلة التي تؤرخ للمغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأقصى بشكل أخص، نظرا لارتباط ووحدة المجال الجغرافي لبلاد المغرب، وموضوع الكتابة المحلية التي تركز على قطر بعينه. فروض القرطاس يندرج ضمن التاريخ المحلي (الذي يتيح حرية واسعة لميول المؤرخ الشخصية)[1] في قسمه الأول الذي عرض فيه تاريخ مدينة فاس منذ تأسيسها من طرف إدريس الثاني في القرن (03هـ/09م)، ثم توالي الحكام الأدارسة بعده وصولا إلى العهد المريني[2]. أما قسمه الثاني فهو عبارة عن تاريخ سلالاتي لأسر تعاقبت على حكم المغرب لعهود طويلة؛ ورد في شكل نصوص إخبارية مرتبة حسب السنين تتفاوت من حيث الكمّ، وتركّز في الوقت ذاته على قيمة كل سلطان وأعماله ومنجزاته[3]، وبهذا يكون القسمان مختلفان موضوعا ومنهجا، ومن حيث المصادر؛ والأسلوب؛ والترتيب؛ وقرب المؤرخ من الأحداث أو بعده عنها، ما يجعلنا نقف أمام اتجاهين في مؤلف واحد[4].

وبالرجوع إلى سبب التأليف نجد أن ابن أبي زرع صرّح في مقدمة كتابه بأسلوب سجعي أنه كتبه خِدمة للدولة المرينية؛ وتعديد فضائلها فقال:" كتاب جامع للطيف الأخبار، وملح الآداب يحتوي على غزر التاريخ وعجائبه، ونوادر الأثر وغرائبه، يخبر بِنُبَذ من أخبار ملوك المغرب المتقدمين، وتاريخ أيامهم، وما رسموا بالمغرب من المراسم؛ وصنعوا من المعالم، وأذكرهم أميرا بعد أمير، وملكا بعد ملك، وخليفة بعد خليفة؛ وأمة بعد أمة، حسب تواليهم في أعصارهم، ومراتبهم في دولهم وأزمانهم[5]. وقال أنه اعتمد في رواية أخباره وكتابة مجموعه على مؤرخين

---

[1]: فرانز روزنتال، **علم التاريخ عند المسلمين**، ص206- 209 .

[2]: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص15 إلأ ص262.

[3]: نفسه، ص262 إلى ص402.

[4]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص28.

[5]: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص14.

وكتاب ثقات كما يصفهم، وحذف الإسناد من الأخبار دفعا للإسهاب وقصدا إلى الاختصار؛ فأخرج مؤلفا متوسطا يستدل فيه بالأحاديث المأثورة عن - النبي صلى الله عليه وسلم- التي رواها عن الجمهور حسب قوله، فسماه" **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**"[1].

وبالنظر إلى موضوعات الكتاب نجد غيابا شبه تام زمن المؤلف للأخبار الحياة الثقافية إلا بعض الشذرات، بينما تحوز الوقائع العسكرية اهتماما كبيرا؛ ومجالا واسعا في القرطاس، وذلك بالحديث عن تركيبة الجيش، وأساليب وخطط القتال، وأهم المعارك و المعاهدات المبرمة، والنتائج المترتبة ممثلة في الخسائر أو الغنائم والضرائب؛ وما يعقبها من احتفالات بالنصر في البلاطات والمعسكرات[2]. إن الوقائع العسكرية وما يرتبط بها من أحداث سياسية هي الكم الطاغي، والسمة البارزة في كتاب ابن أبي زرع حيث أنه عرضها في شكل نصوص عامة في القسم الثاني من مؤلفه، غير أن القسم المخصص للحديث عن المرينيين جاءت أخباره مفصلة لقرب ابن أبي زرع من الأحداث التي نقلها من موقع المشاهد؛ والمطلع على فترة هامة من تاريخ بني مرين[3].

وبخصوص نهاية فصول الكتاب فقد ختمها ابن أبي زرع بالحديث عن الأسر الحاكمة بتعاقب أخبارها، ثم الترجمة لبعض الشخصيات بالتعويل على جملة من المصادر المنوعة، مع عرض لبعض الإحصاءات الاقتصادية والاجتماعية مرتبة حسب السنوات[4].

كتاب القرطاس منظّم في سرده لأنه ممنهج (systématique) حسب قول مايا شاتزميلر، سلك فيه صاحبة مسلكا دقيقا في احترام عامل الزمن خصوصا في عرض تاريخ السلالات الحاكمة، وعدا ذلك ساق أخبارا متداخلة في قالب موضوعي بانتقاء

---

[1]: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص15.

[2]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص29.

[3]: فرانز روزنتال، مرجع سابق، ص209.

[4]: نفسه، ص28.

خاص مَثَّلَ نقده لجملة الأخبار التي جمعها من المصادر التي اعتمدها؛ وإن اختلفت الأحداث في الزمان، إلا أنها جاءت منظمة ومرتبة[1].

وبهذا الطرح لم يعتمد ابن أبي زرع منهج كتاب الحوليات في عصره، وكتب تاريخه السلالاتي في طابع تاريخ عام للمغرب الأقصى بتتبع تاريخ الأسر التي تعاقبت على حكمه؛ وإدارته انطلاقا من بناء المدن والعواصم التي ميزت كل أسرة عن الأخرى، منذ حكم الأدارسة إلى نهاية حكم بني مرين، واختار لكتابة المنهج الموضوعي الذي يناسب عرض تاريخ الدول ومراحلها؛ وتعاقب حكامها؛ وأهم منجزاتهم بانتقال منتظم زمنيا في ترتيب الأحداث[2]، ثم ينهي كلامه عن تاريخ كل دولة بذكر أحداث منوعة اجتماعية كانتشار الأوبئة والمجاعات، واقتصادية كرخاء الأسعار أو غلائها، كم أنه تحدث عن الظواهر الطبيعية كنزول الأمطار؛ وظهور نجوم غريبة، ووفيات بعض الأعيان، ونقل بعض الأخبار عن المشرق كزلازل سنة (568هـ/1172م)، وما أصاب بلاد الغرب الإسلامي ومصر والحجاز من شدّة بسبب ارتفاع الأسعار[3].

لقد تجاوزت الفترة الزمنية التي تحدث عنها ابن أبي زرع خمسة قرون من تاريخ المغرب الأقصى، وهو ما أعطى كتابه ميزة خاصة ككتاب محلي في طابع عام يحكي اعتزاز المؤرخ بوطنه بتتبع تاريخه، وما يدعم هذا التوجه هو اعتماده الأسلوب القصصي الشيق الذي يمزج الرواية التاريخية بالرواية الشعبية للوصول إلى الحقيقة خصوصا في الجزء الأول من كتابه[4].

كما أمدنا ابن أبي زرع من خلال قرطاسه بمعلومات وافية عن القبائل البربرية ضمن المجال الذي بحثه وأرّخ له من تاريخ المغرب الإسلامي، غير أن أخباره عن نشاط العلماء

---

[1]: فرانز روزنتال، مرجع سابق، ص29.

[2]: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص13.

[3]: محمد علي قدور، مرجع سابق، ص99.

[4]: نفسه، ص100.

ووفياتهم جاء مقتضبا لانشغاله بتتبع حياة السلاطين والحكام، وهناك بعض الأحداث التي ساقها ابن أبي زرع لا تنتمي موضوعيا إلى الفصول التي وضعت تحتها[1].

ومع أن غالب أخبار القرطاس كانت عن تاريخ المغرب الأقصى إلا أن المغرب الأوسط كان حاضرا ببعض أخبار مدنه مثل بجاية؛ والشلف والمسيلة وتلمسان؛ وخبر بني عبد الواد بها، واحتلال بعض المدن كندرومة ومستغانم والمدية، والتغيرات العمرانية التي شهدتها هذه المدن خصوصا ما استحدث من بناء جديد بتلمسان كالحصون والمساجد والحمامات وغيرها[2].

لقد اهتم ابن أبي زرع في القسم الأول من كتابه بالحديث عن مدينة فاس ومساجدها ومزجه ببعض الأخبار السياسية، والاقتصادية، والثقافية التي استدعى السياق التاريخي ذكرها، ويماثل هذا القسم ما كتبه الجزنائي في زهرة الآس، غير أن مؤلف ابن أبي زرع كان أكثر سعة وتنظيما[3].

واستطاع ابن أبي زرع جمع أكثر ما تبحثه الكتابة التاريخية المحلية وهو التأريخ للدولة والأسرة الحاكمة؛ وكذا المدينة، لأن التداخل بين هذه المباحث كبير إذا كانت غاية المؤرخ الاهتمام بالتاريخ الحدثي السياسي؛ أو التاريخ الدنيوي المحلي؛ الذي يمزج بين تاريخ الأسر، وتاريخ المدن التي اتخذتها الأسرة الحاكمة قاعدة لها، وعاصمة لملكها، ويبدو أن هذا المنحى متحقق في القرطاس من خلال وصف بناء مدينة فاس واختيار موضعها؛ وما اتصل بذلك من أساطير، وتتبع تاريخها بشيء من التفصيل، وإن كانت غالب فصول الكتاب تحكي تاريخ الأسر التي حكمت بلاد المغرب الأقصى بكم متقارب ومتوازن[4]، غير أنها تباينت من حيث الوصف.

فالفصل الذي خصصه للحديث عن سلاطين بني مرين؛ خصوصا السلطان أبي سعيد عثمان، نمقه بأسلوب سجعي فيه الكثير من ألفاظ المديح والتبجيل، وكتب

---

[1]: عبد القادر بوباية، **مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط (الجزائر) خلال العصر الوسيط**، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014م، ص189.

[2]: نفسه، ص190.

[3]: انظر: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص28.

[4]: فرانز روزنتال، مرجع سابق، ص209.

بلغة واضحة ومباشرة اختلفت بين قوة الطرح وضعفه أحيانا، بسبب مستوى المؤلف، أو طبيعة لغة العصر[1].

لم يلتفت كتاب التراجم والطبقات لابن أبي زرع، وصرفوا النظر عن سيرته ربما بسبب انتمائه الاجتماعي، ولكونه من أهل فاس الذين قيل عنهم إنّ بعض عامتها كانوا أعلم من فقهاء مدن وجهات أخرى[2]، ولا يدخل ابن أبي زرع ضمن عامة أهل فاس لأنّه كاتب مثقف وصاحب تاريخ[3] أبدى اهتماما بالعلماء والفقهاء في القسم الأول من كتابه بعد أن قدم آراءه في شكل تعليقات ذكر من خلالها رأيه، وذهب إلى تأييد بعض الأقوال في مواضع أخرى عدت في الغالب قليلة.

وكغيره من مصادر العصر الوسيط جعل ابن أبي زرع من مؤلفه سجلا حافلا بمنتخبات الأشعار التي اختارها، واستشهد بها في مواضع عديدة، وجاءت ثقافته الدينية واضحة من خلال أسلوبه الذي يقارب أسلوب الفقيه مع توظيف للبيان والبديع من غير إغراق في الوصف، ولا غموض في البناء، ويبدو التباين واضحا في أسلوب الفصول أرجعه ابن أبي زرع إلى اختلاف المصادر التي نقل عنها[4].

إن أهمية كتاب القرطاس تظهر من خلال شهادته على بعض فصول تاريخ الدولة المرينية، وتفرده في رواية بعض تاريخها، وشموليته في التأريخ لمدينة فاس والأسر التي حكمت المغرب الأقصى، وبعض الإشارات لتاريخ المشرق في محاولة إلى بلوغ كتابة جامعة بلون محلي، وباعتماد مصادر عاصر أصحابها الوقائع، وبقيت شهادات من كتبهم المفقودة في كتاب ابن أبي زرع الفاسي، الذي أضاف إلى الجانب السياسي وصفا لبعض الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، لبلاد المغرب، وإن كانت ضئيلة ومتفاوتة فقد جعلت من كتابته التاريخية متميزة في طابعها ومنهجها.

---

[1]: محمد علي قويدر، مرجع سابق، ص103.

[2]: عبد الله كنون، مرجع سابق، ص481.

[3]: خالد غاوش، مرجع سابق، ص6.

[4]: محمد علي قويدر، مرجع سابق، ص103.

ومن الكتابة التاريخية التي مثلت حاضرة فاس أيضا في الاهتمام بتاريخ المرينيين نجد كتابا آخر ينسب إلى علي ابن أبي زرع[1] بعنوان " **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية العبد الحقيَّة**"[2]، وعلاقة علي بن أبي زرع بهذا الكتاب كبيرة لتشابه نصوصه مع نصوص مؤلفه "**الأنيس المطرب**". هذا التماثل يبدو أنه يتجاوز مجرد النقل عنه باعتباره رافدا من الروافد التي رجع إليها ابن أبي زرع، مع الإقرار في الوقت نفسه بوجود اختلاف ظاهر في البناء والتركيب بين المصدرين. كما يمكن اعتبار كتاب" **الذخيرة السنية** " كتابا مصغرا أو ملخصا لكتاب" **الأنيس المطرب**. وبالمقارنة بين عبارات ونصوص الكتابين يظهر أن مؤلفهما واحد[3].

يؤرخ كتاب الذخيرة لتاريخ الدولة المرينية حتى عصر السلطان أبي سعيد الأول عثمان بن يعقوب بن عبد الحق. هذا ما ذكر في مقدمة الكتاب. إلا أن الواصل إلينا وهو مطبوع لا يتجاوز عصر السلطان أبي يوسف إلى أواخر سنة (679هـ/1297م)، ولا خلاف في عنوان الكتاب الذي ذكره المؤلف في مقدمته[4].

وقد سبقت الإشارة إلى أن محمد بن أبي الشنب هو أول من أشار إلى تقارب بين نصوص القرطاس والذخيرة، وأتبعه الزركلي في أعلامه بترجيح نسبة كتاب الذخيرة إلى مؤلف القرطاس أبو الحسن علي بن أبي زرع، وناقش عبد الله كنون هذا الموضوع وتعجب من نسبته إلى مجهول عند قراءته؛ أو عند إشارة الباحثين إليه. وخلص إلى رأي مفاده أن كتاب الذخيرة أخو القرطاس وشقيقه، كما استغرب من

---

[1]: ناشر كتاب " **الذخيرة**" محمد ابن أبي شنب هو أول من أشار إلى تشابه نصوص هذا الكتاب بنصوص كتاب" **الأنيس المطرب**"، لكنه لم يقل بأن مؤلفهما واحد، إلا أننا نجد خير الدين الزركلي في كتابه، **الأعلام**، 306/4، يرجح أن مصنف الذخيرة هو نفسه مؤلف " **القرطاس**"، كما انتهى عبد الله كنون إلى القول بأن مؤلف القرطاس والذخيرة هو نفس الشخص، انظر: عبد الله كنون، **مؤلف الذخيرة ومؤلف القرطاس**، مجلة تطوان، العدد2، 1957م، ص145حتى 153، .

[2]: نشره محمد بن أبي شنب دون تعليق أو تحقيق مليء بالأخطاء، مطبعة كربوا، الجزائر، 1921م، ونشر بعدها بدار المنصورة للطباعة والوراقة، القاهرة، 1392هـ/1972م، دون فهارس أو تعليق، وتوجد نسخة خطية للكتاب في خزانة العلامة حسن حسني عبد الوهاب قبل أن تنقل إلى المكتبة القومية التونسية تحت رقم: (18.280)، (68) ورقة حجم (20/27)، 25 سطرا.

[3]: محمد على أحمد قويدر، مرجع سابق، ص99.

[4]: علي بن أبي زرع، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، د ط، دار المنصورة للطباة والوراقة، د ت، ص12،

عدم الاهتداء إلى كاتبه؛ لأن النصوص حسب رأيه تشير بقوة إلى أن مؤلف الكتابين شخص واحد[1]، أما محمد المنوني الذي أحصى جملة المصادر العربية لتاريخ المغرب في مؤلفه لم يكلف نفسه عناء التحقيق في المسألة، وأشار إلى أن المؤلف غير مذكور[2].

ومن خلال النظر إلى منهج التأليف، وأسلوب الكتابة يظهر أن كتاب "القرطاس" هو عبارة عن تاريخ عام للمغرب الأقصى ابتداء من الأدارسة إلى المرينيين، ويتوقف عند عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (710-731هـ/1313-1331م)، بينما يُؤرخ كتاب الذخيرة للمرينيين بداية من الحديث عن نسبهم وانتهاء إلى ما انتهى إليه القرطاس، وكأن كتاب الذخيرة هو القسم الثاني من القرطاس اشتمل على الكتابة السلالاتية للأسرة المرينية دون ربط تاريخها بالإقليم كما جاء ذلك في كتاب القرطاس[3]. ولهذا نجد الهدف من تأليف الكتابين هو ذكر مآثر الدولة المرينية، ومحاسنها، والتذكير بأمجاد سلاطينها، وحكامها[4]، خصوصا السلطان أبي سعيد عثمان الذي عاصره المؤلف، وجاء الحديث عنه في المصدرين أيضا متشابها[5]. فالمديح الذي كاله صاحب القرطاس للسلطان لا يختلف عنه ما جاء في الذخيرة؛ غير اختلاف أسلوب كتاب تاريخ عام جامع عن تاريخ خاص من حيث اللفظ والتركيب[6].

وبالنظر إلى منهج الكتابة، وإتباع طرائق معينه في اختيار تراكيب العناوين[7] يتماثل القرطاس مع ما جاء في كتاب الذخيرة من توالي أخبار الأمراء والسلاطين

[1]: عبد الله كنون، مرجع سابق، 1/491-492.

[2]: محمد المنوني، مرجع سابق، 1/70.

[3]: تتوافق مقدمة الكتابين إلى حد ما من حيث المعنى؛ مع وجود تباين صغير من حيث المبنى، انظر: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص15-16، **والذخيرة**، ص11-12.

[4]: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص16، ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص11.

[5]: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص15، ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص10.

[6]: عبد الله كنون، مرجع سابق، 1/492.

[7]: بالرجوع إلى محتوى الكتابين تجد تشابها كبيرا بين العناوين لأن موضوع الكتابين واحد، وهو تاريخ الدولة المرينية، وبشكل أخص عصر السلطان أبي سعيد عثمان الذي عاصره المؤلف، وكان شاهدا على فترة حكمه، وليس محض صدفة

بدءا بالترجمة لهم، ثم ذكر منجزاتهم، وأهم أعمالهم؛ مع مراعاة الترتيب الزمني للأحداث. ومن الطبيعي أن تجد كتاب الذخيرة أكثر تفصيلا في أخبار الدولة المرينية باعتباره تاريخا خاصا لها[1]، وقد سرد صاحبه مادته الخبرية بأسلوب مباشر وسهل خال من التعقيد والتكلف، وكذلك فعل ابن أبي زرع في القرطاس. فقارئ الكتابين لا يجد نفسه يقرأ لشخصين لأن التشابه يكاد يكون مطابقا مع وجود تباين في استخدام الألفاظ التي قصدت معنا واحدا[2]. وتكرار الأخبار والتراجم للأمراء والعلماء خير دليل[3].

قسّم صاحب الذخيرة كتابه إلى عشرة أبواب، ووصل إلينا جزء من الكتاب يصل إلى القسم السادس، وما عدا هذا فهو في حكم المفقود. حيث بدأ قسمه الأول بالتعريف ببني مرين وقبائلهم، ونسبهم، ودخولهم المغرب، وظهور ملكهم. ثم يعرّف بجدهم الأكبر عبد الحق بن محيو، وبعده السلطان عثمان بن عبد الحق، ويليه الأمير أبو معروف محمد بن عبد الحق، ثم الأمير أبو يحيى بن عبد الحق، ثم السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق. وهو الذي يتوقف عنده الكتاب الموجود، وبعده يكون الحديث عن دولة يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، ودولة عامر بن الأمير عبد الله بن يوسف، ثم دولة سليمان بن الأمير عبد الله بن يوسف، وأخيرا دولة أبي سعيد الأول عثمان بن يعقوب بن عبد الحق. وهذا الجزء مفقود وإليه ينتهي كتاب القرطاس، ولو كتب لأبواب الذخيرة المفقودة البقاء لتمت مقارنتها بنصوص كتاب القرطاس الموجودة.

أن يتوقف الكتابان عند نفس الفترة بالذات- فترة حكم السلطان أبي سعيد عثمان- ويمدح السلطان في القرطاس والذخيرة أيضا. ولا يكون هذا إلا إذا كان صاحب الكتاب مؤرخ بلاط شغل منصبا قريبا من السلطان.

[1]: ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص118، **الذخيرة**، ص39.

[2]: انظر: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص343، ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص13.

[3]: عند الحديث عن دخول بني مرين للمغرب تحت العنوان نفسه في الكتابين **"الخبر عن دخولهم المغرب، وظهور ملكهم السني المعجب"**، جاء في القرطاس:" حدثني من أثق به من أهل التاريخ...، وجاء في الذخيرة:" أخبرني من أثق به من أهل العلم والمعرفة والتاريخ وأيام الناس وهو الفقيه أبو العباس ابن الجبر..."، وهذا يظهر التوافق الكبير بين محتوى الكتابين، انظر: **القرطاس**، ص283، **الذخيرة**، ص27.

صرح ابن أبي زرع في الذخيرة بمصدرين مكتوبين. الأول للفقيه أبو علي الملياني عند حديثه عن نسب بني مرين[1]؛ ولم يذكر عنوان كتابه، والثاني لابن جنون صاحب كتاب تاريخ مدينة فاس[2]، والسبب في ذلك معاصرته للأحداث التي أرخ لها. وفي هذه الحالة يلجأ المؤلف للروايات الشفوية أكثر من غيرها كما جاء في الذخيرة عند إيراد صيغ مكررة، ومختلفة منها (**قال، أخبرني، فيقال، وقيل، يحكى أن**)[3]، وهو ما يظهر أخذه عن مصادر مسموعة؛ قريبة من موقع الأحداث. الشيء الذي يعطي قيمة لكتاب الذخيرة من هذا المنطلق. لكن وفق مقاربة أخرى تأخذ بعين الاعتبار الهدف من تأليف الكتاب، وعلاقة ذلك بتدخل السلطة في توجيه الكتابة يكون هناك ارتياب حول ما جاء في الذخيرة من أخبار.

والشواهد التي تزيد من ارتيابك ألفاظ التبجيل، والثناء، والدعاء، والمديح لسلاطين بني مرين خصوصا السلطان أبي سعيد عثمان[4]، واستخدام السجع، والتشبيه، ومختلف المحسنات البديعية[5] قصدا إلى التزلف، وحبا في التقرب لبلوغ مناصب عليا في الدولة. ونجد هذا في مواضع عديدة من كتاب الذخيرة كقوله:" ...ولا يضاهيه الصباح طلاة وصباحة، ولا تراومه الملوك بسالة وسياسة، ولا تجارية

---

[1]: ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص14.

[2]: نفسه، ص15.

[3]: ذكر ابن أبي زرع الراوي الذي نقل عنه في موضعين من كتاب الذخيرة، الأول عند الحديث عن نسب بني مرين فيقول: "**قال** إبرهيم الرازي"، و" **أخبرني** الشيخ الفقيه القاضي عبد الله بن الودون..." عند الحديث عن جد بني مرين الأمير عبد الحق بن محيو، وماعدا هذا فهي روايات مجهولة الراوي، فيقول في جواز الناصر إلى الأندلس سنة 608هـ:" **فيقال** إن من جاز معه ..."، وعند استيلاء التتر على مدينة بخارى سنة 616هـ/ يقول:" **فيقال** إنه ..."، وعن بعض أخبار فاس يقول:" **وقيل** إن السعيد طالت إقامته بفاس..."، وعن مولد يعقوب بن عبد الحق، يقول:" **وقيل** مولده ..."، وعن نسب بني مرين يقول:" ...ما **ذكره** علماء التاريخ وأهل المعرفة"، وعند دخول بني مرين إلى المغرب يقول:" **أخبرني** من أثق به ..."، و" **يحكى أن** ..."، انظر: ابن أبي زرع، **الذخيرة**، مصدر سابق، ص15، 18، 27، 29، 31، 46، 52، 66، 85، 112،

[4]: نفسه، ص14، 29، 30، 38، 42، 44، 46-47.

[5]: نفسه، ص13، 26، 31، 33.

جلالة ورياسة..."[1]، وعند الدعاء لبني مرين يقول:" ودام ملكهم وسلطانهم، وأعان الأمة على القيام بطاعتهم"[2]، وغيرها من الأوصاف المبالغ فيها.

وكان منهج صاحب الذخيرة في التعامل مع الأحداث التي نقلها عن مشاهدة أو مصدر سماعي هو التعليق فقط مثل ما فعل ابن أبي زرع في القرطاس عن طريق عبارات مقتضبة، لا تظهر نقدا، أو مناقشة للتحقق من صحة الأخبار، وقيمتها التاريخية[3]. كما خصص صاحب الذخيرة أيضا مساحة هامة للترجمة للفقهاء، والأدباء، والقضاة، وكذا الأمراء الذين توسع في الترجمة لهم، وجعل ذلك في عناوين رئيسة[4]، واستشهد أيضا بكثير من أبيات الشعر في المدح، والرثاء، ونقل خبر قبائل بني مرين، وتخليد ذكرى بعض الشيوخ، ونقل شعر في الزهد، وكذا تنصيب الأمراء وانتصاراتهم[5]، وغيرها من المواقف التي ساق بمناسبتها أبياتا من الشعر تطول تطول وتقصر حسب الحدث الذي يؤرخ له.

استطاع ابن أبي زرع أن يسير وفق المنهج الموضوعي في عرض مادته التاريخية في كتاب الذخيرة، فجعل العناوين باسم الأمراء والسلاطين دون أن يخرج عن الترتيب الحولي الذي جاء مدمجا داخل الموضوع ليحافظ على الترتيب، واستكمال خبر الموضوع والسنة معا. ويبدو أن الجمع بين الطريقتين هو الذي ساعد ابن أبي زرع على اختصار الأحداث، والإلمام بها دون أن يكون هناك نقص مخل. أما الأحداث التي عاصرها فترتيبها كان بالشهر، وأحيانا بالأيام.

---

[1]: ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص10.

[2]: نفسه، ص11.

[3]: نفسه، ص115-116.

[4]: ترجم ابن أبي زرع لكبير بني مرين الأمير عبد الحق بن محيو، والعالم الكبير علي الجياني، والفقيه عبد الله بن الطاهر الوداي آشي، والفقيه ابن الياسمين.وغيرهم، انظر: ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص39، 45- 51، 53.

[5]: من بين المواضيع التي طعّم فيها ابن أبي زرع نثره بالشعر استشهاده ببتين لعبد العزيز الملزوزي صاحب أرجوزة" نظم السلوك" حول قدوم بني مرين إلى المغرب، وعن نسبهم أيضا أورد أبياتا، وعند الحديث عن العالم علي بن أحمد الجياني استشهد ببعض أبيات الشعر، وعند مدح الفقيه القاضي محمد بن طاهر الحسيني، وذكر أبياتا في رثاء الأندلس كتبها أبو محمد صالح بن شريف الرندي، وغيرها من الأبيات الشعرية التي استشهد بها. ابن أبي زرع، **الذخيرة**، ص18، 39، 48، 112، 114.

وما يميز كتاب الذخيرة باعتباره مؤيدا للاتجاه المريني هو نجاح ابن أبي زرع في إخفاء بعض الحقائق والأخبار حتى لا يتم الطعن في السلطة المرينية وشرعيتها، وقد تجند للدفاع عن المشروعية المرينية بمحاولة التقليل من الإرث الموحدي، وأحقية بني مرين في القيام على أنقاضه[1].

ولهذا جعل معركة العقاب حدا فاصلا بين قوة الموحدين وضعفهم بسبب عدم تحمل مسؤولياتهم، والاقتتال الذي جرى بينهم حول السلطة، وانتشار الفتن فيقول:"... جعل الله بأسهم بينهم، وبعث لفنائهم، وذهاب ملكهم بني مرين، وأيدهم عليهم فأصبحوا ظاهرين"[2]، فطبيعة الخطاب تظهر صاحب الحق من الباطل في رأي ابن أبي زرع، خصوصا عند حديثه عن أولى هزائم الموحدين أمام بني مرين سنة (613هـ/1216م). وهذه طبيعة الكتابة ذات التوجه المريني، والتي أطنبت في ذكر محاسن بني مرين، وإقصاء كل خبر يضرب مشروعية حركتهم. لذا كانت الرؤية للقضاء على الموحدين، وحلول المرينيين محلهم قد تمت وفقا لخطاب الذخيرة والمؤرخين الرسميين مثل الملزوزي في التأسيس للشرعية المرينية[3].

كما أخفى ابن أبي زرع في كتابه الذخيرة بعض الأخبار المتعلقة بسيطرة المرينيين على سجلماسة، وسبتة باعتبارهما منفذين تجاريين إلى السودان الغربي وأوروبا، لذا تحاشى ذكر الطرف الذي زوّد المرينيين بالبارود للتمكن من دخول سجلماسة لانتمائه إلى دار الكفر، وكذلك الأمر بالنسبة لسبتة التي أخذت وفق اتفاق مع مملكة أراغون حتى يراقب المرينيون خطوط التجارة الرابطة بين جنوب المنطقة وغرب البحر المتوسط، إضافة إلى المجال الزراعي الهام الذي كان يسيطر عليه المرينيون، وكان يموّن أراغون بالحبوب[4].

---

[1]: مصطفى نشاط، **جوانب من المسكوت عنه في الكتابة التاريخية المرينية نموذج: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،** حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (دراسات في تاريخ المغرب)، العدد 7، (عدد خاص)، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1990م، ص187.

[2]: نفسه، 24-25.

[3]: نفسه، ص188- 189.

[4]: نفسه، ص194-195، 197.

ولم يذكر ابن أبي زرع سبب اللجوء إلى بناء فاس الجديدة، وربطه بتقليد جرى عند الدول المغربية بتأسيس حواضر خاصة لتتميز بها في التاريخ، ولتعبّر عن أبهتها وقوتها، إلا أن السبب كما ساقه صاحب كتاب "المقصد الشريف" يشير إلى وجود خلاف بين الفقهاء، والسلطة المرينية حول السياسة التعليمية بتنفيذ مشروع يلحق التعليم بالسلطة لتدجينه. أما الحدث الثاني فيتمثل في الثورة التي قام بها سكان المدينة ضد اليهود الذين كانوا حلفاء للمرينيين، وأصحاب امتيازات سياسية، وتجارية كبرى، مثل تحكمهم في تجارة المغرب مع السودان الغربي، ما جعل العامة تثور ضدهم. ومع أن الخبرين قد وردا في الذخيرة إلا أن ابن أبي زرع رواهما منفصلين حتى لا يظهر خلاف السلطة مع الفقهاء، والتحالف المريني اليهودي، وبالتالي إخفاء سبب بناء فاس الجديدة[1]، وكذا عدم الإفصاح أيضا عن الموقف العام لسكان فاس من السلطة المرينية، باعتباره صراعا حضريا بدويا[2].

فسكان الحضر من أهل فاس كانوا يرون أن السلطة المرينية غير مؤهلة للحكم، لكن المرينيين بعد السيطرة العسكرية حاولوا كسب الشرعية، ويبدو أن ابن أبي زرع أشار إلى ذلك دون أن يصرح بالخلفية الحقيقية، التي تكمن في استبدال المرينيين للعناصر التي كانت تشرف على المؤسسات الدينية من الأطر الدينية المحلية، بأطر زناتية دخيلة خوفا من التأثير. وهنا نجد أن ابن أبي زرع ذكر تعيين الأطر الزناتية الدينية على رأس جامع القرويين وغيره، لكنه لم يذكر سبب ذلك. وفي محاولة من أهل فاس المحافظة على هذه المناصب فرضوا تعيين أبي العباس أحمد بن أبي زرع إماما على القرويين، لكنه لم يستمر غير سبعين يوما ليعزله أبو يعقوب ويعوضه بإمام ذي توجه مريني[3].

وهكذا كان الحكم المريني بفاس يواجه الصراع الحضاري مع أهل المدينة، ويظهر أن الحقائق التي أخفاها ابن أبي زرع في الذخيرة، ولم يصرح بها، لم تكن عن

[1]: مصطفى نشاط، مرجع سابق، ص201-202-203.

[2]: نفسه، ص205.

[3]: نفسه، ص205- 206.

جهل منه بقدر ما هو تأييد وتبني لاتجاه الدولة المرينية باعتباه مؤرخا لها. فقد كان المرينيون في حاجة ملحة إلى مشروعية تبرر وجودهم تجاه أنفسهم كحكام، وتجاه من يحكمونه من المجتمع الحضري الفاسي[1].

إن قيمة كتاب الذخيرة كقيمة كتاب القرطاس غير أن بينهما عموم وخصوص، وقد شكلا منعطفا في نشأة الأسطغرافية المرينية نتيجة بداية الكتابة الحقيقية التي توفر للباحث في مرحلة تأسيس الدولة المرينية أخبارا لا يجدها في غيرهما خاصة كتاب الذخيرة. لأن هذا الأخير هو لسان حال السلطة المرينية ما يجعله محل تحليل ونقد للكشف عن المسكوت عنه من الحقائق التي أخفتها طرائق الكتابة التاريخية تركيبا ونظما[2].

ب- الاهتمام بالنخبة الدينية؛ ودور الوزارة في توجيه الكتابة التاريخية.

نستشف من خلال المصادر التاريخية السلالاتية التي أرخت للمرينيين أن علاقة هؤلاء بفاس كانت متوترة منذ البداية. فقد كان دخولهم إليها بمساعدة الفقيه أبي عبد الله محمد الفشتالي[3] الذي أشرف سنة (646هـ/1248م) على البيعة المقدمة من أهل فاس إلى أبي بكر يحيى[4] (603-656هـ/1206-1258م)، والتي تم فيها إذلالهم من طرف المرينيين حيث " لم يكن بعدها (منهم الأشياخ) من يرفع رأسه إلى

---

[1]: مصطفى نشاط، مرجع سابق، ص205-206، 208- 209.

[2]: نفسه، ص210.

[3]: هو قاضي فاس، ومن علماء وفقهاء المالكية برع في الأدب. ويعد من الكتّاب البلغاء في عصره. وهو الّذي خاطبه لسان الدين ابن الخطيب بأبيات أولها: " من ذا يعدّ فضائل الفشتالي " ولاه سلطان المغرب قضاء فاس، سنة (756هـ/). وكان يوجهه في السفارة عنه إلى الأندلس. له تآليف في " الوثائق، يعرف بوثائق الفشتالي. انظر: الزركلي، مصدر سابق، 328/5.

[4]: أبو بكر بن عبد الحق (603-656هـ/1206-1258م) المعروف بأبي يحيى. وهو ابن الأمير أبي محمد عبد الحق (عبد الحق الأول)، وثالث أمراء المرينيين. تولى إمارة بني مرين سنة (642 هـ/ 1244 م) وظل في الحكم حتى وفاته. وفي عهده استولى بنو مرين على مكناسة (643هـ/) ودخلوا فاس بعد حصار شديد سنة (648هـ/1250م) مما أضعف الموحدين كثيرا وآذن بسقوط دولتهم. واتخذ المرينيون فاس قاعدة لهم قبل أن ترسم كعاصمة في عهد الأمير أبي يوسف يعقوب المنصور، كما استولى المينيون أيضا على سجلماسة ودرعة وبلاد تادلة سنة (655هـ/). انظر، الزركلي، مصدر سابق، 65/2.

فوقه ولا يتكلم بين اثنين"[1]. هذا التوتر بدأ مبكرا كموقف عام لساكنة فاس من السلطة المرينية باعتباره صراعا حضريا بدويا. فسكان فاس كانوا يعتبرون السلطة المرينية المكونة من قبائل بدوية غير مؤهلة للحكم، بينما عمل المرينيون على كسب الشرعية بعد إخضاع المدينة عسكريا، وإقرار سياسات لدمج مجتمع فاس ضمن الحكم المريني عن طريق إجراء فاعل ومؤثر يكمن في استبدال الأطر الدينية المحلية السابقة التي كانت لها استقلالية بحكم إرثها الروحي، وكذا حرية الإشراف على المؤسسات الدينية في الفترة المرابطية والموحدية؛ بأطر دينية زناتية موالية للسلطة المرينية تمثلت في بعض الشخصيات " الدخيلة " بتعبير أهل فاس، والتي انحصرت في بعض الأسر كآل المزدغي، والمغيلي، والدلائي[2].

ويبدو أن استقلالية النخبة الدينية في فاس بتعيين إمام وناظر جامع القرويين والأندلسيين، وتسيير أوقافهما، وأحباسهما كان له تأثيره وفعاليته على العامة؛ الشيء الذي أقلق السلطة المرينية، فانتهجت سياسة تقوم على التحكم في تسيير القرويين بمختلف واجهاته بأطر دينية زناتية جديدة ليكون خاضعا لهم بصفة مباشرة[3].

وتشير الأسطغرافية المرينية خصوصا كتاب **" زهرة الآس"** إلى هذه الفئة من الأطر الدينية التي تم إقصاؤها. حيث حاول الجزنائي (كان بقيد الحياة سنة 766هـ/1365م)، والذي ينتمي إلى صنف آخر من المؤرخين الذين كانت تحركهم دوافع تختلف عن تلك التي حركت مؤرخي النصف الثاني من القرن (07هـ/14م) أن يدافع ولو بأسلوب خفي عن الأطر الدينية المحلية الحضرية في مجتمع فاس[4].

وجاء كتاب الجزنائي بعد كتاب" **الأنيس المطرب"** لتستكمل الكتابة التاريخية طريقها في خدمة الأسرة المرينية انطلاقا من مدينة فاس كمركز للكتابة السلطانية بنموذج آخر يتخذ من التأريخ للمدينة موضوعا له. وهو كتاب:**" جنى زهرة الآس في**

---

[1]: الذخيرة، مصدر سابق، ص78.

[2]: مصطفى نشاط، مرجع سابق، ص211.

[3]: نفسه، ص211.

[4]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص39.

بناء مدينة فاس"[1] لأبي الحسن علي الجزنائي ألفه سنة (766هـ/1364م)، وينحدر الجزنائي من جنوب الريف المغربي. حيث ينسب إلى قبيلة جزنائة[2] الأمازيغية المستقرة في المنطقة الواقعة شمالي مدينة تازا. هذه الإشارات المقتضبة جدا هي كل ما ورد في كتب التراجم والتاريخ عنه. ولا يختلف مؤلف "زهرة الآس" عن مؤلف "الذخيرة" و"القرطاس" فيما يتعلق بالترجمة له وتحديد هويته، وعلى غرار المؤلفين السابقين فإنه لا يذكر في كتابه شيئا عن حياته كالفترة التي عاصرها، أو السلطان المريني الذي عاش في عهده، وهو المتوكل على الله أبا زيان محمد (763-767هـ/1361-1366م)[3].

ألف الجزنائي كتابه وأهداه إلى الوزير أبي علي عمر الياباني (ت768هـ/1367م) ، ويبدو أن ذلك كان بتكليف مباشر من هذا الوزير وبإيعاز منه. وهذا ما يتجلى بوضوح أيضا في مقدمة الكتاب، حيث نص الجزنائي على ذلك صراحة بقوله: "... وبعد، فإنه لما كان من شيم سيدنا الوزير السعيد... تعريف تواريخ الدول، وأخبار الجذور الأول، أردت أن أطالع وزارته السنية، وسياسته اليابانية[4] الحفصية... بكتاب مختصر يشتمل على ذكر من أسس مدينة فاس كلأها الله تعالى من الأدارسة الحسنيين، وبناء جامعي القرويين والأندلسيين، يكون تذكرة لمن تقدم له في ذلك سلوك، وتبصرة لمن أقيم في خدمة

---

[1]: نشر الكتاب لأول مرة بالجزائر سنة 1920م، وطبع على الحروف بالجزائر بمطبعة كابونيل سنة (1340هـ/1922م)، باعتناء المستشرق ألفريد بيل في 198 صفحة، ومعها ترجمة الكتاب إلى اللغة الفرنسية، والنص العربي نشر سنة 1922 م، بتحقيق ألفريد بيل، وأعيد نشره بتحقيق، عبد الوهاب بن منصور، صدر عن المطبعة الملكية بالرباط، الطبعة الأولى سنة (1387هـ/1967م)، والطبعة الثانية سنة (1411هـ/1991م).

[2]: قبيلة جزناية بحذف أولها، والنسبة إليها جزنائي. وهي قبائل من أصل يمني انصهرت في قبائل نفزاوة الزناتية فصارت في عدادها، تشغل قبائل جزناية مجالًا جغرافيا واسعا في الريف الأوسط الداخلي في منطقة جبلية يكسوها غطاء نباتي كثيرا ما كانت ملجأ للمضطهدين والمعارضين للسلطة. وتحيط بقبيلة جزناية مجموعة من القبائل، كبني توزين في الشمال والشمال الشرقي والبرانس في الغرب وهوارة في الجنوب. وكان قد استقر بها عدد من الشرفاء الأدارسة بعد أن فروا من بطش موسى بن أبي العافية. عرفت بكثرة مساجدها كمسجد العرقوب، وكذا حرص أهلها على تحصيل العلوم الشرعية. انظر: محمد حجي وآخرون، **معلمة المغرب**، مطابع سلا، الرباط، (1419هـ/1998م)، 2996/9-2997.

[3]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص40.

[4]: اليابانية: نسبة إلى بني يابان بن كرماط بني مرين، إحدى قبائل بني مرين، ومن أفخاذها بنو علي وبنو عيسي وبنو تاشفين وبنو عزم. والحفصية نسبه إلى كنية الوزير.

الوزراء والملوك..."[1]. ويبقى الخلاف بين كتاب "زهرة الآس" وغيره من المصادر المحلية التي أرخت للمرينيين في كونه لم يهد إلى أي سلطان مريني، ولا يوجد في المقدمة ما يدل على ذلك.غير أن إهداءه للوزير عمر الياباني (ت768هـ/1367م) كان بسبب التغييرات التي طرأت على مؤسسات البلاط المريني، باستحواذ مؤسسة الوزارة على سلطة أمراء بني مرين في فترة ما بعد السلاطين الكبار الذين مثلوا السلطة الكلية في البلاط، وعلى مؤسسات الدولة كالسلطان أبي الحسن المريني، لتعقبه مرحلة تراجع سلطة أمراء بني مرين، حيث أصبح نفوذ الوزير عمر الياباني كبيرا بسيطرته على القرار المريني. ولهذا كان كتاب الجزنائي موجها لصاحب الأمر والسلطة الفعلية الوزير عمر الياباني مع وقوف صاحبه إلى جانب استقلال النخبة الدينية المحلية في إشرافها على المؤسسات التعليمية بمدينة فاس[2]، وعدم دعم الأطر الدينية الزناتية المعينة من السلطة المرينية.

إن كتاب "زهرة الآس" يشكل حلقة وصل بين الكتابات التاريخية للنصف الأول من القرن (08هـ/14م) وكتابات النصف الثاني منه[3]. وقد قام الجزنائي بتقسيم كتابه إلى بابين كبيرين ينضوي تحتهما عناوين فرعية. الباب الأول ذكر فيه التعريف بالمغرب وساكنته من البربر، وحركة الفتح الإسلامي إلى بداية تأسيس دولة الأدارسة، وبناء مدينة فاس، والمكانة التي بلغتها، والثناء على ساكنتها من العامة والعلماء على حد سواء. أما الباب الثاني فجعله في ذكر من أدار مدينة فاس بالأسوار، والإصلاحات المعمارية المضافة خاصة عمارة المسجدين العتيقين ولواحقهما، وهما مسجد القرويين والأندلسيين. وهكذا يكون الجزنائي قد أرَّخ للمعالم العمرانية لمدينة فاس منذ تأسيسها سنة (194هـ/810م) إلى منتصف القرن (8هـ/14م).

---

[1]: الجزنائي، **جنى زهرة الآس**، ص2.

[2]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص39

[3]: نفسه، ص40.

اعتمد الجزنائي على جملة من المصادر المكتوبة والمسموعة والمشاهدة[1]. والتي أرخت لمدينة فاس بشكل خاص، وللغرب الإسلامي عامة منها الموجود ومنها المفقود. فنقل خبر فضل بلاد المغرب عن ابن جلجل الذي توفي بعد (377هـ/987م) في "طبقات الأطباء والحكماء"[2]، ثم تحدث عن أقسام المغرب بالنقل عن كتاب" الجغرافية "[3] لمحمد بن أبي بكر الزهري الذي توفي ما بين (548-555هـ/1154-1161م) وكتاب " المدهش"[4] لأبي الفرج بن الجوزي (ت 597هـ/1200م) دون أن يأتي على ذكر اسم المؤلفين. وبخصوص فتوح المغرب يعتمد الجزنائي على كل من أبي الحسن بن القابسي (ت 403هـ/1012م) في (الملخص لمسند الموطأ)[5] وهو مختصر لموطأ الإمام مالك، وأحمد نصر الداودي في كتابه (الأموال)[6]، وابن الزيات التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت627هـ/1229م) في (التشوف إلى رجال التصوف)[7] وهنا ذكر اسم المؤلف، ولم يذكر عنوان الكتاب.

وحين يذكر الجزنائي الشيخ أبو جيدة فإنه ينقل عن أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي (ت 603هـ/1206م) في (المستفاد في مناقب العباد؛ بمدينة

---

[1]: إضافة إلى هذه المصادر استشهد الجزنائي بالآية 120 من سورة هود، وبأحاديث نبوية الأول: في فضل أهل المغرب روي عن سفيان بن عيينة ، والثاني: روي عن سعد ابن أبي وقاص (ضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم"، الإمام مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، رقم الحديث 1925، 1525/3، والثالث: عن الاستشهاد عن دخول أهل المغرب في الإسلام، الإمام مسلم، مصدر سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم الحديث 2289، 2215/4. والرابع: في فضل مدينة فاس، الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبله، رقم الحديث 342، 202/1. الجزنائي، مصدر سابق، صص4-5، 82.

[2]: الكتاب مطبوع بتحقيق فؤاد السيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/1985م. انظر: الجزنائي، مصدر سابق، ص5.

[3]: الكتاب مطبوع بتحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر. نفسه، ص6.

[4]: الكتاب مطبوع بتحقيق مروان قباني، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ/2005م. نفسه، ص6.

[5]: الكتاب مطبوع بتحقيق علي إبراهيم مصطفى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت. نفسه، ص7.

[6]: الكتاب مطبوع بتحقيق رضا محمد سالم شحادة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1429هـ/ 2008م. نفسه، ص7.

[7]: الكتاب مطبوع بتحقيق أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م. الجزنائي، مصدر سابق، ص7.

فاس وما يليها من البلاد)[1]، وكذلك يرجع إلى ابن جرير الطبري(ت 310هـ/923م) في تاريخه دون أن يذكر عنوان كتابه (تاريخ الرسل والملوك)[2] ليحدثنا عن سبب قدوم إدريس الأول إلى المغرب. ولكن خبر فرار إدريس من وقعة قتل محمد بن سليمان وسبب تسمية مدينة فاس فإن الجزنائي ينقله عن شهاب الدين بن أبي الدم الحموي(ت 642هـ/1244م) في (التاريخ المظفري)[3].

يواصل الجزنائي ذكر مصادره مع الحرص على التصريح بها. فينقل خبر مقتل إدريس الأول، وتاريخ بناء جامع الأندلسيين عن أبي عبيد الله البكري (ت487هـ/1094م) من غير تسمية مصدره (المغرب في ذكر إفريقية والمغرب- قسم من كتاب المسالك والممالك)[4]. وفي اختيار إدريس الثاني لموضع بناء مدينة فاس يرجع الجزنائي ليعتمد على ابن الرقيق، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الشهير بالرقيق القيرواني(ت 420هـ/1029م) في " تاريخ إفريقية والمغرب"[5]. كما يذكر أنه اعتمد على كتاب القاضي عياض (ت 544هـ/1149م) " ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك"[6] كي يترجم لابن أبي مطر من ولد أبي موسى الأشعري. وعن سبب تسمية مدينة فاس وذكر محاسنها ينقل الجزنائي عن " الاستبصار في عجائب الأمصار"[7] لمؤلف المجهول، وعن علي بن أبي زرع

---

[1]: الكتاب مطبوع بتحقيق محمد الشريف، صدر عن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المملكة المغربية، 2002م. نفسه، صص7- 8.

[2]: الكتاب مطبوع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، 1387هـ/1967م. نفسه، ص10، 27.

[3]: الكتاب مطبوع بتحقيق حامد زيان غانم زيان، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1989م. نفسه، ص11.

[4]: نشر ارسلان دار الغرب الإسلامي، (د.ت)، وحقق كتاب المسالك والممالك جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،(1424هـ/2003م). نفسه، صص14- 15، 92.

[5]: الكتاب مكون من عشر مجلدات وهو مفقود وبقيت منه قطعة فقط كان آخر من نشرها علي الزيدان، وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، وطبع الكتاب بتحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1414هـ/1994م. نفسه، ص19.

[6]: الكتاب مطبوع بتحقيق حسن شلبي وأخرون، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، عدد الأجزاء 4، 1436هـ/2014م. انظر: الجزنائي، مصدر سابق، ص20.

[7]: نشره وعلق عليه سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (1406هـ/1985م). نفسه، صص23- 24، 38.

(ت741هـ/1340م) في كتابه "الأنيس بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس"[1]. رجع إليه في خبر دخول إدريس إلى المغرب، وكذا خبر الاهتمام بجامع القرويين. وبخصوص نسل إدريس الثاني فقد نقل خبرهم عن ابن حزم (ت456هـ/1064م) في " جمهرة أنساب العرب"[2].

يذكر الجزنائي أيضا أنه نقل عن أبي حامد الغزالي(ت 505هـ/1112م) في " المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى"[3] خبر المنجانة بجامع القرويين. ورجع أيضا إلى أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ/899م) في "الكامل في اللغة والأدب"[4] بخصوص خبر علاقة المؤذنين بالسلطة المرينية. وعند الحديث عن إهمال جامع القرويين فالجزنائي ينقل عن أبي بكر الطرطوشي (ت 520هـ/1127م) في " الحوادث والبدع"[5].

هذه جملة المصادر المكتوبة التي نقل عنها الجزنائي في زهرة الآس. ولكن عند إجراء مقارنة بين نصوص كتاب زهرة الآس وما جاء في روض القرطاس، يلاحظ أن علي الجزنائي قد نقل حرفيا الكثير من الفقرات عن أبي عبيد الله البكري، وعبد الملك الوراق، وأبي القاسم بن جنون، وغيرهم من المؤلفين السابقين، وكثيرا ما كان نقله عن الأنيس المطرب لابن أبي زرع متطابقا تطابقا حرفيا. وقد حرص الجزنائي حسب تصريحه على الأمانة في ذكر المؤلفات التي أخذ عنها، ونسبة القول إلى صاحبه، إلا ما رآه وشاهده بأم عينه فذاك راجع لرأيه[6]، حيث يقول:"وهنا انتهى القول فيما قيدته، واختصرته، والله سبحانه ينفع بما نويته وقصدته، مع أني لست من

---

[1]: سبقت الإشارة إليه. نفسه، ص27، 67.

[2]: الكتاب مطبوع بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة. كما راجعه وضبط أعلامه عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1440هـ/2018م. نفسه، ص28.

[3]: الكتاب مطبوع بتحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة، (1421هـ/2000م). نفسه، ص53.

[4]: الكتاب مطبوع بتحقيق عبد الحميد هنداوي، وزارة الأوقاف، المملكة العربية السعودية، 1998. نفسه، ص54.

[5]: الكتاب مطبوع بضبط وتعليق عليين حسن اللبي الاثري، ط1، دار ابن الجوزي، 1411هـ/1990م.

[6]: الجزنائي، مصدر سابق، ط1، 1967م، ص98.

أهل التأليف، ولا من أولي المعرفة بالتصنيف بمن نقل ما قاله الناس، فما عليه في نقله من بأس..."[1].

أما المصادر الشفوية فقد أشار إليها الجزنائي بصيغ متعددة. فعند حديثه عن محاسن مدينة فاس، وتوسع جامع القرويين، والتدريس بجامع الأندلسيين تم النقل بصيغة (قالت الحكماء، وقال)[2]. وعبر أيضا بصيغة (يذكر أن)[3] عند الحديث عن المعاملة الشديدة التي قوبل بها المؤذنون من طرف السلاطين، وتجديد باب جامع القرويين. كما نقل الجزنائي أخبارا أخرى بصيغة (أخبر)[4] و(يحكى أن)[5] في حديثه عن فتح المغرب وترك أحد أئمة جامع القرويين البيعة للخليفة الموحدي، وتحديد قبلة جامع القرويين، وأخبار أحد مدرسي جامع الأندلسيين.

وبصرف النظر عن اهتمام الجزنائي بالجانب التاريخي لمدينة فاس. فقد اهتم بصفة خاصة بالفقه. ونصوص زهرة الآس جاء فيها تحديد وتصريح بالمصادر وتدقيق في ذكر السنوات. وكان هناك تنوع في المصادر الخاصة بالتاريخ والجغرافيا والحديث والفقه لتحوز أخباره القبول. فاعتمد على الطبري عند حلول إدريس الأول بالمغرب، وعلى البكري عند الحديث عن أسماء الأماكن بالمشرق، وعلى ابن عبد الحكم عند الحديث عن وصول البربر إلى المغرب. وكذلك الأمر بالنسبة للسنوات والتواريخ[6].

يبدو من خلال مقارنة أجرتها مايا شاتزميلر بين نصوص منسوبة في كتاب زهرة الآس لمؤلفيها، وبين نصوص غير منسوبة في كتاب القرطاس أنها تتوافق تماما. وكأن كتاب الزهرة هو نسخة للقرطاس مع أن الجزنائي أضاف أخبارا تتمة لما ذكره ابن أبي زرع وتوقف عنده، لكن هناك تباين بين المؤلفين من جهة الأسلوب، ومعظم

[1]: الجزنائي، مصدر سابق، ط2، ص98.

[2]: نفسه، صص33، 68، 97.

[3]: نفسه، 53، 74.

[4]: نفسه، ص21.

[5]: نفسه، ص7، 75، 81.

[6]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص40.

الأخبار المكررة والمتشابهة في المصدرين[1] يذكر الجزنائي من أين أخذها، ومما لا شك فيه هو رجوع الجزنائي لكتاب القرطاس واطلاعه عليه[2].

لم يختلف الجزنائي عن غيره ممن كتب عن الدولة المرينية في الكشف عن ملامح حياته، والوسط الذي عاش فيه ليظهر بشكل جلي بسبب تأليف زهرة الآس. وكما أن إهداء الكتاب إلى أحد السلاطين يعبّر عن الولاء والطاعة في الغالب، فإن انعدام الإهداء قد ينظر إليه أنه معارضة. غير أن معرفة الظروف السياسية التي ميزت الفترة التي عاشها الجزنائي تكشف حجم الاضطرابات، وتراجع نفوذ السلاطين لصالح الوزراء في الدولة المرينية خصوصا مع السلطان محمد بن عبد الرحمان المريني (763-769هـ/ 1361-1367م) ومن جاء بعده. وقد انعكس هذا التدهور السياسي على عدم اهتمام السلاطين بالتاريخ أو تقريب العلماء، وأصبحت وضعيتهم المادية صعبة، وحالة الجوامع مزرية، والسبب في ذلك إيواؤها للمعارضة الدينية مما دفع المرينيين إلى بناء المدارس المرينية لاحتواء المعارضة أو إضعافها، ويبدو أن الجزنائي كتب كتابه ليعبّر عن هذه المعارضة التي كان مؤيدا لها من الناحية الدينية. كونه لم يقصد التأريخ للسلطان، بل قصد الجوامع ومن يخدمها؛ ما جعله يركز على علاقة السلطة المرينية بالفقهاء[3].

لقد كان الجزنائي أكثر تحررا في الكتابة من نظيره ابن أبي زرع في وقت ضعفت فيه السلطة المرينية، فعبر عن سخط النخب الدينية، وكان لسان حالهم مع أنه أظهر لوما لمن لم يكتب من المؤرخين الأكفأ منه عن الفترة التي آذنت بقرب تهاوي السلطنة المرينية، وتراجع الحضارة الإسلامية بعد انقضاء عهد السلاطين الكبار[4].

وهناك كتابات أخرى أيضا اهتمت بالتأريخ للمرينيين وردت من تلمسان وقلعة بني سلامة منها " المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن"لابن مرزوق

---

[1]: للمقارنة بين النصوص المتشابهة في زهرة الآس والقرطاس، والتي نسبها الجزنائي لصاحبها وأغفل ابن أبي زرع ذلك. انظر: القرطاس، ص19، 24، 27، 31، 32- 33، 45. وزهرة الآس، ص18، 23، 30، 36، 48-49.

[2]: نفسه، ص40.

[3]: نفسه، صص45-46.

[4]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، صص48-49.

الخطيب (ت781هـ/1339م) ، وكتاب " **العبر**" لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـم1405م) الذي خصص فصلا كاملا من القسم الثالث من كتابه للتأريخ للمرينيين، وهي فترة عاصرها من تاريخ المغرب فأجاد في الكتابة عنها.

2- الاهتمام بسيرة سلاطين بني مرين.

اهتم بعض المؤرخين في نهاية العصر الوسيط بسيرة سلاطين بني مرين عن طريق تدوين مؤلفات باسمهم تخليدا لذكراهم، أو بيانا لبطولاتهم، وانجازاتهم بأسلوب يطبعه الكثير من ألفاظ الثناء والمدح. فهؤلاء المؤرخون وظفت أقلامهم للدفاع عن السلطة المرينية القائمة، وبدعم مباشر أو غير مباشر من السلطان أو حاشيته، أو بمبادرة من المؤرخ الذي ناله من العطاء والتقريب الشيء الذي جعله لا يتعرض لما يسوء سيرة السلطان، وأعماله، ويتولى الدفاع عنه، وعن شرعية سلطانه. وهذا النمط من الكتابة يتكرر في الأعمال السلالاتية في الغالب لدى المرينيين أو غيرهم من الأسر التي حكمت بلاد المغرب الإسلامي، ومن بين هذه الأعمال أشير خصوصا إلى أرجوزة الملزوزي[1] " نظم السلوك في ذكر الأنبياء والخلفاء والملوك"[2]، وكتاب " بديع المسالك في تاريخ الأمير أبي مالك"[3]، وغيرها من المؤلفات.

---

[1]: أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمان الملزوزي المكناسي. شاعر بربري من أعظم شعراء العصر المريني، شغل منصب محتسب في آخر حياته، وكان شاعرا للأمير أبي مالك عبد الواحد بن السلطان أبي يوسف المريني (ت670هـ/1272م)، ثم شاعرا للسلطان أبي يوسف الذي رافقه في الكثير من معاركه، وتوفي الملزوزي خنقا بسجنه سنة (ت696هـ/1297م). انظر، مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص19.

[2]: نشره عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، 1963م.

[3]: من خلال العنوان يفهم بأن مؤلفه هو الملزوزي نفسه الذي كان شاعرا للأمير أبي مالك في بداية حياته كما صرحت ما يا شاتزميلر، وقد ألف الكتاب قبل سنة 1272م وهو تاريخ وفاة الأمير. عثر على نسخة من هذا المؤلف في منطقة أسين بالسيوس ((Asin Palacios ، بإسبانيا عام (1328هـ/1911م)، وباستثناء صفحاته الثلاثة الأولى يتعذر قراءة الباقي، ويبدو أن هذا المخطوط هو عبارة عن تاريخ للعهد المريني بأسلوب نثري مسجوع. انظر، مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص20.

أ- مسند ابن مرزوق:أهم مؤلف تاريخي يعتني بسيرة سلطان مريني.

يعتبر كتاب " **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**"[1] مساهمة أخرى في التاريخ السياسي والاجتماعي للأسرة المرينية وسلاطينها من داخل البلاط، ولم يكن تاريخ أحداث ووقائع كما هو حال المؤلفات التاريخية الأخرى، غير أنه كتب كسيرة شخصية للسلطان أبي الحسن المريني علي بن عثمان (732-749هـ/1331-1348م) الذي حظي باهتمام كبير من طرف ابن مرزوق، وغيره من الكتاب والمؤرخين باعتباره أعظم سلطان مريني حكم المغرب الإسلامي، ووحّد عدوتيه لثاني وآخر مرة، مسبوقا بأول توحيد زمن عبد المؤمن بن علي، كما برز السلطان كأقوى شخصية سياسية ظهرت على مسرح الأحداث خلال القرن 8هـ/14م. مؤلف المسند هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق[2]

---

[1]: قام ليفي بروفنسال بتقديم المسند في دراسة بعنوان:

"Un nouveau texte d'histoire : le Musnad D'Ibn Marzuq", hispéris, V, (1925), p 1-82.

ونشرت محققة المسند ماريا خيسوس بيغيرا الترجمة الاسبانية للمسند، وقامت بتقديم دراسة متميزة حول المسند ومؤلفه في مقدمة التحقيق. وكانت الترجمة الاسبانية بعنوان:

El Musnad : Hecbos memorables de abu l-Hasan, sultan de benimerines. Instituto hispano-arabe de Cultura, Madrid 1997.

كما قامت مايا شاتزميلر بدراسة أيضا حول المسند بعنوان:

Shatzmiller Maya ; " Les circonstances de la composition du Musnad d'Ibn Marzuq" Arabica, 22, (1975), p. 293-299.

وفي عام 1982م قام بلاشير (R.blachére) بنشر ترجمة فرنسية لصفحتين من الفصل الرابع من كتاب المسند، وجعل الباقي كمشروع لتحقيق كامل الكتاب لكنه لم يفعل، وأكملت مريا خيسوس تحقيقه. ووسمت الترجمة بـ:

Régis- Blachere, " quelques détails sur la vie privée du Sultan mérinide Abu L'Hasan", Mémorial, Henri Basset, paris, (1928), vol,I, p 83-89.

[2]: ينظر ترجمته: يحيى بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980م. الجزء2، علم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص115. عبد الرحمن بن خلدون، **الرحلة**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص49. **العبر**، 414/7، 415، 539.ابن قنفذ، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص175. **الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م، صص60-61.ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م، 587/4. ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق، محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، 46/1. أبو العباس أحمد الونشريسي، **الوفيات**، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر،

العجيسي[1] الخطيب[2] التلمساني(ت 781هـ/1379م) الذي كان صديقا لابن الخطيب (ت 776هـ/1374م) وعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405م)، ولا يقل عنهما شهرة وحضورا في الجانب السياسي والثقافي ببلاد المغرب[3].

ينحدر ابن مرزوق من سلالة وأسرة المرازقة العريقة في العلم، ترتبط بأوثق الصلات، وأعرق الجذور بأرض المغرب الأوسط. اشتهرت في ميادين العلم والدين والحضارة بالغرب الإسلامي[4]، وكانت مستقرة بتلمسان عاصمة بني عبد الواد حيث ولد ابن مرزوق بداية القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي (

القاهرة، 2009م، ص129. أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، مراجعة عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م، ص450، 456.ابن مريم، **البستان في ذكر العلماء والاولياء بتلمسان**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م، ص184. أبو العباس أحمد القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من أعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، 225/1، **درّة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1971م، 275/2. ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق عبد القادر ومحمد الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1989م، 271/6. المقري، **نفح الطيب**، 390/5- 418. الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م، 141/1. الزركلي، **الأعلام**، 226/6. عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ، 1980م، ص140. عبد الرحمان السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، باب الميم، 384/2.

[1]: نسبة إلى عجيسة، وهم بطون البرانس من ولد عجيسة بن برنس، مواضعها في ضواحي تونس والجبال المطلة على المسيلة، قال ابن خلدون: «ومدلول هذا الاسم البطن، فإن البربر يسمون البطن بلغتهم «عدَّس» بالدال المشددة فلما عرَّبتها العرب قلبت دالها جيما مخفَّفة». انظر، ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982م، 495. وابن خلدون، **العبر**، 295/11. والقلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ص319.

[2]: يذكر ابن مرزوق أنه بدأ الخطابة وهو ابن التسع عشرة سنة ويقول أن شيخ والده المرشدي هو من قدمه لخطبة الجمعة من بين جمع كبير من العلماء والفقهاء، فألقى خطبة بليغة، ولم يكن يتوقع ذلك، حيث قال والناس ينظرون إلي ويخشعون من وعظي... المرشدي قدمه على غيره، وألقى خطبة بليغة، وكان المرشدي هو من ناداه بالخطيب، وطلب منه أن يخطب بمسجد الإسكندرية. انظر، ابن مريم، **البستان**، ص189.

[3]: محمد بن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق، ماريا خيسوس بيقيرا، تقديم محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص7-8.

[4]: نفسه، ص7.

710هـ/1311م)[1]، وعاش حياة سفر وطلب للعلم والرزق في مختلف أقطار العالم الإسلامي وحواضره مشرقا ومغربا، ثم عمل على الاقتراب من السلاطين في عصره[2].

وعرف ابن مرزوق بالخطيب البليغ[3] لتميز خطبه بالفصاحة، حيث تولى منصب الخطابة في البلاط المريني، وخطب على منابر كثيرة شرقا وغربا وأندلسا[4]. ولم يكتف بالعلم والخطابة فقط بل اهتم بالسياسة وخدمة السلالات الحاكمة التي عاصرها من ملوك بني زيان في تلمسان، وملوك بني مرين في فاس حيث خدم أشهر سلاطينها أبي الحسن المريني، وملوك بني الأحمر في غرناطة، واتصل بملوك تونس من بني حفص[5].

وبعد مدة قضاها ابن مرزوق بتلمسان أرض أجداده غادرها متوجها إلى المشرق رفقة والده أحمد بن محمد بن أبي مرزوق (ت741هـ/1340م) سنة (718هـ/1318م)، فمرَّ ببجاية وسمع بها على أبي علي ناصر الدين، وجاور أبوه بالحرمين الشريفين، واتصل ببعض العلماء المشهورين، ودرس على بعضهم بعد أن أقام بالقاهرة مدة، فقرأ على برهان الدين السفاقسي المالكي وأخيه[6]، ثم عاد إلى تلمسان سنة (735هـ/1334م)، وكان السلطان أبو الحسن المريني قد ضمّ العاصمة

---

[1]: يذكر ابن الخطيب أنه ولد سنة (710هـ/ 1310م)، بينما يقول ابن خلدون في تاريخه أنه ولد سنة (711هـ/ 1311م). **العبر**، 542/7.

[2]: ابن مرزوق، مصدر سابق، ص8.

[3]: أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج**، 161/1.

[4]: يشيد ابن مرزوق بتوليه الخطابة واعتلائه منابر كثيرة بقوله:" وحصلت على ما لم يحصل عليه أحد فيما علمت في عصر من الأعصار، ولا اتفق لأحد قبلي فيما أظن في قطر من الأقطار، فارتقيت أحد وخمسين منبرا في بلاد شتى من أقصى المغرب ووسطه وعدوة الأندلس والزاب وإفريقية، فما من قاعدة وحضرة ملك في هذه البلاد إلا واعتليت منبرها ، وأخلصت الدعاء لمقلدها" : انظر ابن مرزق، **المسند الصحيح**، ص487. وابن مريم، مرجع سابق، ص187. ويقول حول توليه الخطابة أيضا:" لقد ارتقيت خمسين منبرا من حواضر الإسلام...".انظر: محمد بن مرزوق الخطيب، **المناقب المرزوقية**، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، ط1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2008م، ص 139-140.

[5]: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص9.

[6]: هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسي الصفاقسي برهان الدين (697- 743هـ/1297- 1342م) صاحب كتاب "إعراب القرآن"، ألفه بالاشتراك مع أخيه شمس الدين محمد. انظر: ابن خلدون، **الرحلة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص61.

الزيانية تلمسان إلى دولته سنة (738هـ/1337م) وبنى مسجد العبّاد بها فتولي عمه خطابته، وبعد وفاته ولاه السلطان خطابة الجامع مكان عمه، فأشاد بالسلطان كثيرا في خطبه فقربه منزلة ومقاما، وولّاه أعمالا عملية وسياسية [1] فعينه بعده للنظر في الشكايا مع جملة من الوزراء والفقهاء من أهل الثقة[2]، والنظر في العطاء بالاشتراك مع الفقهاء أبو عبد الله السطي، وأبو العباس بن يربوع المري السبتي، وقاضي سبتة[3]، وقلده الخطابة، وألحقه بخاصته ولازمه[4]، وقلده أيضا الشهادة في العقود[5]، كما أنه لازم مجلس الشيخين أيضا أبا زيد وأبا موسى ابنا الإمام البرشكي[6].

لقد كان التحاق ابن مرزوق ببلاط السلطان أبي الحسن المريني في فترة حصاره لمدينة تلمسان. واحتاج لبعض أبناء المدينة ليخبره عن أحوالها فقرب ابن مرزوق وولاه منصب الفقيه، بعد أن ألحقه بالبلاط المريني بالمنصورة ثم تلمسان[7]، وبعد امتلاك السلطان إفريقية غاب ابن مرزوق الحفيد في سفارة صلح إلى ابن الأدفونش ملك قشتالة لانقاذ ابن السلطان أبي عمر تاشفين الذي أُسِرَ في وقعة طريف (741هـ/1340م)، لكن بعد انهزام المرينيين أمام أسوار القيروان سنة (747هـ/1347م) توجه ابن مرزوق لتلمسان وأقام بالعُبَّاد وخدم بني عبد الواد ردحا من الزمن؛ ثم نفي بعد سجنه من تلمسان إلى الأندلس بسبب اضطرابات سياسية[8]

---

[1]: المقري، مصدر سابق، 5/151-152-153، ابن خلدون، **التعريف**، ص61.

[2]: بنى السلطان المريني أبو الحسن قبة العدل في منصورة تلمسان وسبتة، وكان يجلس فيها، ويعين من يثق بهم من كبار الوزراء والفقهاء، وقد سمى ابن مرزوق عددا من الفقهاء منهم الفقيه أبو عبد الله الرندي وغيرهم إلى قوله:" وكنت من جملة من كان يُعيّنه لذلك ... والقضايا التي ترفع إليه يتركها عندي" . انظر ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص173-174.

[3]: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص193.

[4]: نفسه، ص156-157- 158 – 159.

[5]: نفسه، ص485- 486.

[6]: نفسه، ً225، ابن خلدون، **الرحلة**، ص61.

[7]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص53.

[8]: يقول ابن مرزوق الخطيب:" فحينئذ أخرجوني يقصد من السجن...اقترحت على أهل تلمسان في الجواز للأندلس فأسعفوني". وحينها بلغه وفاة السلطان أبي الحسن المريني بخط ابنه أبو عنان. انظر: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص497

فدخل في خدمة السلطان أبي الحجاج يوسف بن الأحمر بغرناطة (733-755هـ/1332- 1353م)، واستعمله في الخطابة بجامعه بالحمراء[1]، وما لبث أن عاد إلى خدمة بني مرين بعد أن استدعاه السلطان أبو عنان (749- 759هـ/1348-1357م) سنة (754هـ/1353م) وجعله من أكابر أهل مجلسه العلمي[2]، ثم أرسله السلطان إلى تونس ليخطب له ابنة السلطان أبي يحيى التي ردت الخطبة واختفت بتونس، وفشل ابن مرزوق في سفارته ووشى به إلى السلطان أبي عنان على أنه كان على علم بمكانها فسجنه سنة (758هـ/1356م)[3]، ثم سجن مرة أخرى سنة (762هـ/1361م) بعد مقتل سلطانه أبي سالم إبراهيم بن علي (760-762هـ/1358-1360م). وقد عرف تألقه السياسي مع هذا السلطان نظرا للثقة التي كان يحظى بها لديه[4]، كما أنه اتهم بتورطه في مقتل سلطانه أبي سالم ونجا بأعجوبة من هذه الحادثة الحادثة أواخر سنة (762هـ/1360م)[5]. فرحل إلى تونس بعد خروجه من السجن والامتحان سنة (764هـ/1362م) ، فاستقبل بحفاوة من طرف السلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم (751-770هـ/1350-1368م) وولاه الخطابة بجامع الموحدين بتونس، وأقام بها إلى أن مات السلطان أبو إسحاق سنة (770هـ/1368م) وتولى ابنه خالد الذي قتل بعد عامين من طرف السلطان أبي العباس سنة (772هـ/1370م)، الذي عزل ابن مرزوق عن خطابة مسجد الموحدين، فأصبحت حياته صعبة، بل ومحاطا بالكثير من المخاطر، الشيء الذي اضطره إلى الانتقال للإسكندرية سنة (773هـ/1371م)، ثم الرحيل إلى القاهرة حيث حظي بمكانة عند السلطان المملوكي

---

[1]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص62.

[2]: نفسه، ص62.

[3]: نفسه، ص62.

[4]: حين وصل السلطان أبو سالم للحكم يقول ابن خلدون:" رفعه على الناس، وألقى عليه محبته، وجعل زمام الأمور بيده، فوطىء الناس عقبه، وغشي أشراف الدولة بابه، وصرفوا الوجوه إليه، فمرضت قلوب أهل الدولة، ونقموا على السلطان"، انظر: ابن خلدون، **الرحلة**، ص63.

[5]: نفسه، ص63.

الأشرف ناصر الدين (764-778هـ/1362- 1376م)، الذي كان يحضر يومئذ مجلسه، قبل أن يوليه الوظائف العلمية المختلفة[1].

إن مغامرات ابن مرزوق السياسية تماثل ما قام به صديقاه؛ ومعاصراه لسان الدين بن الخطيب (776هـ/1374م)[2] وعبد الرحمن بن خلدون(ت 808هـ/1405م)[3]، من السعي وراء المناصب السياسية، والتقرب من السلاطين فتدرج هذا الأخير في المناصب، ثم ابتلي بالسجن؛ وعرف النكبات بعد المكانة التي حازها في البلاط. غير أن خاتمته السياسية لم تنته بالقتل كما حصل مع لسان الدين ابن الخطيب، بل أقام بالقاهرة موقر الرتبة معروف الفضيلة مرشحا لقضاء المالكية؛ ملازما للتدريس في وظائفه إلى أن مات سنة (781هـ/1379م)[4]، بعيدا عن أرضه وأهله، كما حصل مع صديقه الآخر عبد الرحمان بن خلدون[5].

- وقت تأليف المسند الصحيح:

كتب ابن مرزوق مسنده في ظروف صعبة؛ قاربت على نهايته السياسية أيام تواجده بتونس (765-772هـ//1363- 1370م)، وبدأ في تدوين مجموعه بعد وفاة الفقيه أبي العباس أحمد بن الحسن المديوني (ت 768هـ/1366م)[6] بثلاث سنوات[7] أي سنة

---

[1]: ابن مريم، مصدر سابق، ص87.

[2]: كانت بين الوزير لسان الدين بن الخطيب، وابن مرزوق الخطيب مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس. انظر: ابن الخطيب، **الإحاطة**، 442/7.

[3]: كان عبد الرحمان بن خلدون صديقا لابن مرزوق الخطيب فيقول: فقصدني ابن مرزوق في ذلك، وأوصل إليّ كتاب السلطان أبي سالم المريني، انظر: ابن خلدون، **العبر**،540/7.

[4]: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص 8، لما بلغ ابن مرزوق خبر وفاة السلطان أبي الحسن المريني قال في حقه وفاء له:" فبلغني إذ ذاك وفاته كتب بها إلي بخطه المولى أبو عنان رحمه الله، وكابدت في هذا الثقاف ما ارجو ذخره عند الله، وحق جلال الله ما ندمت على محبته، ولا خرجت عن لزوم طاعته، وجرد علي السيف لأجل ذلك فأعان الله وخلص بفضله، والمرجو من الله أن يديم محبته، ويعيد بركته". انظر: ابن مرزق، **المسند الصحيح**، ص498.

[5]: نفسه، ص9.

[6]: ذكرت سنة وفاة الفقيه أبي العباس أحمد المديوني سنة (786هـ/1366م) عند: الحفناوي، مرجع سابق، ص53. و أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص105.

[7]: صرح ابن مرزوق بذلك في مسنده حيث قال:" الفقيه أبو العباس أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني من بني عبد العزيز من أحواز تلمسان، نشأ في تلمسان...واستعمله مولانا أمير المسلمين (السلطان أبو الحسن) في الزكوات وسماع

(771هـ/1369م)، وسجل فيه وهو شاهد عيان مواقف السلطان أبي الحسن المريني الذي عايشه عن كثب في حله وترحاله وسلمه وحربه. فبلغ مقاما رفيعا عنده إلى أن أصبح مفضي سره؛ وإمام جامعه؛ وخطيب منبره؛ وأمين رسائله[1]، فكانت علاقته به قوية حيث يقول:" وقلدني الإمامة مددا عديدة في تعذر...وأهلني لكتب صدقاته وصدقات أولاده، وقدمني لسماع الشيكات، وائتمنني على أسراره، واستعملني في كتبها مدة عنه، ولم يطلع عليها بشرا... وأهلني للسفارة والرسالة...وأهلني للمسامرة والمحاضرة، واختصني بالمفاكهة والمباسطة، وأظهرني على النظراء، وفضلني على الظهراء، وأولاني من الاعتناء ما ارتقيت به إلى أعلاء مراتب الأخطاء"[2]، وبذلك عرف تفاصيل الحياة اليومية في القصر، وما أحاط بها من أسرار، واطلع على المراسلات، والوثائق المحفوظة فسجل مآثر وسجايا سلطانه وهو شاهد عيان[3].

لقد انتظر ابن مرزوق عشرين سنة بعد وفاة السلطان المريني أبي الحسن علي بن عثمان (732-749هـ/1331-1348م) ليؤلف كتابه "**المسند الصحيح**"[4]؛ وهو مقيم بتونس عند ملوك بني حفص، وقد شهد أياما صعبة خصوصا بعد وفاة سلطانه أبي إسحاق إبراهيم (751- 770هـ/1350- 1369م) ، وعزله من خطابة مسجد الموحدين[5] من طرف السلطان الجديد أبي العباس أحمد (772-796هـ/1370-

---

الشكايات، ودام على ذلك إلى أن ولي القضاء بتلمسان أيام المولى أبي عنان رحمه الله، واستمر على ولاية القضاء إلى أن توفي منذ ثلاثة أعوام تقدمت تأليف هذا المجموع". انظر ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص267- 268.

[1]: ابن مريم، مصدر سابق، ص186.

[2]: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص486.

[3]: نفسه، ص5.

[4]: تم العثور على أول نسخة من المخطوط سنة 1924م بمكتبة الأسكوريال من طرف ليفي بروفنصال الذي نشر أجزاء منه في مجلة هسبريس (E.Levi provencal : Un nouveau d'histoire mérinide, le Musnad d'ibn Marzuk dans Ibn Marzuk dans Hesperis V- 1925 pp1-82 وبعدها ظهرت ترجمة إسبانية للمؤلف ونشر من طرف (Maria j. Viguera) انظر: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص55.

[5]: أشار ابن مرزوق إلى سوء وضعه في تونس بالرغم من توليه خطابة مسجد الموحدين حيث **قال:"** ...وزمني الآن عوارض امتحان، وتقلبات أزمان، واختلاف أحوال، وظعن وترحال، وكابدت فقد الأقران، وقلة الإخوان، وجفوة الأوطان، وهجر السلطان، وكان من الأمر ما كان فحصلت في بلاد الاغتراب وذقت ألم البعد بعد الاقتراب، وأثقلني العيال وآدني الإقلال". انظر: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص92,

1394م)[1]، وقد اعتمد ابن مرزوق في تدوين مؤلفه على ذاكرته في حفظ الأخبار التي عايشها في البلاط، وفرغ من تأليفه أوائل شهر رمضان من سنة (772هـ/1370م) في فترة حكم السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز المنصور (768-774هـ/1366-1372م) الذي كان متواجدا بمدينة تلمسان بعد الاستيلاء عليها حيث أرسل له ابن مرزوق نسخة من كتابه سنة (772هـ/1370م) وفاء لذكرى والده السلطان أبي الحسن المريني، وتمجيدا لسلطانه، وذكر مآثره، ومحاولة منه لاسترجاع مكانته في البلاط المريني مرة أخرى بتأليفه للمسند، وحفظ أملاكه التي تمت مصادرتها في البلد الذي أُبعِدَ عنه[2]، وقد راسل ابن مرزوق السلطان أبي فارس في هذا الشأن لاستمالة عطفه[3]، وأثنى عليه في مؤلفه[4] لكنه فشل في ذلك[5]، ونتيجة لفشله، وظروفه الصعبة في تونس رحل ابن مرزوق إلى الإسكندرية ثم القاهرة عند السلطان الأشرف أبو المفاخر شعبان بن الحسين بن محمد بن قلاوون (764- 778هـ/1363-1376م)، وكان ذلك

[1]: كان لدى ابن مرزوق ريبة من السلطان أبي العباس بسبب ميله وهو بفاس مع بعض أبناء البيت الحفصي لابن عم السلطان صاحب بجاية الأمير أبي عبد الله محمد وتقديمه عند السلطان أبي سالم، فعزله أبو العباس ابن مرزوق عن خطابة مسجد الموحدين كما تقدم ذكر ذلك، فقرر الرحيل إلى المشرق. انظر: ابن خلدون، **الرحلة**، ص64.

[2]: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص6.

[3]: ذكّر ابن مرزوق السلطان أبي فارس عبد العزيز بمكانته عند والده السلطان أبي الحسن المريني، وما ناله من البيت المريني من الفضل والإحسان وهو يرجو استرجاع مكانته في البلاط المريني، واسترجاع ممتلكاته التي تركها خلفه حين ارتحل إلى تونس حيث **يقول:"** وبلغني ما امتن الله به على الخلائق، وما شرفت به المغارب على المشارق في إحياء الحسن الذي عهدته، وعود اللطف الذي تعودته،...وقيام مولاي بن مولاي نجله الذي أعز الله به الإسلام ونصره،... وفتح له الفتح الذي به العهد بمثاله، ...وعلى يده أظهر مولانا أمير المسلمين ...أبو فارس عبد العزيز، فلما تعرفت أنه جرى على سننه وأحيا ما نسي من سننه، هاجت لواعج الأشواق، وتجدد ألم البعد والفراق،...وحرمت النفس مشتهاها، ولم تدرك من مشاهدة ما هي مغرمة به متمناها، ...وكنت لا أنسى ذكر مناقب مولانا المرحوم وأيامه، ولا أغفل أبدا عن شمائله عن شكر أنعامه،... وكيف أنسى أيادي ملوك أورثوني الشرف، وأكسبنب فراق مغانيهم الشوق والأسف". انظر: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص92- 93.

[4]: في الحديث عن العطاء يذكر ابن مرزوق سلاطين بني مرين حتى يصل إلى أبي فارس فيقول:" ...وزادها أبهة وجلالا (سيرة الإحسان والعطاء) مولانا أبو فارس رضي الله عنه". وعن اهتمامه بصالح الرعية والنظر في الشكايات يقول:" وتعرفت أنا سيرة مولانا أمير المسلمين أبي فارس على أحسن ما يعهد من هذا وأكمله". انظر ابن مرزوق، المصدر نفسه ص154، 175.

[5]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص54.

أواخر سنة (773هـ/1371م)[1]، وإضافة إلى كتابه " **المسند الصحيح**"، ألف ابن مرزوق الخطيب مؤلفا آخر دوّن فيه سيرته بعنوان" **المناقب المرزوقية**"[2]؛ والذي فرغ من تأليفه في أوائل سنة (763هـ/1361م)[3].

- **روافد ابن مرزوق في مسنده.**

تنوعت مصادر ابن مرزوق الشفوية في مسنده ووردت بعبارات مختلفة، وبصيغة ضمير المتكلم[4] لأنه كان شاهد عيان على الكثير من الحوادث التي رواها منطلقا من ذاكرته وحفظه. فسمع ممن أدركه من مشايخه المعاصرين له كشيخ المسندين والمؤرخين أبي محمد بن عبد المهيمن (ت 749هـ/1348م)[5]، وأبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى (751هـ/1350م)[6]، ونقل روايات عن والده أبي العباس أحمد(741هـ/1340م)[7]، وعمه أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق[8]، مرزوق[8]، وسجل حديث سلطانه في مواضع كثيرة من مؤلفه[9]، وسمع من الشيخ أبو

---

[1]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص64.

[2]: نشر الكتاب من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، وطبع الطبعة الأولى سنة 2008م، بمطبعة النجاح بالدار البيضاء، دراسة وتحقيق، سلوى الزاهري، ويذكر ابن مرزوق في مسنده مؤلفات أخرى لبعضها علاقة بسلطانه أبي الحسن المريني منها:" إيضاح المراشد في أجوبة أبي راشد"، و" أبعون حديثا في فضل الخلافة"، و" جمع أربعين حديثا يحرم الخروج عن الأئمة"، و" كتاب الشفاء"، وغيرها من المؤلفات، انظر: ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص97- 98، 101، 199.

[3]: أبو عبد الله محمد ابن مرزوق، **المناقب المرزوقيه**، ص311.

[4]: أورد ابن مرزوق روايته بصيغ مختلفة كقوله: "سمعت، حدثني، حدثني غير واحد، حدثني والدي وعمي رحمهما الله، قال، أخبرني، وكنت، وعرضت، حضرت، حدثني، وغيرها من العبارات. انظر: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص108، 109، 116-117، 122، 125، 128، 150، 160، 161، 309، 410، 411، 449.

[5]: نفسه، ص117.

[6]: نفسه، ص109، 117.

[7]: قال:" حدثني والدي وعمي رحمهما الله"، " حدثني والدي رحمه الله"، " كان والدي رحمه الله قال لي"، انظر: ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص117، 121، 155.

[8]: نفسه، ص117.

[9]: نقل حديث سلطانه أبي الحسن بصيغ مختلفة منها:" (سمعته من المولى، أخبرني رضي الله عنه، وسمعت منه وهو يحكي، حدثني، حدثني غير مرة). ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص107، 109، 116، 123، 127-128، 134، 148، 184، 202، 223، 438.

عبد الله المكناسي[1]، والأستاذ المقرئ أبو العباس الزواوي[2]، وروى عن الشيخ أبي زيان عريف[3]، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الرزاق[4]، وروى عن شيخه بالقاهرة شهاب شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم السمرائي الذي ينقل عن أبيه وعن شهاب الدين الشهرزوري معنى كلمة " صوفية" وأصل التسمية والخلاف في ذلك[5]، وسمع أيضا حديث شيخه برهان الدين السفاقسي بمجلس تدريسه بالقاهرة المعزية حول جواز سبك مصحف مكتوب بالذهب[6].

وإضافة إلى الرواية الشفوية التي شكلت أساس الرواية عند ابن مرزوق الخطيب في مؤلفه المسند اعتمد أيضا على مصادر مكتوبة منها كتاب العز بن عبد السلام(ت 660هـ/1261م) كتاب " القواعد"[7]، وعلي ابن أبي زرع(ت 726هـ/1326م)" الأنيس الأنيس المطرب"[8]، وما ألفه القاضي عياض(ت 544هـ/1149م)" الشفا بتعريف حقوق المصطفى"[9]، و" ترتيب المدارك وتقريب المسالك"[10]، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي (ت658هـ/1259م) " التكملة لكتاب الصلة"[11]، و" إعتابُ

---

[1]: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص122.

[2]: نفسه، ص122.

[3]: نفسه، ص125.

[4]: نفسه، ص125.

[5]: نفسه، ص410.

[6]: نفسه، ص471.

[7]: نفسه، ص101.

[8]: نفسه، ص108- 109.

[9]: اعتمده في ذكر تسمية المصطفى – صلى الله عليه وسلم- بالخليفة الأول. انظر: ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص96.

[10]: ورد ذكره في قوله:" فانظر ترجمة أبي القاسم في المدارك لعياض". انظر: ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص306.

[11]: نفسه، ص347.

الكتّاب"[1]، والقاضي عياض أيضا" الفنون الستة في أخبار سبتة"[2]، و ابن عبد الملك المراكشي(ت 703هـ/1303م)" الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"[3].

لقد تعرض ابن مرزوق لنسب زناتة وقبيلة بني مرين فنقل آراء بعض أئمة النسب والتاريخ والخلاف الذي جرى بينهم في إلحاق زناتة بالنسب الشريف. فنقل رأي ابن عبد البر (463هـ/1020م) وقال بأنه الثبت[4]، وأبو عبيد الله البكري في بعض تآليفه[5]، والحافظ أبو الحسين بن سعيد العبسي، ومالك بن المرحل، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن خطاب[6]. وذكر رد ابن سعيد على ابن حزم **"جمهرة أنساب العرب"** الذي ينكر النسب الشريف لبني مرين فقال :" عجبنا لهذا الرجل ما سلم منه أحمد من الأمم عربيا وأعجميا"، واستند أيضا على أقوال من وصفهم بالأثبات كأبي عبيدة القاسم بن سلام في كتابه **"أنساب حمير"** وابن جرير الطبري[7]. وقرأ ما كتبه ابن أبي زرع في ذلك ذلك وقال بأن الكثير من أخباره أنكرها المولى أبو سعيد. كما نقل رواية أبي إسحاق بن أبي يحيى الذي يرفع نسب بني مرين إلى العرب. وذكر خبر شجرة النسب التي كانت من عمل المؤرخ أبي القاسم الملاحي[8]. ويقول ابن مرزوق في هذا الشأن أيضا أيضا أن عيسى بن الحسن العسكري قد أوقفه على" **مجموع"** يقتضي تشعب قبائل بني مرين ورفع نسبهم. ولم يذكر ابن مرزوق عنوان هذا المصدر المكتوب ولا بَيَّن اسم صاحبه[9]. كما نقل ابن مرزوق آراء بعض المؤرخين حول وجود مصحف عثمان عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمغرب، والخلاف في كون المصحف بخط الخليفة

---

[1]: ذكر ابن مرزوق ما استفتح به ابن الأبار كتابه بذكر كتاب الوحي لدى رسول الله – صلى الله عليه وسلم-. انظر ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص373.

[2]: نقل عنه خبر مرور طارق بن زياد للأندلس، وتسمية لذريق على أنها لكل من ملك الأندلس. قال:" وهي فائدة ذكرها القاضي في كتابه الموسوم بالفنون الستة في أخبار سبتة، لم أرها لغيره. انظر: ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص389.

[3]: نفسه، ص343، 347، 461.

[4]: نفسه، ص107.

[5]: نفسه، ص108.

[6]: نفسه، ص 109.

[7]: نفسه، ص 109.

[8]: نفسه، ص109.

[9]: نفسه، صص107، 109.

وهو الذي عليه دمه (رضي الله عنه)، أو كان أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها إلى الأمصار. فاعتمد ابن مرزوق في بيان هذا على ابن عبد الملك المراكشي، وأبي القاسم التجيبي السبتي وغيرهما[1].

كما اعتمد ابن مرزوق على آراء بعض المؤرخين شهادته الشخصية على حياة البلاط في عهد السلطان أبي الحسن المريني، ولا شك أنه اطلع على مخزون الدولة من الوثائق والمراسلات، وخالط رجال الدولة وعلمائها فخط كتابه وفق رؤية من الداخل صوبها نحو الثناء على السلطان المريني أبي الحسن ومدحه، وذكر سند رواياته وفق منهج المحدثين لتلقى أخباره رواجا وقبولا، وعلى الرغم من الصورة المثالية التي رسمها ابن وزوق لسلطانه أبي الحسن إلا أن أثره هذا يعد كتابة تاريخية فريدة ومختلفة لأنه صور حياة السلطة السياسية والاجتماعية وبلاط أبي الحسن من الداخل على عكس الكتابات السلطوية الأخرى في عصره[2].

- **مضمون كتاب المسند الصحيح:**

عرف عصر ابن مرزوق بحياة دينية وأدبية مزدهرة، وكثر أنتاجه الفكري وتعدد متأثرا بعصره وواقعه، فأثبت حضوره العلمي، وبرز ذلك في أصالة أفكاره، وكثرة إنتاجه، ومشاركته في علوم مختلفة أظهر فيها براعته وتفرده، كالتفسير، والشعر، واللغة، والحديث، والفقه، وعلم الرواية، والآثار، والتاريخ، وبهذا عظم ما أنتجه خلال القرن الثامن الهجري[3]، حيث تتوزع آثاره بين الأدب والفقه والشعر والتاريخ والتراجم، غير أن معظم هذه الآثار لم تصلنا، وما وصلنا منها لازال بعضه مخطوطا.

إن مؤلفات ابن مرزوق عديدة شملت مختلف صنوف العلم والمعرفة، نذكر منها "عجلة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشائخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز" ذكر فيه أسماء شيوخه، و "تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام " في خمسة أسفار، و"شرح الأحكام الصغرى" لعبد الحق الإشبيلي، و"شرح

---

[1]: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، صص459، 461-462.

[2]: آسيا ساحلي، **انتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 1428-1429هـ/2007-2008م، صص100-101.

[3]: ابن مرزوق، **المناقب المرزوقيه**، ص79.

الشفاء" للقاضي عياض، لم يكمله، و"إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب"، و"تحفة الطرف إلى الملك الأشرف"، و"كتاب الإمامة "؛ و"إيضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافة الحكم والفوائد" و"شرح صحيح البخاري " و"الإمامة " و"شرح البردة" و"ديوان خطب وقصائد، وغيرها[1].

و يضاف إليها أيضا" شرح عمدة الأحكام " في الحديث"؛ و " شرح الشفاء " لم يكمله، و " شرح الأحكام الصغرى " و " إيضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد " و " الإمامة " و " المفاتيح المرزوقية " في شرح الخزرجية، و " عقيدة أهل التوحيد، المخرجة من ظلمات التقليد"، و"**المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن "** اختصر وطبع المختصر مع ترجمته إلى الفرنسية، وهو أهم مؤلفاته الباقية[2].

اشتمل مسند ابن مرزوق على ترجمة لحياة النبي صلى الله عليه ولعله كان يهدف من وراء ذلك إلى اتصاف السلطان بالخصال الحميدة تأسيا بالرسول عليه الصلاة والسلام. وجاءت مفاصل المسند متباينة حيث ذكر فيه أحاديث نبوية، وأخبار تاريخية عن البلاط والحياة بتلمسان، ووقائع فقهية، في شكل أدب تقليدي فاعتبر جزء منه فقط تاريخا، واختلف بذلك عن المصادر التاريخية الأخرى التي تجعل من الوقائع وحركة الفتح وسير السلاطين والملوك موضوعها. وهذا ما أعطى المسند قيمته التاريخية المتميزة وزادت شهرته حتى بلغت به إلى إعداده من بين أهم المصادر التاريخية في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[3]. ويبدو أن المسند صنف كسيرة شخصية لأبي الحسن المريني، ورأى بأن السلطان استحق ذلك بسبب جهوده التي بذلها في توحيد المغرب والذود عن الأندلس، وتقريب العلماء وبناء المدارس وغيرها من المحامد[4].

---

[1]: عادل نويهض، **مرجع سابق**، ص290.

[2]: المقري، مصدر سابق، 383/5.

[3]: مايا شاتمزميلر، مرجع سابق، ص56.

[4]: ، نفسه، ص56.

لقد كتب ابن مرزوق مسنده وفق نظرة أخلاقية، مقدما بذلك مادة تاريخية خصبة عن البلاط المريني، وعن مختلف النواحي الحضرية لبلاد المغرب الكبير في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، فضلا عن معلومات دقيقة عن حياة ابن مرزوق نفسه، وعن أسلافه ووظائفه العلمية والسياسية، وشيوخه وتلامذته، ولذلك يكتسي المسند صبغة" الترجمة الشخصية"، خاصة في الفصل الأخير من الكتاب[1].

بدأ ابن مرزوق كتابه بمقدمة ثم قسمه إلى خمسة وخمسين بابا كلها تدور حول تاريخ الدولة المرينية، ورغم كون الكتاب ألف حول شخصية السلطان أبي الحسن كما يدل على ذلك عنوانه، فإن المؤلف تحدث عن دولة بني مرين كلها بالعطف والتقدير والمدح[2]، وإذا كان المعني من ذلك كله السلطان أبو الحسن. فإن ابن مرزوق خصص جزءا مهما من كتابه للحديث عن السلطان أبي يحي[3]، والسلطان أبي يعقوب يوسف[4]، بينما يشير إلى أبي عنان، وأبي سالم بإيجاز شديد[5]، رغم كون الأول من أعظم ملوك بني مرين، وأكثرهم حضورا في السياسة والاقتصاد والفن. ويبدو أن الإجحاف الذي لحق أبي عنان كان بسبب سجن هذا الأخير لابن مرزوق بعدما فشل في مهمته إلى تونس لما كلفه أبو عنان بإقناع السلطان الحفصي أن يزوجه إحدى بناته. وقد جانب ابن مرزوق هنا موضوعية المؤرخ وانتصر لنفسه؛ ولم يكن نزيها، وعلى الرغم من التحيز الذي يحويه المسند لسلاطين بني مرين، وخلوه من التأريخ لحياة العامة من الناس، إلا أنه يعتبر من المصادر التاريخية التي سجلت حضورها في هذه الفترة، ولا يمكن الاستغناء عنه[6].

[1]: ابن مرزوق، **المناقب المرزوقيه**، ص80.

[2]: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص67.

[3]: نفسه، ص133.

[4]: نفسه، ص148

[5]: نفسه، ص150.

[6]: نفسه، ص151.

- **أسلوب المسند الصحيح الحسن:**

استطاع ابن مرزوق أن ينظم مسنده تنظيما متناسقا حيث ربط الأحداث ببعضها، وأحسن الانتقال من باب لآخر من غير غموض أو تعقيد مستعملا أبلغ عبارات المدح والتمجيد للسلطان المريني أبي الحسن. كما قام بتطعيم نصوص مؤلفه بمقتطفات شعرية متنوعة ليعبر عن ثقافته الأدبية الواسعة[1]، ويعكس روح العصر. وبسط أفكاره بأسلوب سهل سلس، ونقل خبر حياة البلاط ليعكس صورة مثالية للممارسات السلطان وسلوكه السياسي[2].

لقد سرد ابن مرزوق في مسنده سيرة السلطان أبي الحسن المريني لكن هذه السيرة ليست تاريخية أو علمية محضة، بل هي مدح وثناء على مزايا روحية، ينبغي أن تكون في السلطان والحاكم، ويمكن أن نسمي عمله مديح ملكي[3]، وأنموذج مثالي تتطلبه الظروف الحضارية لتلك الفترة كونه يمثل مرآة تعكس الصورة المثالية للسلوك السياسي، وأساليب الحكم، أكثر مما كان عليه السلطان أبي الحسن المريني فعلا وواقعا[4].

- **منهج ابن مرزوق في كتابه المسند الصحيح:**

تباينت فصول مسند ابن مرزوق داخل مؤلفه من حيث الكم، فهناك فصل لا يتجاوز الصفحة بينما تصل فصول أخرى إلى عشر صفحات كاملة، ومثلها طول الأخبار داخل الصفحات. وقد حافظ ابن مرزوق على هذا النسق في كامل كتابه. ولا تعكس بعض عناوين أبواب الكتاب مضامينها، ففي حديث ابن مرزوق عن معارك السلطان أبي الحسن، نجد المضمون يتحدث عن السلطة التي مارسها أبو الحسن في بعض المناطق الشرقية للأندلس والمتمثلة في جمع الزكاة، وتوزيعها على الفقراء[5].

---

[1]: ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص108، 182، 218، 228، 318، 321، 423- 424، 440-441.

[2]: نفسه، ص67.

[3]: نفسه، ص68.

[4]: نفسه، ص67.

[5]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق، ص56.

إن الأخبار المتعلقة بالجوانب الفقهية التي وردت في المسند مستمدة من عمل القضاة ومتابعتهم للقضايا المعروضة في الحياة اليومية كشهادة الشهود، وإدارة الأحباس، وتحصيل الضرائب، وإيجاد حلول للشكاوى، وعلاقة كل ذلك بالبلاط المريني[1].

ويصور ابن مرزوق أحداث بلاط أبي الحسن بفاس، والمنصورة بتحفظ كبير فيسكت عن بعض الأحداث السياسية التي وقعت داخل البلاط؛ كهزيمة المرينيين بالقيروان نتيجة تعرضه لضغوط ومحن، أو بسبب تحيزه الظاهر لبني مرين. إن مسرح الأحداث المروية في المسند وقع جلها بتلمسان فتحدث ابن مرزوق عن علمائها ورجالها، وتدهور الحياة العامة بها بعد دخولها تحت الحكم المريني[2].

ونتيجة توجه ابن مرزوق الفقهي لم يبد اهتمامه بالتاريخ، وذكر مصدرا تاريخيا واحد هو أنيس ابن أبي زرع، لذا يصعب تصنيف مؤلفه كونه سيرة شخصية أو مؤلف في التاريخ. فالجزء الأخير منه يعتبر سيرة، بينما جاءت الفصول الأخرى في طابع أدبي تقليدي. وقد شعر ابن مرزوق بالخلط بين أسلوبين في الكتابة التاريخية[3]، وحاول وهو يترجم لسلطانه بيان أهمية حاشيته وهو يقصد نفسه بشكل خفي ليحول الترجمة للحديث عن محاوراته مع السلطان، ورجالات الدولة وكأنه يقصد إلى كتابة سيرة ذاتية لشخصه.

لقد انتج المسند اتجاها جديدا للكتابة التاريخية المرينية، وصنفا خاصا من حيث البنية، وشمولية ميادين مختلفة من العلوم نظرا لطابعه الموسوعي، وطابعه الشخصي في شكل منغرافية داخل الأسرة المرينية بتلمسان. وقام ابن مرزوق بتغيير علاقة المؤرخ بالتاريخ حيث يبدي رأيه صراحة حول ما يتعرض له من أحداث متحملا مسؤوليته. وهذا راجع لنفوذه الكبير داخل البلاط وقوة شخصيته، أو نظرا لطبيعة عصره[4].

---

[1]: مايا شاتزميلر، مرجع سابق ، ص57.

[2]: نفسه، ص58.

[3]: نفسه، ص58.

[4]: نفسه، ص60.

استطاع ابن مرزوق بفضل طموحه السياسيى، ومناوراته في بلاطات السُلط الحاكمة في تلمسان؛ وتونس؛ وفاس، وغرناطة؛ أن يقف على الكثير من الوثائق، ويطلع على خبايا القصور، ويتدرج في الوظائف، ويلاقي الكثير من المحن التي كادت أن تعصف بحياته، ويقوم برحلات علمية مشرقا ومغربا. هذه التجارب السياسية، والمكانة العلمية لابن مرزوق جعلته يصنف في مختلف العلوم بكم هائل من المصادر أهمها وأشهرها "المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن"، والذي يعتبر اتجاها جديدا في الكتابة التاريخية كونه مزج فيه بين نقل الأحداث التاريخية، والوقائع الفقهية، وكتابة السيرة الذاتية لسلطانه أبي الحسن، وهو في ذلك يقصد إلى إظهار شخصه، والإشارة إلى حضوره داخل أحداث سيرة سلطانه، وضمن بلاطه، كشخصية لها وزنها وتأثيرها في توجيه السياسات، واستصدار الأحكام.

وفي الأخير يمكن القول أن الكتابة التاريخية السلطانية المرينية كانت أعمق وأوسع وأكثر تنوعا من حيث نماذجها من الكتابة التاريخية التي اهتمت بالكيانات السياسية المعاصرة لبني مرين. فمن حيث العمق نجد أن العصر المريني ازدهرت فيه الحياة الفكرية وبلغت نضجا واضحا في مجالات الثقافة والعلم بدعم سلاطين بني مرين للعلم وتقريب العلماء، وتوليتهم وظائف سياسية وعلمية، وتشجيع حركة التأليف وعقد المجالس العلمية، وبناء المدارس الحديثة. أما من حيث الكم فقد سجلت الكتابة التاريخية المرينية حضورها في عديد المجالات وظهر مؤرخون في فاس، ومراكش، ووردت كتابات من غرناطة وتلمسان وقلعة بني سلامة اهتمت بتاريخ المرينيين. وبخصوص تنوع الكتابة عن المرينيين فقد وجدنا في الكتابة السلطانية من تخصص في تاريخ سلالة بني مرين ككتاب الذخيرة السنية، ويماثله كتاب البستان من حيث التخصص لكنه يخالفه في التحليل والنقد. فصاحب البستان يعد ناقلا فقط. كما نجد كتابا آخر أرخ لعموم المغرب الأقصى وجعل من تاريخ أسرة بني مرين مبحثا مركزا كالأنيس المطرب لابن أبي زرع. وتستمر الكتابة السلطانية المرينية بتعددها وتنوعها فنلتقي بكتاب المسند الصحيح الحسن لابن

مرزوق الخطيب وهو كتاب سيرة في جانبه وفي جانب آخر نعده من الكتابة السلطانية للأسرة المرينية.

ب- العناية بسيرة سلاطين بني مرين في كتابات ابن الأحمر الغرناطي.

كما توجد مصنفات أخرى لإسماعيل بن الأحمر الغرناطي (ت 807هـ/1405م)[1] بعنوان: " **روضة النسرين في دولة بني مرين**"[2]، و"**النفحة النسرينية واللمحة المرينية**"[3] و"**مستودع العلامة ومستبدع العلامة**"[4]. الكتاب الأول في التاريخ السياسي. لكن ابن الأحمر لم يؤرخ فيه للدولة المرينية بشكل مباشر كما يفهم من عنوانه، بل جعله سجلا يسهل على المؤرخ معرفة تواريخ أيام ملوك بني مرين. وضمنه أسماءهم؛ وألقابهم؛ وأنسابهم؛ وتواريخ ميلادهم؛ ووفياتهم، والمدة التي قضوها في الحكم مع بيان أوصافهم الخلقية والخلقية، وذكر أبنائهم، وكذا الوزراء والحجاب والقضاة في عصر كل سلطان من سلاطين الدولة المرينية[5].

وعمل ابن الأحمر في مؤلفه على تمجيد ملوك بني مرين، وخصص الفصل الأول لذكر نسبهم، ثم التعريف بالأمير أبي سعيد عثمان (ت614هـ/1217م) وغيره

---

[1]: وهو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن الأمير أبي سعد فرج أمير مالقة ابن يوسف الخزرجي الأنصاري المدعو بالأحمر، وهو الجد الأعلى لأسرة بني الأحمر ملوك غرناطة، نزيل فاس والمتوفي بها. انظر: محمد المنوني، مرجع سابق، 120/1-121.

[2]: الكتاب مطبوع بتحقيق عبد الوهاب بن المنصور، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/1962م. وقد اعتمد عليه مؤرخون أمثال محمد بن قاسم بن زاكور (ت 1120هـ/) في كتابه المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين)، وأبو راس الناصري (ت1239هـ/) الذي قام باختصاره. عرفه الأوروبيون عندما أشار إليه المستعرب دومباي (Dombay)، ثم ترجمه رينهارت دوزي (Renhart Dozy) ونشره سنة 1844م في الجريدة الآسيوية، ثم قام المستعرب جورج مارسي والأستاذ السيد الغوثي بوعلي بتحقيقه وترجمته إلى الفرنسية بمساعدة بعض طلاب المدرسة العربية بتلمسان ونشر سنة 1917م ضمن منشورات كلية الآداب بالجزائر. وقد عرف الكتاب بعنوان آخر" حديقة النسرين" عند ابن القاضي صاحب جذوة الاقتباس، وكذا عند الكتاني صاحب "فهرس الفهارس". انظر: عبد القادر بوباية، مرجع سابق، ص223.

[3]: الكتاب مطبوع بتحقيق عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، 1992م.

[4]: الكتاب مطبوع بتحقيق محمد التركي التونسي، ومحمد بن تاويت التطواني، منشورات محمد الخامس، الرباط، المطبعة المهدية، تطوان، 1384هـ/1964م.

[5]: محمد علي أحمد قويدر، **تطور الكتابة التاريخية في عهد الدولة المرينية (668-869هـ/1269-1465م)**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2016م، ص112- 113.

من السلاطين الذين جاءوا بعده باختصار شديد، إلى أن ينتهي إلى السلطان عثمان بن أحمد بن أبي سالم (800هـ/1398م)[1].

وفي الفصل الثاني تحدث ابن الأحمر عن بني عبد الواد ابتداء من فترة يغمراسن بن زيان (ت631هـ/1233م) وانتهاء بفترة الأمير محمد بن أبي حمو الذي تولي حكم تلمسان سنة (804هـ/1401م)[2].

كما يتضمن الكتاب أيضا معلومات هامة عن الصراع بين الأسرتين الزناتيتين الكبيرتين بني مرين حكام فاس، وبني عبد الواد حكام تلمسان، وقد استمر الصراع بينهما ثلاثة قرون كاملة أسفر عن تفكك قوى الأسر الحاكمة في المغرب. وتمدد النصارى في المجالات الإسلامية بالأندلس. ففقدت بذلك الأندلس خزانها الذي كان ينجدها، ويُبقي حكمها، ويجدد نفوذها، وهو بلاد المغرب التي تعرضت شواطئها إلى الغزو الاسباني والبرتغالي. ثم تلاه استيلاء العثمانيين على المغرب الأدنى والأوسط[3].

حرص ابن الأحمر على ذكر المكان والزمان وهو يترجم لملوك بني مرين في اهتمام خاص وبأسلوب مسجع امتزجت فيه التراجم بالحوادث. وأغرق في مدح بني مرين نظير الأعطيات التي تلقاها منهم. فأصبح من رجال الدولة المرينية، ومن أكثر المدافعين عنها. وفي المقابل قام بذم بني عبد الواد وأقر بتحامله عليهم. واعتمد روافد قليلة نقل عنها كابن مرزوق في " المسند الصحيح الحسن"، وابن أبي زرع في " الذخيرة السنية"، وبعض الروايات الشفوية. ولكن من خلال ملاحظات دقيقة نجد أن ابن الأحمر قد نسب لنفسه نصوصا أخذها عن الذخيرة السنية والقرطاس اللذين شكلا مصدره الرئيس ولم يضف عليهما شيئا مهما[4].

---

[1]: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تصدير عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م، ص3.

[2]: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، **النفحة النسرينية واللمحة المرينية**، ط1، موقع الوراق، ص12.

[3]: محمد علي قويدر، مرجع سابق، صص113- 114.

[4]: نفسه، صص114- 115.

أما عن المؤلف الثاني لابن الأحمر السابق الذكر (النفحة النسرينية)، فيبدو من عنوانه أنه في تاريخ الدولة المرينية وهو عبارة عن أرجوزة مكونة من 112 بيت سار فيها ابن الأحمر على منوال الملزوزي في " نظم السلوك في الأنبياء والملوك"، وبدأ الحديث فيها عن قيام الدولة إلى عهد الأمير أحمد المستنصر بن أبي سالم الذي قدم إليه الكتاب سنة (789هـ/1387م) وذكر ابن الأحمر كل ما يتعلق بشخص السلطان وحكمه من موقع المعاصر للأحداث؛ أو بالنقل عن شيوخه ووالده[1].

وبخصوص المؤلف الأخير لابن الأحمر **"مستودع العلامة"** الذي خصصه للحديث عن (العلامة) وهي مختلف الصيغ التي استخدمها أمراء المسلمين شرقا وغربا بإضافة جملة في أعلى الرسالة تؤكد مراجعة السلطان للوثيقة المكتوبة من طرف كاتب الديوان وإقرار ما جاء فيها. أو هي توقيع من كاتب الديوان نيابة عن سلطانه.وقد ترجم ابن الأحمر لهؤلاء الكتاب وذكر ملوكهم، منهم ملوك بني مرين وبني عبد الواد وهي ترجمة موجزة تساهم إلى حد ما في الكتابة عن الأسرة المرينية[2].

واستكمالا لذكر الكتابة التاريخية التي تناولت تاريخ المرينيين انطلاقا من مراكز أخرى لم تنحصر في مدينة فاس وسلا فقط، بل نجد كتابات تجاوزت ذلك بأن جعلت من مراكش مركزا لها[3]، وهي المدينة التي عبرت أحيانا عن رغبتها في الانفصال عن فاس، وانتمى إليها مؤرخون يمكن إدراجهم في صف المعارضة بسبب كتاباتهم الموضوعية البعيدة عن توجيه البلاط. وهنا نشير خصوصا إلى المؤرخ الكبير ابن عذاري المراكشي (ت 712هـ/1312م) صاحب موسوعة " **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"** (سبقت دراسته)، والتي خصص جزء معتبرا منها للحديث عن الدولة المرينية.

---

[1]: ابن الأحمر، **روضة النسرين**، ص13- 14.

[2]: أبو الوليد بن الأحمر، **مستودع العلامة ومستبدع العلاّمة**، تحقيق محمد التركي التونسي، ومحمد بن تاويت التطواني، منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط، المطبعة المهدية، تطوان، 1384هـ/1964م، صص56- 57.

[3]: علاوة عمارة، مرجع سابق، صص353- 354.

كما نجد مؤلفا آخر ينتمي إلى مدرسة مراكش " **مفاخر البربر**"[1] لمؤلف مجهول (سبقت الإشارة إليه) انتهى صاحبه من تأليفه سنة (710هـ/1321م). وهو وثيقة هامة ومشتركة في تاريخ المغرب والأندلس، وتاريخ أنساب البربر وعلمائهم، ورجال التصوف والفقه والتفسير والأصول والأدب والعلوم. وقد قدم صاحب مفاخر البربر اثنين وسبعين ترجمة لعلماء مغاربة، وتحدث أيضا عن رجال السياسة والحرب وفئات من المجتمع البربري، ومن رجال السياسة سلاطين بني مرين[2].

وساهمت غرناطة النصرية إضافة إلى كتابات ابن الخطيب وابن الأحمر في الكتابة التاريخية المرينية بكتاب نسب إلى ابن الخطيب أحيانا، وإلى مؤلف أندلسي من القرن الثامن الهجري أحيانا أخرى وهو " **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**"[3] والذي كتب سنة (783هـ/1381م) ولا يقف في حدوده الزمنية عند فترتي المرابطين والموحدين، بل يتعداها بشكل مقتضب للحديث عن دولة بني مرين وظروف قيامها، والملوك الذين تعاقبوا على حكمها، وجهاد بعض سلاطينها في الأندلس على عهد دولة بني الأحمر بغرناطة حيث ألف الكتاب في ظل حكمها ليحقق هدف سلطانها محمد الغني بالله[4].

إلى جانب المؤلفات السابقة التي مثلت حاضرة فاس في التأريخ لبني مرين، وهي الكتابة التاريخية المختصة والمباشرة عن الأسرة المرينية، والأقرب زمانا ومكانا للبلاط المريني. يساهم لسان الدين ابن الخطيب السلماني(ت 776هـ/1375م)[5]

---

[1]: الكتاب مطبوع بتحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م.

[2]: مجهول، **مفاخر البربر**، تحقيق سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م، ص9.

[3]: نشر علوش I. S. Allouche. Chronique anonime des dynasties almoravide et almohade. Rbal. Editions Félix Moncho. 1936. (collection de textes arabes publiée par l'institut des des hautes Etudes Marocains, vol. VI)

[4]: مجهول، **الحلل الموشية**، ص4.

[5]: هو لسان الدين أبو عبد الله السلماني (منطقة باليمن) القرطبي الأصل ولد سنة (713هـ/1313م) ونشأ بغرناطة حيث تلقى فيها العلم وكان والده وزيرا لدي السلطان إسماعيل بن الاحمر (733-755هـ/1333-1354م) ووفاة والده في موقعة طريف(741هـ/1340م) تولي ابن الخطيب منصب والده وعمره 28 عاما. تعلم على يدي الفقيه محمد بن أحمد البستي، والإمام عبد الله القرشي، وأبو زكريا يحيى بن هزيل، وأبو محمد عبد الله المهيمن الحضرمي وبرع بذلك ابن

بمؤلفه " **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**"[1] في التأريخ لبني مرين بطريقة غير مباشرة من مدينة سلا المغربية. وهنا نذكره من باب الإشارة فقط للمجالات التي صدرت منها كتب عن بني مرين. كما أن الكتاب هو عبارة عن رحلة لابن الخطيب داخل المغرب، وبالتالي يخرج عن التاريخ المحض الممثل في الكتابة السلطانية المرينية.

حيث يتناول كتاب نفاضة الجراب في جزئه الثاني الفترة الزمنية من أواسط سنة (761هـ/1360م) حتى شهر (ربيع الأول 763هـ/يناير 1362م)، ويصف فيه ابن الخطيب المدن والقرى والجهات التي مر عليها، وشاهد ما فيها مترجما للعلماء والمشايخ الذين التقى بهم وأخذ عنهم[2]. أما الجزء الثالث فهو مقسم إلى عشرة فصول يبتدئ فيه بآخر الجزء الثاني وهو الفصل الأول منه إلى غاية (12 ربيع الأول 764هـ/30 دجنبر 1362م). وقد يكون الجزء الأول المفقود يتناول الأحداث التاريخية ابتداء من (رمضان 760هـ/غشت 1359م) أي منذ الانقلاب على محمد الخامس ولجوئه مع ابن الخطيب إلى المغرب. حيث يحوي أحداثا مغربية وأندلسية، وفصلا عن المولد النبوي والقصائد التي أنشدت فيه، وفصلا عن بداية رحلة ابن

الخطيب في العلوم العلية والنقلية. له مؤلفات عديدة منها: أعمال الأعلام، والإحاطة في أخبار غرناطة، ونفاضة الجراب في علالة الاغتراب، وغيرها. كما تولى مناصب عديدة منها ديوان الإنشاء والسفارة للسلاطين. رحل إلى المغرب رفقة السلطان محمد الغني بالله المخلوع سنة (760هـ/1371م) وأقام بالمغرب ثلاث سنوات ثم عاد إلى غرناطة وتولى الوزارة، وأوغر الحساد صدر السلطان عليه ففر إلى فاس، واتهم بالزندقة وأصدر القاضي أبو الحسن النباهي قاضي غرناطة فتوى بإحراق كتبه وأرسل في طلبه لكن السلطان المريني عبد العزيز (768-774هـ/1366-1372م) رفض تسلميه. ثم إن أوضاع فاس تدهورت وتدخل بلاط غرناطة في السلطة بفاس انتهى ذلك بالاتفاق على تسليم ابن الخطيب الذي سجن وقتل سنة (776هـ/1374م). انظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص318، 321. **ونفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تحقيق السعدية فاغية، مكتبة النجاح الدار البيضاء، 1989م، 2/11-12. وابن خلدون، **العبر**، 335/7، 342. **والرحلة**، ص66، 219، 223.

[1]: الكتاب مكون من أربعة أسفار. الجزء الأول والرابع منه مفقودان، وبقي منه جزآن، (الثاني والثالث). الثاني من تحقيق أحمد مختار العبادي عن نسخة فريدة بالأسكوريال تحت رقم (1755)، وتقع في 159 ورقة من الحجم الكبير وبكل ورقة 19 سكرا كتبت بخط مغربي، وقد نشر بدار النشر العربية، الدار البيضاء. والجزء الثالث من تحقيق السعدية فاغية عن نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (256) ونشر بالقاهرة، 1989م. انظر: ابن الخطيب، **الإحاطة**، 459/4، 462، **نفاضة الجراب**، 5/2، المقري، **نفح الطيب**، 98/7.

[2]: ابن الخطيب، **نفاضة الجراب**، 42/2، 54، 70، 74-75.

الخطيب في المغرب. والتي بدأها لما نزل عند السلطان أبي سالم المريني بتلمسان، وطلب منه الترخيص له برحلة إلى ربوع المغرب. فسمح له السلطان بذلك[1].

ويعد كتاب نفاضة الجراب من أهم ما كتب ابن الخطيب بعد كتابه الإحاطة لأنه أرخ فيه لفترة هامة وحرجة من تاريخ دولتي بني مرين، وبني نصر أين بلغ الصراع أشده داخل بلاطهما وخارجه في السنوات الممتدة ما بين (760-764هـم1359-1362م). حيث عرف المغرب فيها تفكك الدولة المرينية إلى حكام فاس وحكام مراكش، وعاشت غرناطة صراعات داخلية وخارجية حالكة. وسجلت المصادر التاريخية في هذه الفترة أربعة انقلابات سياسية حيث فصل كتاب نفاضة الجراب في الانقلاب الرابع منه. وتفرد ابن الخطيب بالكشف عن أحداث تاريخية لم ترد عند غيره. ورسم صورة واضحة للأوضاع السياسية والاقتصادي والاجتماعية للدولتين المرينية والنصرية، وبين تطور الدبلوماسية بينهما بأسلوب راق أعطى للكتاب قيمته الأدبية الرفيعة[2].

المبحث الثاني: الكتابة التاريخية السلالاتية، والبلاط الزياني.

بعد انهيار الإمبراطورية الموحدية في مستهل القرن (07هـ/13م) برزت انقسامات سياسية أفضت إلى ظهور قوى محلية عملت على الانفصال عن الدولة الموحدية. هذه الوضعية المتوترة شملت كل مناطق الغرب الإسلامي، وبلغت الإمبراطورية الموحدية مرحلة الانحطاط والضعف خصوصا بعد هزيمة معركة العقاب(609هـ/1213م)، إضافة إلى صدام الموحدين مع بني غانية، ونهاية مرحلة المنصور الموحدي (580-595هـ/1184-1198م)[3]، والصراع بين أبناء البيت الموحدي؛ ما أفضى إلى تفكك لصالح الكيانات السياسية المدعية للإرث الموحدي، الحفصيون بالمغرب الأدنى (تونس)، وبنو عبد الواد بالمغرب الأوسط، (تلمسان) وبنو مرين بالمغرب الأقصى، (فاس)، وبنو نصر بغرناطة[4].

---

[1]: ابن الخطيب، **نفاضة الجراب**، 13/3-14، 21.

[2]: نفسه، 21/3.

[3]: انظر: عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، 357- 358.

[4]: لتتبع تفاصيل الصراع الدائر في مغرب ما بعد الموحدين انظر: ابن خلدون، **العبر**، 326/6- 327.

وقد تمكن بنو عبد الواد من بناء قوة معتبرة في المغرب الأوسط بسبب ولائهم للموحدين الذين أطلقوا أيديهم إلى جانب بني توجين، وبني راشد في المغرب الأوسط، وهكذا ضمن بنو عبد الواد الاستقرار في سهول غنية، ومراعي شاسعة متخذين من تلمسان عاصمة لملكهم بعد انهيار دولة الموحدين[1]، ليشهد المغرب الأوسط تحولات جذرية في السياسة والاقتصاد والثقافة والفكر، وتشهد تلمسان بعد ذلك ازدهارا في مجال الزراعة، وانتشار الصنائع والحرف، وحلول العلماء بها من مختلف الأمصار، فازدهرت الحركة العلمية والثقافية في حاضرة بني عبد الواد بشكل لم يسبق إليه؛ فكثر العلماء وإنتاجهم الفكري في هذه المرحلة[2]، وشجع الحكام النهضة العلمية، واهتم أبناء المدينة بالعلم والمعرفة خصوصا الكتابة التاريخية المرتبطة بالسلطة الحاكمة من سلالة بني عبد الواد، والتي ستترجم في أعمال إخبارية لمؤرخين خدموا البلاط، وساهموا في كتابة تاريخ السلالة الزيانية.

1- أبو زكريا يحيى بن خلدون، يؤرخ لسلالة بني عبد الواد.

من بين الكتابات السلالاتية التي كتبت لغرض ذكر أمجاد أسرة بني زيان والتباهي ببطولاتهم في ظل التناحر الذي كان دائرا بين الكيانات والسلط السياسية القائمة في بلاد المغرب كتاب: " **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد وما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد**"[3]، من تأليف يحيى بن محمد بن خلدون (ت 780هـ/1378م) الأخ الأصغر للمؤرخ الشهير عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405م) والذي يكبره بسنتين دون الوقوف على

---

[1]: عبد العزيز فيلالي، **تلسمان في العهد الزياني**، (درسة سياسية، عمرانية؛ اجتماعية؛ ثقافية)، موفم للنشر، الجزائر، 15/1.

[2]: نفسه، 317/2.

[3]: وسم كتاب يحيى بن خلدون بـ" **نجعة المنتاب**" في مقدمة أربع نسخ ضمن المخطوطات العشر التي اعتمدها المحقق (عبد الحميد حاجيات) وهي أقدم المخطوطات، غير أن عنوان " بغية الرواد" فقد ورد في خمس نسخ أخرى، ويبدو أن يحيى ابن خلدون قد غير عنوان الكتاب إلى "**بغية الرواد**" الذي ورد ذكره في ثلاث مواضع من الكتاب.81/1، 247. 308/2. انظر: عبد الحميد حاجيات، **يحيى بن خلدون وكتابه بغية الرواد**، مجلة عصور جديدة، العدد 3-4 (عدد خاص)، خريف2011م، شتاء 2012م، ص24.

تاريخ دقيق للولادة[1]، وكني يحيى بأبي زكريا[2]، وهو من بيت ينسب إلى حضر موت من عرب اليمن إلى وائل بن حجر بن سعيد[3]، وأصله من إشبيلية[4]. ظهر هذا البيت بشكل لافت بتوجهه العسكري[5] وكذا في الرئاسة السلطانية والعلمية[6].

ولما تقهقر الوجود الإسلامي بالأندلس هاجرت عائلة يحيى بن خلدون إلى المغرب، فانتقلت إلى سبتة سنة (630هـ/1232م)[7]، ثم إلى إفريقية سنة (640هـ/1242م)، حيث استقبلت من طرف الأمير الحفصي أبي زكريا (625-647هـ/1227- 1249م) خير استقبال بسبب أواصر الصداقة التي كانت تربط أسرة ابن خلدون بالأمراء الحفصيين منذ أن كان هؤلاء أمراء على إشبيلية أيام الحكم الموحدي. فقد شغل بعض أفراد عائلة ابن خلدون مناصب رفيعة لدى الحفصيين خاصة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، في جو سياسي مضطرب بسبب الدسائس والتنافس بين العناصر الموحدية والأندلسيين في البلاط الحفصي[8].

وبانتقال الأسرة إلى إفريقية ولد لها يحيى بن خلدون الذي انتقل بعد أن شب إلى مدينة فاس واستقر بها، ونشأ في بيت علم وثقافة بعدما آثر والده محمد أبو بكر

---

[1]: اختلف في تاريخ ولادة يحيى بن خلدون، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخا محددا لولادته، ولكن بعض المؤرخين حصروا الفترة ما بين سنتي (733هـ-734هـ/ 1332- 1333م) حيث ذكر الزركلي في **الأعلام**، 166/8، خبر مولده فقال:" تاريخ ولادته سنة (733هـ/1332م)، أما عمر رضا كحالة فذكر في **معجم المؤلفين**، 115/4، أن تاريخ مولده كان سنة (734هـ/1333م)، في حين يذكر عمر فروخ في كتاب: **تاريخ الأدب العربي**، التاريخين معا، وكذا البغدادي، **هدية العارفين**، 527/2، 340، و " **إيضاح المكنون**، 187/1.

[2]: الزركلي، **الأعلام**، 166/8.

[3]: لتتبع أصل البيت انظر: ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق لجنة من العلماء، در الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص460.

[4]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص3.

[5]: للاطلاع أكثر على دور أبناء البيت الخلدوني في الجانب العسكري، وتوجه بعضهم إلى العلم، انظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ص3، 15.

[6]: نفسه، ص7.

[7]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص12.

[8]: نفسه، ص12، 17..

العلم على السياسة، فأبدع في صناعة الكلم، والشعر وفنونه[1]، وهكذا توفر ليحيى بن خلدون جو علمي سمح له بالرفع من مقامه ومكانته.

- تكوين يحيى بن خلدون العلمي:

لا يتوفر لدينا إلا بعض الأخبار القليلة عن مراحل تلقي يحيى بن خلدون للعلم[2]، لكن خبر تواجده رفقة أخيه عبد الرحمن في جهات مختلفة من بلاد المغرب يمكن أن يُستند عليه إلى حد ما في القول بأنهما تلقيا العلم معا على يدي كبار علماء تونس أمثال: ابن برّال[3]، والحصائري[4]، وابن القصار[5]، وغيرهم في علوم العربية، والشعر وفنونه، في فترة ما بين (734- 749هـ/1333-1348م) من أيام حكم الحفصيين.

ثم يواصل يحيى تكوينه في العلوم الدينية على يد أبي عبد الله ابن جابر الوادي آشي[6]، والقاضي ابن عبد السلام[7]، وغيرهم. وبعد تمكن أبي الحسن المريني سنة (748هـ/1347م) من دخول تونس عاصمة الحفصيين مستقدما معه جملة من العلماء الأجلاء ساهموا في تكوين يحيى بن خلدون أيضا مثل: الشطي[8]، وابن الصباغ[9]، وابن

---

[1]: تم توجيه أبوبكر محمد بن خلدون إلى طلب العلم بعيدا عن البلاط والوظائف الإدارية من طرف السلطان أبو يحيى، ووالده محمد، وكان من الذين ساهموا في تكوينه العلمي كبير علماء تونس أبو عبد الله الزبيدي. انظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ص17- 18.

[2]: جل الأخبار الموجودة عن يحيى بن خلدون هي عند ابن خلدون، في كتاب التعريف، والإحاطة لابن الخطيب.

[3]: محمد بن سعد بن برّال البلنسي، اشتهر في علم القراءات، انظر: المقري، **نفح الطيب**،218/8، ابن خلدون، **الرحلة**، ص36.

[4]: الحصائري أبو عبد الله بن العربي، شتهر في النحو وعلوم اللغة، ابن خلدون، المصدر نفسه، ص17.

[5]: ابن القصار هو أبو العباس أحمد بن محمد، كان عالما في النحو؛ انظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ص17.

[6]: الوادي آشي بو عبد الله محمد بن جابر (673-749هـ/1274-1348م)، وهو من علماء تونس انظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ص19.

[7]: محمد بن عبد السلام المنستيري فقيه تونسي (ت749هـ/1348م)، انظر: أبو الحسن النباهي، **تاريخ قضاة الأندلس**، ص161، 163.

[8]: الشطي محمد بن علي بن سليمان، كان فقيها مالكيا، توفي في طريق العودة إلى المغرب الأقصى (750هـ/1349م)؛ انظر: ابن خلدون، **الرحلة**، ص19-20، 31-32، المقري، مصدر سابق، 164/7، الناصري؛ **الاستقصا**؛ 171/3.

[9]: ابن الصباغ محمد بن محمد المكناسي من علماء الحديث توفي في طريق العودة من إفريقية وهو مرافق لأبي الحسن المريني. انظر: ابن خلدون، **الرحلة**، ص45-46؛ الناصري، مصدر سابق؛ 171/3.

وابن عبد المهيمن الحضرمي[1]، وابن رضوان[2]، والآبلي[3]، وكان فضل هؤلاء العلماء العلماء على يحيى بن خلدون كبيرا، في تكوينه الأدبي والديني وحتى التاريخي.

ومع انهيار ملك المرينيين بتونس بسبب الهزيمة أمام العرب المتمركزين في جنوب إفريقية (749هـ/1348م)، عاد بنو زيان لحكم تلمسان، كما عادت الإمارة للحفصيين بقسنطينة وبجاية، وانتشر الطاعون بإفريقية فهلك عدد كبير من العلماء والعامة، منهم محمد ابن خلدون والد يحيى وعبد الرحمن؛ فانتقل بعدها عبد الرحمن إلى تبسة، ومنها إلى بسكرة عند ابن مزني سيد منطقة الزاب، ثم استدعي لفاس ليشغل منصب كاتب في البلاط المريني سنة (755هـ/1353م)[4].

أما يحيى بن خلدون فلا نجد له أي ذكر في هذه الفترة، ويبدو أنه رافق أخاه عبد الرحمن إلى فاس بعد إقامتهما ببسكرة؛ وهناك درسا على يد أبي عبد الله الشريف[5]، وبعض فقهاء وأدباء مدينة فاس، كما استفادا كثيرا من الوزير لسان الدين

---

[1]: أبو محمد عبد المهيمن بن محمد السبتي، (675-749هـ/1276-1348م)، عالم في العربية، شغل منصب الكاتب في بلاط أبي الحسن المريني، وقد صحبه إلى إفريقية سنة (748هـ/1347م)، وكانت له صلة طيبة بالبيت الخلدوني الذي مكث به مدة، وساهم كثيرا في تكوين يحيى بن خلدون الأدبي. انظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ص20؛ 38؛ **العبر**، 515/7؛ المقري، مصدر سابق، 163/7-164؛ ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، ص279-280.

[2]: ابن رضوان عبد الله بن يوسف النجاري المالقي الأندلسي، برز في العلوم اللسانية والأدب والشعر، انتقل بين غرناطة ومالقة وسبتة، ثم تلمسان وإفريقية رفقة السلطان أبي الحسن المريني، وقد شغل منصب كاتب في ديوان الإنشاء عند عدد من سلاطين بني مرين، وكانت له علاقة خاصة بعبد الرحمن بن خلدون، وأخوه يحيى ويبدو أنهما تلقيا عليه العلم واستفادا منه. انظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، 22-23؛ 42؛44؛ المقري، المصدر نفسه؛ 214/8-219.

[3]: الآبلي محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني (ت681هـ/1282م)، ارتحل إلى بالمشرق، ثم عاد إلى تلمسان وتنقل بين فاس ومراكش، وتعلم على يد علماء أجلاء، وصحب أبا الحسن المريني إلى تلمسان، ثم تونس (735-748هـ/1334-1347م)، وكانت له علاقة طيبة بأسرة بني خلدون قامت على تعليمه لأبناء محمد بن خلدون، عبد الرحمن ويحيى، فكان تأثيره عميقا على تكوينهما في العلوم العقلية والطبيعية، والمنطق والتاريخ. انظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ص21-22؛ 33؛ 38، يحيى بن خلدون، **بغية الرواد**، 156/1، ابن مريم، **البستان**، 214،219، ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، ص266.

[4]: عبد الله عنان، ابن خلدون؛ حياته وتراثه الفكري، ص19-20، ابن خلدون، التعريف، ص15، ابن قنفذ، الفارسية، ص173.

[5]: الشريف أبو عبد الله التلمساني (710هـ/1310م)، نبغ في العلوم الدينية ، والعقلية، وتولى التدريس فترة، ثم الحقه أبو عنان المريني بمجلسه لما أخذ تلمسان، وانتقل بعدها إلى فاس واشتهرا بها، وكان من جملة أساتذة يحيى بن خلدون الذين ذكرهم في مؤلفه. انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 167/1.

بن الخطيب الذي كان بارعا في فنون الأدب والشعر، بعد رحلته التي قادته إلى العاصمة المرينية فاس سنة (761هـ/1359م)، حيث توثقت علاقتهما به؛ واستغل يحيى بن خلدون هذه الفترة في الحاضرة المرينية ليرقي مستواه في أساليب الكتابة والإنشاء ويتعرف على حياة البلاط[1].

- **الحضور السياسي ليحيى بن خلدون:**

عاش يحيى بن خلدون تقلبات سياسية عديدة بين تقلد المناصب وفقدانها، وعلو شأنه في البلاط الذي خدمه، ثم تعرضه للدسائس والمكر، وهي تجربة سعى من خلالها إلى تتبع مصلحته الشخصية بعيدا عن النزعات الإثنية أو المذهبية، وكان أول ظهور سياسي له في منصب حاجب بمدينة بجاية الحفصية حين دخل في خدمة الأمير أبي عبد الله الحفصي؛ وما لبث أن فقد مكانته في البلاط وسجن بعد مقتل أميره سنة (767هـ/1365م)، فتوجه إلى بني مزني ببسكرة، ثم التحق بخدمة السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني. وبعد فترة قضاها في خدمته تخلى عنه لصالح خدمة السلطان عبد العزيز المريني، وباضطراب أوضاع البيت المريني ابتلي يحيى بمحنة فقدان الأستاذ والصديق لسان الدين ابن الخطيب؛ فقرر وقتها العودة إلى بلاط أبي حمو من جديد؛ وهي فترة استقرت فيها أحواله لتثمر توسعا في معارفه؛ وبداية اهتمامه بالكتابة والتأليف.

قبل دخول يحيى بن خلدون في خدمة أبي حمو الثاني تطلع إلى شغل منصب هام في بلاط بني مرين، ويبدو أن مشاركته في حركة السلطان أبي سالم المريني إلى تلمسان سنة (761هـ/1359م)، ثم إفريقية لكبح تحركات أبي إسحاق الحفصي الذي أخذ بجاية وحاصر قسنطينة، هي التي ستمكنه من شغل منصب عند الحفصيين نظرا لسبق عائلته في خدمتهم، وبسبب أمر السلطان أبي سالم المريني، ليحيى وأخيه عبد الرحمن ابني خلدون بمساعدة الأمير أبا عبد الله الحفصي بعدما أطلق سراحه من السجن لمواجهة أبي إسحاق الحفصي في استرجاع بجاية، وحتى يحافظ على

---

[1]: المقري، مصدر سابق، 99/9، 108. ابن خلدون، **العبر**، 636/7.

الوجود المريني بإفريقية[1]، وعند استرجاع أبي عبد الله الحفصي بجاية تقلد يحيى بن خلدون الحجابة[2]، لكنه استبعد من المنصب لصالح أخيه عبد الرحمن بعد ذلك. وقد كان ليحيى دور سابق في استرجاع المدينة حين أوفده أميره سنة (764هـ/1362م) إلى سلطان تلمسان أبي حمو الثاني يطلب مساعدته في مواجهة أبي إسحاق الحفصي، ففشلت مهمته الأولى، ثم أعقبتها مهمة أخرى إلى تلمسان كان فيها برفقة أميره أبي عبد الله الحفصي، لكن طلبهما قوبل بالرفض أيضا بسبب تمسك أبي حمو بعقد الصلح مع أبي إسحاق الذي وعده بالقضاء على حركة ابن عمه أبي زيان[3]، واستمر الوضع على حاله حتى سنحت الفرصة لأخذ بجاية صلحا سنة (765هـ/1363م)[4].

تكاد تكون الفترة التي قضاها يحيى بن خلدون في الحجابة لدى الأمير أبي عبد الله ببجاية مجهولة، ويلفها الغموض نتيجة الاضطرابات التي عاشها البلاط الحفصي، ولم يشر يحيى بن خلدون إلى هذه الفترة في مؤلفه، كما غابت أيضا في كتابات معاصريه[5]، خصوصا بعد سنة (766هـ/1364م) وهي السنة التي التحق فيها أخوه الأكبر عبد الرحمن ببلاط أبي عبد الله الحفصي بعد أن ترك الخدمة في بلاط غرناطة[6]، ولا يستبعد أن يكون يحيى قد غيّب بداية فعله السياسي بسبب الغاية من

---

[1]: انظر: ابن خلدون، **العبر**، 851/6-852، 647/7.

[2]: استغل عبد الحمن بن خلدون الوضع ليعقد اتفاقا مع الأمير أبا عبد الله الحفصي يقضي بتوليه منصب الحجابة بعد استرجاع مدينة بجاية، ولكن المنصب كان من نصيب أخيه يحيى الذي تولاه نظير مساعدته للأمير، أو بأمر من السلطان أبو سالم المريني، وقد ذكر عبد الرحمن اتفاقه مع الأمير في عبره ، بينما لم يذكر يحيى ذلك في مؤلفه البغية، والظاهر أن السبب في ذلك هو معارضة عبد الرحمن لأبي حمو الثاني في فترة سقوط عاصمته تلمسان على يد المرينيين، فرأى يحيى أن لا يذكر الاتفاق في كتابه لأن ذلك لا يوافق هوى أبي حمو الذي ألف الكتاب لأجله، وأهدي له. انظر: ابن خلدون، **الرحلة**، ص97، يحيى بن خلدون، **بغية الرواد**، 123/2.

[3]: نفسه، 88/2-89؛ 93، 95.

[4]: لا نعلم إن كان يحيى بن خلدون قد ساهم في التقريب بين القبائل المتمركزة في الحضنة، وبين الأمير أبي عبد الله كي تساعده في حصار مدينة بجاية ثم أخذها صلحا، وعن هذا الصلح انظر: ابن خلدون، **العبر**، 853/6-854، **الرحلة**، ص97.

[5]: حاول محقق كتاب "بغية الرواد" عبد الحميد حاجيات البحث في هذه المرحلة الغائبة من تاريخ يحيى بن خلدون وقدم استنتاجات عديدة. انظر: يحيى بن خلدون، **بغية الرواد**، مقدمة المحقق، 23/1،24.

[6]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص95.

تأليف كتابه، الذي أهداه للسلطان أبي حمو الثاني، فأقصيت بذلك حقائق؛ ووقائع هامة من تاريخ المكان، وسيرة يحيى بن خلدون[1] في بلاط بجاية خاصة بعد سقوط المدينة سنة (567هـ/1365م) ومقتل أميرها من طرف صاحب قسنطينة الأمير أبي العباس، وقد سبب هذا التغير في هرم السلطة تراجع مكانة الأخوين ابني خلدون في البلاط بسبب الوشاية، وصودرت أموالهما، فتوجه عبد الرحمن إلى شيخ عرب الذواودة يعقوب بن علي واحتمى بهم، وبقي يحيى بالمدينة، ثم توجه إلى بونة التي سجن بها، لكنه التحق بأخيه بعد فراره من الأسر[2] ببلاد الزاب عند بني مزني سنة (769هـ/1367م) حيث يقول:" كنت في هذا التاريخ ببلد بسكرة من زاب إفريقية، مفلتا من سجن أبي العباس الموحد، قاتل مخدومي ابن عمه الأمير أبي عبد الله رحمه الله"[3]

- يحيى بن خلدون وحياة البلاط:

بعد سقوط مدينة بجاية بيد أبي العباس الحفصي (767هـ/1365م)، رسم أبو حمو الثاني سياسة توسعية في الناحية الشرقية لعاصمته، لكنه هزم قرب بجاية، وهو ما أعطى لخصمه أبو زيان ابن السطان أبي سعيد الثاني مجالا لمنافسته، وكلفه إيقاف زحف ابن عمه أواخر سنة (768هـ/1366م) الكثير، وكان في حاجة إلى كسب تأييد عرب رياح، في بلاد الزاب للسيطرة على بجاية الحفصية، فرأى أن ينتخب لذلك الأخوين يحيى؛ وعبد الرحمن ابني خلدون مقابل الخدمة في بلاطه، ويذكر يحيى أمر السلطان له بأن يعينه على كسب تأييد عرب رياح للقتال معه عن طريق مكتوب أحضره له عمر بن محمد، وقد كللت مهمة يحيى بالنجاح[4] فعينه السلطان بعدها

---

[1]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 103/2- 104، ابن خلدون، **العبر**، 854/6-855.

[2]: ابن خلدون، **الرحلة**، 98-99-100، **العبر**، 859/6-860.

[3]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 193/2.

[4]: يشير عبد الرحمن بن خلدون أنه تلقى كتابا من أبي حمو موسى الثاني، لكنه أوفد أخاه ليشغل منصب الحجابة مكانه، مكانه، متعللا بزهده فيه، فيما نجد في المقابل أن يحيى يذكر أنه استدعي أيضا من طرف أبي حمو، بعد نجاحه في كسب تأييد قبيلة رياح لضمها إلى معسكره، وكان التحاقه قبل الكتاب الذي أرسل لأخيه أو بعده، ويبدو التعارض بين النصين واضحا في استدعاء الأخوين للخدمة في بلاط أبي حمو، ويبدو أن عبد الرحمن قد تخلى على المنصب لصالح أخيه كما فعل معه في البلاط الحفصي، وقد يكون التحاق يحيى بخدمة أبي حمو موسى مباشرا دون وساطة أخيه. للتفصيل أكثر؛

كاتبا للإنشاء[1]، واستقر بتلمسان في خدمة سلطانه أبي موسى بعد أن استقدم أسرته من بسكرة[2]، ثم رافقه في سلمه وحربه ضد بجاية سنة (769هـ/1368م)[3].

لقد سمحت هذه المكانة التي نالها يحيى بن خلدون في بلاط أبي حمو، بتعميق معارفه الفكرية، والاستفادة من شعراء وكتاب البلاط، والإطلاع على وثائق ومراسلات الدولة، والأخذ عن بعض علماء تلمسان كأبي عبد الله الزواوي[4]، وأبو عبد الله الشريف، وفي ظل الاضطرابات السياسية نتيجة استمرار حملات أبي زيان ضد تلمسان، توغل أبو حمو في أراضي قبيلة سويد في المغرب الأوسط وأجبرها على المغادر إلى المغرب الأقصى سنة (771هـ/1369م)، وهناك اتصل شيوخها بالسلطان المريني عبد العزيز، وأقنعوه بغزو تلمسان أواخر سنة (771هـ/1369م). فحرص أبو حمو على افتكاك تأييد الذواودة عن طريق سفيره عبد الرحمن بن خلدون، في لقاء بالبطحاء شرقي تلمسان، وهناك شعر سفيره بضعفه فاستأذنه في العبور إلى الأندلس، وانسحب السلطان الزياني بعدها من عاصمته منحصرا إلى المنطقة الشرقية، ثم توجه جنوبا، ودخل السلطان عبد العزيز المريني تلمسان سنة (772هـ/1370م)، ثم تتبع أثر أبي حمو الثاني جنوبا، وبدنوه منه قرر كاتبه ومستشاره يحيى بن خلدون التخلي عنه، والعودة إلى تلمسان؛ للدخول في خدمة المرينيين[5].

انظر: ابن خلدون، **الرحلة**، ص98، **العبر**، 860/6، 862، 269/7، 271، 272.يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ص33/1، 194/2.

[1]: شغل يحيى بن خلدون هذا المنصب أيضا في البلاط المريني للسلطان أبي سالم (760-762هـ/135961361م)، نفسه، 72/2.

[2]: نفسه، 194/2.

[3]: نفسه، 195/2- 196.

[4]: أبو عبد الله الزواوي البجائي، الذي تنقل بين مدن المغرب الأوسط و الأندلس، فأخذ العلم، وزاول التدريس، وكان عالما في علم الكلام، والمنطق، والنحو، تتلمذ على يديه يحيى بن خلدون. انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 190/1-191.

[5]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 141/2، 143، 162-16"-164، ابن خلدون، **العبر**، 273/7، 275. **الرحلة**، ص132.

- **يحيى بن خلدون في خدمة بني مرين:**

ما يزال انفصال يحيى بن خلدون عن سلطانه أبي حمو، والتحاقه بالبلاط المريني يكتنفه الغموض على الرغم من إقراره بخطيئته وذنبه، ومحاولته تبرير موقفه بطلبه العفو[1]؛ مرجعا السبب إلى حظ النفس دون أن يذكر الحقيقة التي أشار إليها، وأخفاها حين قال:" ولولا أن أفضح مستورا، وأخلد في بطون الأوراق وصما مشروحا، لأبنت ما جرى، وقلت كيف كان..."[2]، ووصل الوضع بأبي حمو الثاني، إلى تخلي بعض القبائل عنه، بعد كتاب الأمير عبد العزيز المريني الذي أمر فيه شيوخ هذه القبائل بعدم مناصرة أبي حمو، وقد كان لعبد الرحمن بن خلدون دور فعال في دعوة الذواودة، وتحريضهم ضد أبي حمو، ومناصرة بني مرين. وليس غريبا أن يعمد حساد يحيى إلى تأليب السلطان عليه بسبب موقف أخيه[3].

دخل يحيى بن خلدون في خدمة سلطان الدولة المرينية بتلمسان، أين كان مقر البلاط المريني؛ واتصل بعدد من الشعراء والأدباء والعلماء، منهم لسان الدين ابن الخطيب الوزير الشهير، ذائع الصيت، والذي نزل بتلمسان أواخر سنة (772هـ/1370م)، وكان له فضل في تكوين يحيى[4]، وتوجيهه إلى دراسة التاريخ، وتمكينه؛ وأخوه عبد الرحمن من الاتصال بالبلاط المريني، ويظهر ذلك في تكليف عبد الرحمن بن خلدون بمهمة كسب دعم الذواودة؛ ومناصرتهم للمرينيين[5].

ظلت إقامة يحيى بتلمسان حتى وفاة السلطان المريني عبد العزيز سنة (774هـ/1372م)، وبوفاته انتقل المرينيون إلى قاعدتهم مدينة فاس، تحضيرا لتعيين سلطان جديد، والتحق يحيى؛ وابن الخطيب بفاس أيضا، وهناك انصرف ابن الخطيب

---

[1]: ذكر يحيى اعتذاره في كتابه فقال:" ومن هنا فارقته أيد الله لخيالاته سوداوية اعتورتني، ونزعات شيطانية تجاذبتني، وسوء بخت تقاعس عن إدراك الفخر برحلي، وشقاء مكتوب أهوى إلى درك الخسارة بي"، يحيى بن خلدون، مصدرسابق، 164/2.

[2]: يحيى بن خلدون، مصدرسابق، 164/2.

[3]: نفسه، 184/2.

[4]: استفاد يحيى بن خلدون من الوزير لسان الدين بن الخطيب في الأدب والشعر، والكتابة الفنية؛ والتأليف في التاريخ ويظهر ذلك في مؤلفه بغية الرواد. انظر: ابن خلدون، **العبر**، 696/7-697.

[5]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص135-137.

إلى تأليف كتابه أعمال الأعلام" وضمنه إثبات البيعة للسلطان الصغير سعيد، متجاهلا الصراع بين أبناء البيت المريني حول السلطنة، وهذا الموقف سيحدد مصير ابن الخطيب لاحقا، خصوصا بعد تدهور أحوال الدولة المرينية، نتيجة محاولات سلطان غرناطة، التخلص من الوزير ابن الغازي بن الكاس، وصديقه ابن الخطيب، لتغيير معادلة الحكم بعزل السلطان سعيد، وتولية أبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني. هذا الوضع استغله يحيى بن خلدون وانصرف على عادة صديقه ابن الخطيب، إلى بداية تدوين كتابه" بغية الرواد"[1].

انتهى الصراع حول السلطنة بفاس لصالح محمد بن الكاس المدعوم من سلطان غرناطة، وهزيمة ابن الغازي وقتله، سنة (776هـ/1374م)، وحاول ابن الخطيب كسب العفو عن طريق صديقه يحيى بن خلدون الذي بعث بقصيدته، ورسالة ابن الخطيب سنة (775هـ/1373م) إلى السلطان أبي حمو للتوسط له لدى سلطان غرناطة[2]، لكن محاولاته فشلت وانتهت بمقتله تحت التعذيب في السجن نهاية شهر محرم (776هـ/1374م)، وتركت هذه الحادثة وقعا كبيرا في نفوس أصدقائه خصوصا المقربين منه، كالأخوين عبد الرحمن ويحيى ابني خلدون بحيث غادر عبد الرحمن مدينة فاس، ورحل عنها يحيى أيضا عائدا إلى الخدمة في بلاط بني زيان بمدينة تلمسان ووصلها سنة (776هـ/1374م)[3].

الذي ترك مدينة فاس، ورحل عنها عائدا إلى تلمسان.

- **يحيى بن خلدون في خدمة أبي حمو الثاني من جديد:**

بعد حادثة مقتل لسان الدين بن الخطيب، وتراجع مكانة يحيى ببلاط بني مرين أخذ هذا الأخير في البحث عن مستقر له بعيدا عن صراع السلطة؛ الذي قد يأتي على حياته، فقرر العودة إلى تلمسان بعد غياب قارب الأربع سنوات، وكان عليه أن يدخل في عفو سلطانه السابق أبي حمو الثاني، ويعتذر عن تخليه عنه، فجعل كتابه " بغية

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 696/7-697-698، **الرحلة**، ص285-286،

[2]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 268/2.

[3]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص186، يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 286/2.

الرواد" مدخلا لعفو السلطان، واسترجاع مكانته، فعين كاتبا للإنشاء مرة أخرى، وكسب ثقة سلطانه، الذي كان محتاجا إلى من يشير عليه بمخرج من الصراع الذي قام بين قبيلة بني عامر المؤيدة لبني مرين، وقبيلة سويد المنتصرة لعصبية بني عبد الواد، وقد بذل ولده أبو تاشفين جهدا في ذلك بعد أن استطاع كسب ثقة قادة الجيش وشيوخ القبائل مما حرك حفيظة والده خوفا على عرشه، فاختبره بكتاب يوليه فيه الحكم سنة (667هـ/1268م)، لكن الأمير رفض العرض بالجملة[1]. واستمر الصراع القائم بين القبائل، وامتد شيئا فشيئا إلى داخل البيت الزياني حتى وصل إلى الذروة سنة (779هـ/1377م)، بعد أن انتقل إلى التنافس بين ابني أبي حمو الثاني، أبو تاشفين، وأبو زيان على السلطة، إلا أن يحيى بن خلدون اهتم بمواصلة تكوينه في الأدب والتاريخ، واستكمال مؤلفه[2].

وكان سبب الصراع هو تنصيب أبي حمو لولده الأصغر أبي زيان واليا على مدينة وهران بعدما كان يحكم ولاية المدية، وهو الأمر الذي رفضه أبو تاشفين نظرا لأهمية المدينة من الناحية الاستراتيجية والتجارية، وخشيته من فقدان السلطنة بعد وفاة والده، فطالب بولاية وهران، ولم يجد أبو حمو مخرجا من هذا الوضع سوى تأخير كتابة قرار تعيينه، وأوعز لكاتبه يحيى بن خلدون بذلك. هذا الموقف هو الذي سيكلف يحيى بن خلدون حياته. فقد ذهب أخوه عبد الرحمن بن خلدون إلى القول بأن موسى بن يخلف؛ وهو من بطانة أبي تاشفين دسّ على يحيى بأنه مؤيد للأمير أبي زيان ضد أخيه أبو تاشفين، فقام هذا الأخير بتدبير مقتل يحيى بن خلدون[3]، في رمضان سنة (780هـ/1378م)[4]. بهذه الطريقة انتهت حياة كاتب الدولة يحيى بن

---

[1]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص224، 227، **العبر**، 282/7، يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 14/2، 164، 174، 185، 187، 192، 210.

[2]: ابن خلدون، **العبر**، 284/7، 286.

[3]: للاطلاع أكثر على خلفيات مقتل يحيى بن خلدون انظر: ابن خلدون، العبر، 187/7- 188.

[4]: ابن خلدون، **العبر**، 291-292، التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، ص210-211. هذا ولا يستبعد أن يميل يحيى بن خلدون للأمير أبي زيان، الذي كان شاعرا ومتعلما، وأمه من أصول إفريقية، فانتصر للأمير الصغير، كما فعل سلطانه، وهو ما كلفه حياته.

خلدون؛ وهو في مرحلة عطاء ونضج سياسي وعلمي، حققهما بفضل خبراته السياسية، وتجاربه الحياتية، وتكوينه الفكري على أيدي كبار علماء عصره.

- **تأليف كتاب" بغية الرواد ":**

ترك لنا يحي بن خلدون كتابه التاريخي المعروف ب: " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"[1]، وقد ألفه بتلمسان في عامين (776- 777هـ/1373-1375م) لأجل نيل رضا سلطانه أبي حمو موسى الثاني وبطلب منه[2]؛ لقبول دخوله في خدمة بلاطه من جديد لحاجته إليه ككاتب سر، وتميزه بمواصفات خاصة يرى السلطان وجوب توفرها في الكاتب[3].

ولا نعرف وقتا مضبوطا لبداية تأليف كتاب "بغية الرواد"، ولا وقت صدور أمر السلطان أبي حمو الثاني بتدوينه، " ...وكنت ممن يأمره، أعلى الله مقامه (...) ثم رأيت أن امتثال أمره علي فرض(...)"[4] غير أن المرحلة الأولى التي قضاها ببلاط تلمسان ما بين (769-772هـ/1367-1370م) هي التي مكّنته من جمع مادة تراجم علماء مدينة تلمسان، وهو ما يتطلب إقامة طويلة بالبلد، ويبدو أنه شرع في كتابة الجزء الأول من مؤلفه ما بين (774-775هـ/1372-1373م)[5]، أي بعد وفاة السلطان عبد العزيز المريني؛ وهي فترة إنتاج أدبي؛ وثقافي سجلت عودة يحيى بن خلدون إلى فاس، ومرافقته لأخيه عبد الرحمن، وصديقه لسان الدين بن الخطيب الذي استفاد منه في الأدب، وأساليب الكتابة في التاريخ بشكل خاص.

---

[1]: ذكر محقق الكتاب عبد الحميد حاجيات أن عنوان الكتاب كان " نجعة الرواد" في المخطوطات العشر الأولى التي اعتمدها في التحقيق، وفي خمس نسخ أخرى جاء العنوان " بغية الرواد"، وقد يكون يحيى بن خلدون قد غير عنوان كتابه وهو يتم تأليفه؛ انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/42-43.

[2]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، مقدمة التحقيق، ص50-51- 52.

[3]: أبو حمو موسى الزياني، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مطبعة الدولة التونسية، 1862م، ص60-61.

[4]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/115.

[5]: خدم يحيى بن خلدون في البلاط المريني ما بين أوائل سنة (772هـ/1370م)، وأوائل سنة (776هـ/1374م)، ويبدو أن المرحلة الأخيرة في خدمة المرينيين هي أوائل سنة (776هـ/1374م) ، ثم انتقل إلى خدمة أبي حمو أواخر سنة (776هـ/1374م) وهي التي يبدو أنه أتم فيها مؤلفه، أو دخل في السنة الموالية (777هـ/1375م) ليتمه كاملا.

وبخصوص الجزء الثاني من الكتاب فمن المحتمل أن يكون يحيى قد أتمه في آخر إقامته بفاس، وأوائل فترة التحاقه بخدمة أبي حمو الثاني، لأن أحداث الكتاب تنتهي إلى آخر سنة (776هـ/1374م)، وقد يكون قدمه لسلطانه في السنة الموالية.

وكان الغرض من تأليف كتاب "بغية الرواد" السلطان أبي حمو الثاني، محاولة يحيى بن خلدون استرجاع مكانته في بلاط أبي حمو الثاني، بتخليد دولته، والتذكير بانجازاته، "... تخليد ما لدولته من المعال، (...)؛ وتدوين ما اشتملت عليه أيامه من أخلاق وجدة، (...) ليكون ذلك أسوة في الفخر اللّباب؛ وعظة وذكرى لأولي الألباب"[1]، وكان ذلك بعدما ساءت أحوال فاس المرينية، وقتل صديقه ابن الخطيب سنة (776هـ/1374م)، وفقد مكانته في بلاط بني مرين.

قسم يحيى بن خلدون كتابه إلى ثلاثة أقسام، وكل قسم تحته ثلاثة أبواب استهل القسم الأول بالحديث عن أصول قبيلة بني عبد الواد؛ وحضورها في مرحلة تأسيس الدولة، ثم وصف جغرافية تلمسان، وذكر الإمارات التي تعاقبت على حكم المدينة، والعلماء الذين وُجِدُوا بها. أما القسم الثاني فخصصه للحديث عن سيرة السلاطين العظام الذين ثبَّتوا قواعد الدولة في مرحلة البناء والتأسيس. وبخصوص القسم الثالث وهو الأهم في الكتاب والأوسع من حيث حجمه، فقد أفرده بشكل خاص لفترة حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني حتى انتهى إلى سنة (776هـ/1374م)، حيث ذكر خصال سلطانه الحميدة، وجهوده العظيمة في إعادة مجد الدولة الزيانية.

- **موارد يحيى بن خلدون في كتابه بغية الرواد:**

تنوعت مصادر يحيى بن خلدون في كتابه من حيث أهميتها، وتعدد نماذجها، في طريقة الأخذ عنها؛ فهي موزعة على أقسام الكتاب ككل، حيث استشهد ببعض الآيات القرآنية[2]، وذكر أحاديث نبوية[1] رواها كبار المحدثين، أمثال الإمام مسلم بن

---

[1]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/84-85.

[2]: استشهد يحيى بن خلدون بخمس وثلاثين آية؛ من تسعة عشر سورة من القرآن الكريم انظر: يحيى بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، وما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد**، تحقيق بوزياني الدراجي، دارالأمل للنشر، (د.ب)، 2007، 1/123، 133، 145، 2/26-27،33،46-47،49، 54، 71، 74، 97، 124، 125، 180، 225، 279.

الحجاج، والداقطني، وبقي بن مخلد، وعبيد الله الهروي[2]، لتلقى أخباره القبول، ويسلم بصحتها، بعد محاولة ربطها بمنهج المحدثين في رواية الخبر، وكان مصدره الأول هنا هو كتاب " التشوف إلى معرفة رجال التصوف" لصاحبه ابن الزيات التادلي[3].

واعتمد يحيى في القسم الأول من كتابه الذي خصصه للحديث عن أصل البربر وقبيلة "بني عبد الواد"، على آراء كل من ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/889م)[4]، والطبري (ت310هـ/927م)[5]، والصولي (ت335هـ/946م)[6]، والمسعودي (ت346هـ/957م)[7]، والسهيلي (ت581هـ/1185م)، وابن المرحل، وشكلت مصادر هؤلاء المؤرخين مورده الرئيس.

كما اعتمد في حديثة عن جغرافية بلاد المغرب؛ والكيانات التي تعاقبت على حكم تلمسان على جملة من المؤرخين أمثال، أبو عبيد الله البكري (ت487هـ/1049م)[8]، وأبو سلامة بن جعفر القضاعي (ت454هـ/1062م)[9] وغيرهما. أما حديثه عن علماء وصلحاء تلمسان فإنه يروي أخباره عن ابن الزيات (ت233هـ/847م)، وابن الأبار(ت658هـ/1260م)، وابن عبد الملك المراكشي(ت 703هـ/1303م)، ويبدو أنه أغفل مصادر أخرى اعتمدها ونقل عنها.

وبخصوص رواياته الشفوية فقد رواها عن رجال ثقات حسب رأيه[10]، واستقى أخبارا عن شيوخه، كشيخه الآبلي (757هـ/1356م)[11]، وأبو الحسن الميرقي[1]

---

[1]: أورد يحيى أحد عشر حديثا نبويا في كتابه، انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/7-8؛ 2/22، 33، 34.

[2]: نفسه، 1/79.

[3]: نفسه، 1/89- 90، 126.وانظر: ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف**، ص1-2.

[4]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/179.

[5]: نفسه، 1/179-180.

[6]: نفسه، 1/179.

[7]: نفسه، 1/179.

[8]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/179.

[9]: نفسه، 1/178.

[10]: نفسه، 1/106، 109، 219.

[11]: نفسه، 1/85.

وغيرهما، غير أن هذه الأخبار لم تشكل في جملتها مادة معتبرة في كامل مؤلفه، ويضاف إلى المصادر الشفوية، الوثائق التي اطلع عليها وهو متولي منصب الكاتب في بلاط أبي حمو الثاني كسجلات الدواوين؛ والمراسلات السلطانية التي تصدر عن الدولة.

أما مصادر الجزء الأهم والأكبر حجما؛ وهو القسم الثالث والأخير من الكتاب؛ والذي خصصه للحديث عن عهد سلطانه أبي حمو موسى الثاني، فقد كان معاصرا للأحداث، ومشاركا في صنعها؛ ومشاهدا لحدوثها؛ لذا لم يعتمد على مصدر مكتوب غير شهادته على الوقائع[2]، مع وجود مصادر أرخت لمدينة تلمسان على غرار " تاريخ تلمسان" لابن الأصفر؛ ومثله لابن هدية، وكتاب " زهر البستان"، ويبدو أن اكتفاء يحيى بأخبار شيوخه، ومشاهدته الشخصية له ما يبرره، في ظل قربه من الأحداث أكثر من غيره بحكم منصبه في البلاط الزياني.

ويمكن أن نفصل في بيان مصادر يحيى بن خلدون على النحو التالي:

أولا: المصادر المكتوبة:

اسم المؤلف	عنوان المصدر	الصيغة	الموضوع
مجهول	الأحكام	قال صاحب الأحكام (...)[3].	أخبار تلمسان
أبو عبد الله البكري	المسالك والممالك	- قال عبيد الله: ورد على عمرو بن العاص بمصر (...)[4]. - قال البكري: إن أم بر (...)[5].	خبر خروج البربر إلى المغرب خبر البربر
المسعودي	مروج الذهب ومعادن الجوهر	- قال:" سبب خروجهم إلى المغرب، فذهب المسعودي	خبر خروج البربر إلى

[1]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 91/1.

[2]: وردت كلمات في مواضع عديدة بضمير المتكلم قبل ذكر الخبر دلت على شهادة يحيى بن خلدون على الأحداث، مثل: "شاهدت"، "وقفت"، "حضرت"، نفسه، 111/2، 125، 137، 204.

[3]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 8/1.

[4]: نفسه، 8/1.

[5]: نفسه، 92/1.

عبد الرحمن السهيلي	الروض الأنف في شرح السيرة النبوية	والطبري والسهيلي (...)[1].	المغرب
أبو جعفر الطبري	تاريخ الرسل والملوك	- قال:" سبب خروجهم إلى المغرب، فذهب المسعودي والطبري والسهيلي (...)[2]. - قال الطبري إن بر بن قيس (...)[3]	خبر خروج البربر إلى المغرب خبر البربر
ابن قتيبة	عيون الأخبار	قال ابن قتيبة (...)[4].	خبر البربر أيضا
المنتقى "شرح موطأ الإمام مالك"	أبو الوليد الباجي	حكى الباجي في منتقاه، وغيره من المؤرخين (...)[5].	خبر قبيلة بني عبد الواد

ثانيا: المصادر الشفوية:

الراوي	الصيغة	الموضوع
مجهول	قال:" **يقال** أن بها جدار الخضر عليه السلام (...)[6].	خبر مدينة تلمسان
مجهول	أبو عبد الله محمد بن عبد الحق **ويقال:** البطيوي(...)[7].	في ذكر ترجمة الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الحق اليعفري.
مجهول	**قيل** إنه ولي القضاء بإشبيلية (...)[8].	ترجمة الشيخ أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي.
مجهول	قال: (...) قيل هو القاسم بن إدريس وقيل محمد بن إدريس، وقيل ابن القاسم بن إدريس، وقيل ابن محمد بن عبد الله بن إدريس (...)[1].	ذكر أصل بني مرين، إلى إدريس الثاني.

[1]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 90/1.

[2]: نفسه، 90/1.

[3]: نفسه، 92/1.

[4]: نفسه، 90/1-91.

[5]: نفسه، 102/1.

[6]: نفسه، 20/1.

[7]: نفسه، 45/1.

[8]: نفسه، 67/1.

مجهول	قال:" وروى أن رجلا من أهل تلمسان يعرف بابن الغريب ممن جاور بالمدينة (...)[2].	الترجمة للشيخ أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد
مجهول	قال:" وروى أن رجلا قيل له في مقامه (...)[3].	ترجمة للفقيه أبو الربيع
		سليمان
أبو الحسن الميورقي	- قال:" وأخبرني الشيخ أبو الحسن الميورقي من أعيان المدينة عن الفقيه أبي عبد الله (...) أحمد بن مرزوق التلمساني (...)[4]. - قال:" (...) أخبرني أبو الحسن الميورقي من أعيان البلد عن شيخنا الآبلي (...)[5].	- خبر مدينة تلمسان - الترجمة للشيخ أبي عبد الله الإشبيلي
رواة ثقات	قال:" (...) أخبرني ثقاتهما أن جدهما كان من أولياء الله الأبرار (...)[6].	ترجمة الشيخان أبو زيد وأبو موسى ابني الإمام البرشكي
إبراهيم بن أبي بكر العجيسي	حكى إبراهيم بن أبي بكر العجيسي (...)[7].	ترجمة للفقيه أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن بن المعز

ثالثا: المشاهدة والمعاصرة للأحداث.

الحدث	الصيغة
مشاهدة قبر عقبة بن نافع الفهري بإفريقية	(...) وهو الذي افتتح المغرب كلها ودعا الناس فيه إلى الله ورسوله؛ قتله أهل الزاب بتهودة من إفريقية (...)[8].
حرب بني مرين ضد بني عبد الواد	قال:" (...) شهدت هذه الليلة بمعسكر مرين (...)[9].
رثاء الأمير أبي يعقوب بعد الوقوف	قال:" (...) ووقفت على ضريحه الكريم (...)[1].

[1]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 101/1.

[2]: نفسه، 33/1.

[3]: نفسه، 38/1.

[4]: نفسه، 20/1.

[5]: نفسه، 67/1-68.

[6]: نفسه، 71/1.

[7]: نفسه، 38/1.

[8]: نفسه، 77/1.

[9]: نفسه، 176/2.

على قبره	
المنصب الذي كان يشغله يحيى بن خلدون في بلاط أبي عبد الله الحفصي ببجاية	قال:" كنت ممن ضمني السلطان أبو سالم ابن السلطان أبي الحسن، في زمرة الأمير عبد الله (...)"[2].
بعض أحداث سنة (764هـ/1362م)	قال:" (...) ولحقت أثناء هذا بمرسلي الامير أبي عبد الله، وجئت به قاصدين باب مولانا أمير المسلمين (...) فلقينا وزيره (...)"[3].

- **منهج يحيى بن خلدون في كتابه "بغية الرواد":**

أعطى يحيى بن خلدون لكتابته في التاريخ بعدا عاما حين ذكَّر بأهمية أخبار الأجيال السابقة، وبين ضرورة الاعتبار من تجاربهم والاقتداء بهم[4]، لينتقل بعدها إلى تقريب رؤيته ويسقطها على الدولة الزيانية، وسلطانها الذي خدمه، وبهذا يرسم خط كتابته ويوجهها لغرض خاص يرجو منه نيل مكانة في بلاط السلطان[5]، وكان عليه أن يبدأ بذكر محاسن الدولة تمهيدا لصياغة أوصاف المديح والثناء التي تخيرها قاصدا تمجيد صاحب الفضل عليه السلطان أبو حمو موسى الثاني.

ومن الطبيعي أن يجعل يحيى من كتابته مرجعا للخلف للإطلاع على حلقة من حلقات التاريخ السياسي لحاضرة تلمسان[6]، غير أنه لم يقصد تقصي الحقيقة، والمعرفة الموضوعية في الغالب، فالكتاب ألف على منوال عصره[7]، وكاتبه يحسب

---

[1]: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 242/2.

[2]: نفسه، 261/2.

[3]: نفسه، 276/2.

[4]: نفسه، 88/1.

[5]: نفسه، 14/2، 164، 174، 185، 187.

[6]: يعتبر الجزء الأول من الكتاب مقدمة لجزئه الثاني الذي خصصه للسلطان أبي حمو موسى الثاني، وقد التزم أبو حمو بتحري الحقيقة من خلال حديثه عن جغرافية مدينة تلمسان؛ ومن حكمها قبل السلطان أبي حمو، والترجمة لعلمائها، وكان طرحه موضوعيا، انظر: عبد الحميد حاجيات، **يحيى بن خلدون وكتابه بغية الرواد**، ص29.

[7]: ظهرت الكتابة السلطانية بشكل لافت خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، انظر: علاوة عمارة، **الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط**، صص252-253.

على علماء البلاط، ولهذا يجب البحث في إمكانية الوثوق في أخبار يحيى بن خلدون، وقيمتها التاريخية.

إن المتفحص الحصيف لفصول كتاب بغية الرواد يجد تباينا في الكتابة من حيث الأسلوب والغاية، ويبدو أن التأريخ لمدينة تلمسان، والأمراء المتعاقبين على حكمها يختلف تماما عن فترة حكم أبي حمو موسى الثاني التي ركز عليها، وأظهر فيها جهده وتوجهه، وبرعته في اللغوية والأدبية شعرا ونثرا، وبيانا، ويضاف إلى ذلك تجلي الكتابة الموضوعية في بعض أبواب الكتاب[1].

ويمكن القول أن يحيى بن خلدون تختفي تحته شخصيتين من خلال كتابته، عالم البلاط الذي اتخذ من أسلوب المديح والتزلف منهجا له فأغرق في البيان والبديع، وانشغل بترصيع الألفاظ وزخرفتها لتمجيد سلطانه، وهو تقليد جرى عليه مؤرخو عصره[2]، كما ظهر في جانب آخر أنه مؤرخ موضوعي تحرى الحقيقة والصدق في إيراد الأخبار[3]، وعلى هذا الأساس لا يمكن الحكم على كتاب بغية الرواد بالتدليل على أنه كتاب في المديح فقط دون النظر إلى الكتابة التاريخية التي خضعت لقواعد علم التاريخ.

لقد حرص يحيى بن خلدون على إظهار فترة حكم أبي حمو في صورة من الواقعية والمثالية أحيانا لتبدو ملائمة، من دون قلب للحقائق، أو خلق أحداث لم تقع، بل جنح بذكائه؛ وفطنته إلى قاعدة ارتكز عليها وهي الصمت عن بعض الأحداث، وعدم الخوض في بعض التفاصيل، وهي قاعدة مطردة خرج عنها أحيانا

---

[1]: يبدو من مفاصل الكتاب أنه مقسم إلى قسمين من حيث منهج الكتابة التاريخية القسم الأول والثاني من الكتاب بدا فيه مؤرخا عاديا، أما بخصوص القسم الثالث فهو في مديح السلطان أبي حمو، وهنا يدخل ضمن كتاب البلاط بكتابته السلطانية، انظر: عبد الحميد حاجيات، مرجع سابق، ص30.

[2]: نجد من بين الذين استحضروا التصوير الفني في مدح البلاط، واقتدى بهم يحيى بن خلدون لسان الدين ابن الخطيب، وابن مرزوق الخطيب، وابن الأحمر، وصاحب الحلل الموشية، وصاحب زهر البستان، وغيرهم من المؤرخين الذين أرخوا للسلطة والأسرة الحاكمة، انظر: عبد الحميد حاجيات، مرجع سابق، ص30.

[3]: القسم الأول والثاني من كتاب" بغية الرواد" تحرى فيه يحيى بن خلدون الموضوعية إلى حد ما، وجرت كتابته على عادة كتاب عصره من ربط التاريخ المحلي بالتاريخ الأسري أو السلطاني للأسرة الحاكمة، أو سلطان فيها كما هو الحال مع التأريخ لأبي حمو موسى الثاني.

عندما أرخ لأكبر هزائم السلطان أبي حمو[1]، وقد يكون هذا مما لا يمكن إخفاءه أو التصرف فيه وفق هوى السلطان، كما يلاحظ من ناحية أخرى كيف أغفل ذكر هزائم يغمراسن[2]، وتراجع السلطان أبي حمو في مواجهة العرب البدو ما بين (765-772هـ/1363-1370م)، والصراع بين أبناء البيت الزياني خصوصا بعد تصاعد قوة الأمير أبو تاشفين[3].

ويبقى القسم الخاص بتاريخ فترة حكم أبي حمو موسى الثاني الأهم بالنسبة للمؤلف وكذا الناقل أو الباحث؛ لأن المؤلف كان شاهدا على الأحداث وإن حاد بها عن الجادة في إظهار الحقائق كما وقعت بتفاصيلها إلا أن التركيز على نشاط السلطان، وحركة جيوشه والحياة في البلاط الزياني على عهده جعله يهمل جوانب جد هامة تتعلق بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المؤثرة في سيرورة الوقائع والأحداث[4].

وفي المقابل نجد أن الجزء الأول من كتابة يحيى بن خلدون، هو عبارة عن مقدمة لتاريخ أبي حمو الثاني استعرض فيه جوانب خارج أطر الحياة السياسية في الغالب تمثلت في الحديث عن جغرافية إمارة بني عبد الواد، والترجمة لعلماء مدينة تلمسان[5]، والأمراء الذين تعاقبوا على حكم المدينة، وبيان أصل بني عبد الواد، ثم

---

[1]: ذكر يحيى بن خلدون بعض هزائم سلطانه انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2/103-104، 127-128، 164-165، 173-174.

[2]: من بين الهزائم التي لم تذكر في بغية الرواد، وقعة تلاغ (666هـ/1267م)، ووادي إيسلي (670هـ/1271م)،انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/182-183.

[3]: لم يذكر يحيى بن خلدون هزائم أبي حمو أمام العرب البدو في المغرب الأوسط خصوصا حين تحالفهم مع المرينيين، ويبدو أن الصراع الذي نشب بين أبناء البيت الزياني، أبو تاشفين وأبو زيان بسبب ولاية العهر وولاية وهران لم يفصل فيه يحيى بن خلدون مع أنه كان شاهدا على الأحداث، ومن أقرب الناس إليها.انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، مقدمة المحقق عبد االحميد حاجيات، 1/52.

[4]: يبدو أن نمط الكتابة السلطانية في انشغال المؤلف بإرضاء السلطان جنبه ذكر حياة المجتمع والعامة من الناس، وانصرف لتتبع خبر البلاط بشكل أخص، لذلك نجد غيابا للتأريخ للوضع الاقتصادي أو الاجتماعي.

[5]: ساق يحيى بن خلدون مائة وتسعة ترجمة للعلماء من أهل التقوى والصلاح، أين يتكاثر رجال التصوف خصوصا في القرن التاسع الهجري، انظر: شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، دار المعارف، مصر، 1995م، 10/75.

مرحلة تأسيس الإمارة والفترة التي سبقت حكم أبي حمو موسى الثاني من تاريخ الدولة[1].

هذا التنوع في المادة الخبرية في القسم الأول والثاني من كتاب بغية الرواد يجعله من المصادر التي لا يستغنى عنها في التأريخ للدولة الزيانية، وإن كان هذا التنوع فيه شيء من الاقتضاب والاختصار، وانتخب فيه المؤلف معلومات تبدو غير كافية وشاملة للإحاطة بالموضوع[2]، إلا أن طريقة تنويع المحتوى كوضع مقدمة للفترة التي يتخصص في التأريخ لها هو منهج طرحة يحيى بن خلدون ليظهر سعة إطلاعه، ومدى أفق نظرته وتوجه خطابه التاريخي.

وهكذا يبدو واضحا مما سبق ذكره أن مجال كتابة يحيى بن خلدون لم يتوقف على البلاط فقط، بل جال أيضا في التاريخ الإقليمي لدولة بني زيان، وأرخ أحيانا للفرد[3] قبل أن ينصرف إلى التأريخ للسلطة.

وبالرجوع إلى موارد يحيى بن خلدون التي اعتمد عليها، وكيف نقل عنها، نجده لا يتعرض بالنقد لهذه المصادر ومؤلفيها[4]؛ فهو يذكر أحيانا عنوان الكتاب فقط، دون الإشارة إلى اسم المؤلف، أو بعكس ذلك، وقليلا ما يأتي على ذكر العنوان واسم المؤلف معا[5]، غير أن نقده طال المعلومات المنتقاة فقط، فانتخابه لأخبار بعينها يعتبر يعتبر في الأساس نقد لجملة الأخبار المذكورة في المصادر التي استقى منها معلوماته. هذا في المادة الأولى من كتابه، لكن حين يصل إلى الحديث عن السلطان

---

[1]: جاء ذلك في القسم الأول والثاني من كتاب " بغية الرواد"، أما القسم الثالث فهو تاريخ لبلاط وسيرة أبي حمو الثاني.

[2]: نجد أن يحيى بن خلدون يختلف في ذكر تفاصيل الأحداث عن ابن الأحمر، " روضة النسرين"، وابن الخطيب، " الإحاطة" وغيرهم من كتاب التواريخ السلطانية.

[3]: ترجم يحيى بن خلدون لعديد علماء تلمسان وشيوخه وحوى كتابه مادة هامة في مدحهم وتبجيلهم جمعها أثناء إقامته الأولى بتلمسان (768-772هـ/1366-1370م) ، انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ص150/1 إلى 174.

[4]: اكتفى يحيى بن خلدون بالنقل عن هذه المصادر دون أن يتعرض لها بالنقد وقد يكون السبب في ذلك راجع إلى غرض تأليف الكتاب " الكتابة السلطانية"، أو أن اختصاره للأخبار حال دون نقده لما رواه، ويبدو أن هذا الاختصار يعد نقدا لكنه لا يخرج يحيى بن خلدون من أن يكون مجرد إخباري لا يرقى إلى مستوى أخيه عبد الرحمن بن خلدون ، وابن الخطيب وغيرهما.

[5]: يذكر مثلا الطبري والمسعودي والسهيلي دون أن يشير إلى مؤلفاتهم، ويقول: قال الباجي في منتقاه، وهكذا انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 67،8/1، 45، 90، 92، 101، 102.

أبي حمو الثاني فإنه يكتفي بشهادته الشخصية[1]، ولا يعير اهتماما لما تقوله المصادر المعاصرة له.

إن كتابة يحيى بن خلدون تندرج ضمن التواريخ السلطانية التي أرخت للسلطة الحاكمة، وهو ما قيدها ووجهها على حساب الموضوعية والحقيقة، وقد سمح له تكوينه على يد كبار علماء وأدباء وشعراء البلاط وغيرهم بالتفوق في الكتابة وفنون الشعر، وهذا ما أظهر دقة وصفه، وأساليب صناعته للنثر والشعر، فنقل الأخبار بطريقة أرضت القارئ وأعجب بها السامع في شكل جُمَلٍ منسجمة ومتناسقة، يشد بعضها بعضا مع إيجاز في العبارة المثقلة بالسجع والاستعارة[2]، وترصيع منمق في قمة الرونق والجمال، ولهذا احتل يحيى أعلى الرتب، وتدرج في مقامات البلاط، ونال رضا السلاطين والأمراء.

ولم يجر هذا الأسلوب في كامل كتابه، بل يصير إلى تبسيط العرض ويتحرى الدقة، خصوصا في ذكر الوقائع التاريخية المتصلة بفترة ما قبل عهد أبي حمو الثاني[3]، ومما لا شك فيه أن نثر يحيى بن خلدون كان قويا، وأبانت قصائده التي نظمها في مختلف المناسبات عن مواهبه وقدراته[4].

---

[1]: من غير الممكن أن لا يكون يحيى بن خلدون قد اطلع على كتاب" **زهر البستان**" لمؤلف مجهول سبقه في خدمة بلاط أبي حمو، وابن الأصفر صاحب كتاب " **تاريخ تلمسان**"، ولكنه لم يذكرهما في معرض تأريخه لأبي حمو موسى الثاني على الرغم من أهميتهما لأنهما عاصرا أحداثا من حياة أبي حمو لم يشهدها يحيى بن خلدون، ويبدو أن عدم ذكره لهما راجع عادة مؤرخي عصره في عدم ذكر مواردهم، أو أنه اعتمد على رواية شيوخه وجعلها أصلا في نقله، انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، مقدمة التحقيق، 1/56-57.

[2]: أكثر يحيى بن خلدون في ذكر السجع والاستعارة، واستخدام ألوان البيان والبديع في مدح الشيوخ والعلماء، وخاصة السلطان أبي حمو الثاني، انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/155-156، 160-161-162، 2/7-8-9، 11، 13.

[3]: عند حديث يحيى بن خلدون عن أصل بني عبد الواد فإنه يعرض مادته في أسلوب مبسط وميسر، انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 1/120-121-122، 14-125.

[4]: أكثر يحيى بن خلدون من الاستشهاد بالقصائد الشعرية كما نظم هو أبياتا عن سلطانه أبي حمو الثاني في مناسبات عديدة، انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 2/26-27-28.

2- صاحب البستان يدوّن تاريخا للأسرة الزيانية.

بعد كتاب يحيى ابن خلدون نجد كتابا آخر يمتدح ملوك بني زيان لمؤلف مجهول خدم في بلاط أبي حمو موسى الثاني، وعاش في فترة حكمه (760-791هـ/1358-1388م) والموسوم بـ: "**زهر البستان في دولة بني زيان**"[1]. هذا الكتاب لا نعلم عن مؤلفه شيء، فلا نعرف سنة ولادته، ولا سنة وفاته، أو المدة التي عاشها، والفترة التي عاصر فيها السلطان أبا حمو الثاني كاملة فضلا عما ذكر في الجزء الثاني من أحداث الكتاب، أو الزمن الذي قضاه في تأليف كتابه، وبدايات تدوينه، وهل ألف كتابه بأمر سلطاني قصدا للتمجيد والمفاخرة؛ أم خصص لذكر مآثر الدولة الزيانية حقيقة؟.

وبالرجوع إلى مقدمة التحقيق لا نجد أي تعليق أو إشارة تبين أنه تتبع أخبار المؤلف في مصادر أخرى معاصرة، أو جاءت بعده لمحاولة رصد بعض الإشارات التي نهتدي بها للوصول إلى اسم المؤلف، أو ما يدل عليه. وكل ما نعرفه عن هذا المؤلف هو إشارات ضئيلة، وغير مباشرة مثل ذكر انتسابه للمغرب الأوسط[2]، وسبقه ليحيى بن خلدون (ت 780هـ/1378م) في خدمة السلطان أبي حمو موسى الثاني[3]، دون أن نعلم إن كان قد شغل وظيفة في بلاطه، والظاهر أنه كان متواجد بمدينة تلمسان سنة (761هـ/1361م) زمن استيلاء المرينيين عليها[4]، غير أن روايته للأخبار من موقع الشاهد، والمؤيد لتوجهات السلطة تُظهر أنه كان قريبا من دواليبها، ومطلع على الوثائق السلطانية، دون أن يرتقي حسب ما نقل من أخبار إلى مكانة يحيى بن خلدون العلمية والسياسية.

---

[1]: الكتاب مطبوع بتحقيق بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

[2]: مؤلف مجهول، **زهر البستان في دولة بني زيان**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، دار المعرفة، الجزائر، 2011م، ص41.

[3]: ما يؤكد سبق تواجد صاحب كتاب " البستان" في البلاط الزياني قبل التحاق يحيى بن خلدون بالخدمة فيه هو ذكره لخبر وصول الأمير أبي عبد الله الحفصي إلى تلمسان لطلب العون والمدد من السلطان أبي حمو ليقدر على مواجهة ابن عمه صاحب قسنطينة أبو إسحاق الحفصي، وقد كان حاجب الأمير يحيى بن خلدون مرافقا له في هذه الرحلة، وكانت قد سبقتها رحلة أولى كلف فيها يحيى من طرف السلطان بسفارة إلى أبي حمو لنفس الغرض سنة 764هـ/)، لكن يبدو أن المهمتين فشلتا بسبب الصلح الذي بقي قائما بين أبي حمو وأبي إسحاق الحفصي انظر: يحيى بن خلدون، مصدر سابق، 88/2- 89، مجهول، **زهر البستان**، ص373 إلى 379.

[4]: نفسه، ص106.

إن كتاب " زهر البستان " يتكون في جملته من ثلاثة أسفار وصل إلينا السفر الثاني منه فقط[1]، وعُدَّ السِفران الأول والثالث مفقودان، وقد أشار المؤلف إلى السفرين في مقدمة وخاتمة السفر الثاني[2]. هذا الجزء الواصل إلينا أرخ فيه صاحبه لفترة هامة من عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني في بداية حكمه مابين (760- 764هـ/1353-1362م) في شكل أخبار ونصوص صبغت بصبغة أدبية، وركز فيها على ذكر تفاصيل الوقائع والأحداث، وبهذا يكون قد حفظ لنا معلومات تاريخية قيمة منها ما تفرد فيها عن غيره من مؤرخي الفترة[3]. ابتدأ صاحب البستان سفره الثاني بذكر استعادة الدولة الزيانية لمجالاتها بعد انحصارها في الجهة الشرقية[4]، ثم انتقل إلى الحديث عن أخبار الدولة الزيانية، وبعض الدول التي عاصرتها في المغرب والأندلس؛ وأخبار بعض القبائل ومجريات الاحتفالات في بلاط أبي حمو الثاني؛ والصراع الزياني المريني، وقد جاء ذلك كله في خمس وعشرين مبحثا.

بدأ صاحب البستان مباحث كتابه بكلمة " ذكر"[5] ثم يسوق الخبر الذي يراه مهما في الغالب بعبارة " اعلم أنه (...)"[6] ويخصص كلمة " المولى "[7] للسلطان أبي حمو موسى الثاني، والكثير من عبارات المديح " مولانا الخليفة الإمام المهاب، المنصور

---

[1]: توجد نسخة أصلية من هذا المخطوط بمكتبة رايلاندس بمانشستر بالمملكة المتحدة البريطانية THE JOHN RYLANDS UNIVERSITY LIBRARY OF MANCHESTER (القسم العربي) تحت رقم (283) وهي نسخة نادرة.

[2]: انظر: مجهول، **زهر البستان**، مصدر سابق، ص13، 15، 22.

[3]: هناك أخبار تفرد فيها صاحب البستان عن غيره من مؤرخي الأسرة الزيانية مثل القصيدة التي نظمها أبو حمو في فراق أحبته وأهله؛ وأرسلها إلى والده أبا يعقوب بفاس، نفسه، ص33.

[4]: مؤلف مجهول، **زهر البستان**، ص12.

[5]: بدأ مباحث الكتاب كلها بكلمة "ذكر" ثم يسوق الأخبار وهي طريقة الرواة الذين تنقلون دون أن يمحصوا أن ينقدوا.

[6]: يكرر هذه العبارة عند بداية كل خبر يذكره وقد يكون هذا تأكيد منه على صحة الخبر وكونه معاصرا له، نفسه، ص13،

[7]: كلمة (المولى) ويقصد بها المالك والسيد، أو كل من ولي أمرا وقام به، انظر: ابراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، القاهرة، 1058/2.

الضرغام، إمام دهرنا ووحيد عصرنا (...)"[1] وهو لا يتردد في وصفه بكل أوصاف الرفعة كلما أتى على ذكره إلى درجة نقل قصة منجّم يتنبأ له فيها بالملك[2].

وقام صاحب البستان بتتبع أخبار أبي حمو الثاني؛ وكان حريصا على ذكر كل الأماكن التي حل بها؛ أو ارتحل إليها بتفصيل ينبئ عن دراية بجغرافية المكان؛ والقرب من الأحداث[3] خصوصا في تصوير حركته ضد بني مرين في المغرب الأوسط لاسترجاع عاصمته تلمسان[4]، وكان الصدام بين بني عبد الواد، وبني مرين هو هو طبيعة الأخبار الواردة في كتاب البستان في الغالب الأعم مع التعرض لأخبار أخرى أحيانا لها علاقة بالصراع كخبر قبيلة رياح وسويد[5]؛ أو ذكر وزراء؛ وأمراء؛ ومدن في المغرب الأوسط، أو الحديث عن الصحراء التي كانت ملتجأ أبي حمو عند العرب البدو ليحتمي بهم عن بني مرين[6]، وأخبار أخرى تتمثل في قصائد كثيرة كانت كانت تلقى في حضرة السلطان أبي حمو موسى إحياء لذكرى المولد النبوي

---

[1]: ترددت عبارات المدح والثناء والدعاء والتأييد للسلطان أبي حمو كثيرا في كتاب البستان، (المنصور الأوحد)، (جمع دهاء الملوك الأوائل)، (منقذ بني زيان)، (البطل الشديد)،وغيرها، انظر: مجهول، **زهر البستان**، مصدر سابق، ص16، 34، 37-38، 40، 81، 201، 223، 313.

[2]: يسوق صاحب البستان قصة المنجم الذي لقي أبا حمو الثاني ووصفه بأنه ملكا رئيسا، وأنه الملك الذي سيسمو المغرب به، ويسود أيضا بنو زيان بولده، نفسه، ص16.

[3]: تتبع صاحب البستان أخبار أبي حمو الثاني ابتداء من توجهه إلى تونس بعد هزيمة عمه أبو ثابت بالجزائر؛ ومحاولته افتداء عمد بادعائه أنه هو السلطان، وفي تونس يذكر كيف تنقل بين مدنها، والتحق بالعرب البدو جنوبا ثم اتجه إلى ميلة وغيرها من الجهات وهو في طريقه إلى عاصمته تلمسان بعد تراجع المرينيين، انظر: مجهول، **زهر البستان**، صص24-25.

[4]: هنا نجد أن صاحب البستان يشيد بنظم أبي حمو لقصيدته الشهيرة (جرت أدمعي) والطويلة المكونة من (102) بيت، أثبتها له (مع ورود أخطاء كثيرة فيها) ليتوافق النثر مع الشعر في وصف حركة أبي حمو إلى تلمسان لاسترجاعها من ولد السلطان أبي عنان المريني، نفسه، ص40 إلى 57.

[5]: نفسه، صص24-25.

[6]: لجأ أبو حمو إلى الصحراء مرتين بعدما أخلى عاصمته تلمسان خشية مواجهة الحملات المرينية، نفسه، ص85، 143.

الشريف[1] وتخليد بعض فتوحه التي ذكرها مفصلة تظهر أنه كان على دراية بتحركات السلطان خصوصا ضد المرينيين[2].

إن أهم المحطات التي سجلها صاحب البستان في حركة أبي حمو العسكرية تنطلق من تونس باتجاه بلاد قبيلة رياح بين القيروان وبلاد الزاب، ثم ارتحاله إلى تبسة، وزحفه باتجاه ميلة، وهناك راسله بنو عامر لقتال بني مرين، ثم قصد قسنطينة منطلقا من بريكا؛ وهكذا حتى بلغ تلمسان، ووصلته بيعة أهل وجدة، وندرومة، وهنين، ومستغانم ومن أهل البطحاء، وأهل هوارة[3].

ولم تدم إقامة أبي حمو الثاني بعاصمته طويلا فقد أخرجه بنو مرين إلى الصحراء ودخلوا تلمسان[4]؛ ثم خرجوا منها بعد أن جعلوا عليها المنصور بن سليمان أميرا، وطالبوه بعقد صلح مع أبي حمو موسى الذي عاد إلى عاصمته من جديد بعد غياب قدّر بإحدى وعشرين يوما[5].

واستمرت المواجهة بين أبي حمو؛ وبني مرين في الجهة الشرقية لعاصمته، فاستطاع أخذ المدية التي دخل أهلها في طاعته بعد أن أمنهم[6]، وراسله أهل مليانة ليدخلوا في خدمته فضمها إلى ملكه[7]، أما مدينة الجزائر فقد استعصت على بني عبد الواد في الحصار الأول والثاني بسبب نجدة المرينيين لأهلها من البحر، وكذا حملة أبي سالم المريني على تلمسان، وإخراج أبي حمو منها إلى الصحراء للمرة الثانية[8]، لكنه ما لبث أن استعاد تلمسان مرة أخرى، وتمكن من جبل الونشريس، ثم قصد

[1]: أورد صاحب البستان قصائد عديدة لفقهاء وطلاب وللسلطان أبي حمو نفسه احتفالا بالمولد النبوي الشريف، وتصوير لقائه بوالده ومدح بعض فتوحه، نفسه، ص33، 47، 50، 53، 63، 66، 91، 100، 115، 122، 123، 148، 207، 225، 235.

[2]: مؤلف مجهول، **زهر البستان**، 181.

[3]: نفسه، ص12، 24، 77.

[4]: نفسه، ص78.

[5]: نفسه، ص85.

[6]: نفسه، ص119.

[7]: نفسه، ص11"،

[8]: نفسه، ص122، 139، 156.

الجزائر لحصارها، لكنه فك الحصار بعد غدر قبيلة مغراوة به وتحصنهم بتنس، فقصدهم وأخذها سنة (762هـ/1360م) ففرت مغراوة إلى مدينة برشك[1].

وعاد أبو حمو إلى تلمسان مرة أخرى، وقد تحقق له فتح تنس وهزيمة مغراوة، وهزيمة أبي زيان فصالح بني مرين، وفتح وهران عنوة ثم أخذ الجزائر صلحا، ودخل أهل تدلس في خدمته سنة (763هـ/1361م)[2]، وفي آخر الكتاب يخصص صاحب البستان فصلا للحديث عن وفاة أبي يعقوب والد السلطان أبي حمو، ويختم سفره الثاني بذكر وصول الأمير أبي عبد الله الحفصي صاحب بجاية مع حاجبه يحيى بن خلدون يطلب النصرة من السلطان أبي حمو الثاني[3].

ما يلاحظ على طبيعة رواية صاحب البستان للأحداث هو أنه لا يعدو أن يكون جامعا فقط؛ دون أن نجد له رأيا ينقد فيه خبرا، أو يناقشه، أو يقارنه بغيره، ويبدو أن السبب في ذلك هو اعتماده على أرائه الشخصية من موقع الشاهد لكن حين يورد عبارة (قال الراوي)[4] في مواضع من كتابه يتأكد أنه اعتمد على روايات شفوية؛ ولم تكن المشاهدة مصدره الوحيد؛ وقد يكون أغفل ذكر مصادره منتهجا عادة مؤرخي عصره، كما لم يهتم كثيرا بالتواريخ؛ والتتبع الزمني للوقائع كما فعل مع ذكر الأماكن؛ لأن الفترة التي عالجها الجزء الثاني من الكتاب لا تتجاوز خمس سنوات؛ ومن الممكن أن لا يجري هذا الحكم على السفرين الضائعين.

وبصرف النظر عن هذين الجزأين الضائعين نجد أن صاحب البستان قصد التأريخ للسلطة الزيانية خصوصا عهد السلطان أبي حمو الثاني، ونشاطه العسكري بأسلوب سجعي، وذلك باختيار الألفاظ وصناعة العبارات المنمقة لتصوير المشاهد وفق ما يتعايش وهوى السلطان لينال رضاه؛ ويفيد من عطائه ومنحه، وهذا ما جعله يغفل

---

[1]: رجع أبو حمو إلى عاصمته تلمسان بعد إخراجه منها للمرة الثانية وكان غيابه عنها ثلاثين يوما، مجهول، **زهر البستان** ، ص148، 154، 157.

[2]: نفسه، ص158، 200، 214، 308.

[3]: نفسه، ص333، 373.

[4]: ذكرها في موضوعين من كتابه دون أن يذكر اسم الراوي الذي اعتمد على روايته، أو أقواله الشفوية: نفسه، ص15، 146.

الجوانب الاجتماعية؛ والاقتصادية؛ والثقافية؛ وإن كانت القصائد الشعرية قد أشارت من غير قصد إلى بعض فقهاء وعلماء تلمسان[1].

وعلى الرغم من هذا إلا أن كتاب " البستان " يبقى من المصادر الأولى التي أرخت للسلطة الزيانية، واختص كاتبه بفترة أبي حمو الثاني؛ ومن هذا يكتسب أهميته وحضوره في الكتابة السلطانية للأسرة الزيانية. هذه الكتابة التي لم ترق إلى مستوى وكم ما خصص للمرينيين والحفصيين؛ ولا نكاد نجد إضافة إلى ما سبق دراسته من الكتابة السلالاتية حول الزيانيين سوى ما تركه لنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت 899هـ/1493م)، وإن كان هذا المؤرخ لا يدخل ضمن المجال الزمني المحدد والمقيدة لموضوع الدراسة إلا أننا ذكرناه من باب استكمال نماذج الكتابة التاريخية للأسرة الزيانية.

3- كتابات ما بعد القرن (08هـ/14م) حول الأسرة الزيانية: أبو عبد الله التنسي؛ ومساهمته في تدوين تاريخ السلالة الزيانية.

يوصف التنسي بالإمام الفقيه؛ والأديب المطلع[2]، والعالم الحافظ[3] المتفنن المؤرخ المغربي المالكي[4]. نشأ بتلمسان وقرأ على علمائها منهم العالم الأصولي المفسر محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني (ت842هـ/1438م)[5]، والإمام أبو الفضل الشهير بابن الإمام (ت845هـ/1441م)

---

[1]: مجهول، **زهر البستان**، مصدر سابق، ص40، 44، 57.

[2]: وصفه أحمد بابا بهذا الوصف؛ ولم يصف أصحاب التراجم بهذه الصفة إلا نادرا، وهذا يدل على تأثير كتابه " **نظم الدّر والعقيان في شرف بني زيان**" وغيره من مؤلفات التنسي في الناس؛ انظر: التنبكتي، مصدر سابق، ص353.

[3]: المعنى اللغوي للكلمة: حَفِظ الشيءَ حِفْظاً ورجل حافظ من قوم حُفّاظ، وقوم حُفّاظٌ وهم الذين رُزِقوا حِفْظَ ما سَمِعوا وقلما يَنْسَوْنَ شيئاً يَعُونَه و الحافِظُ و الحَفِيظُ الموكَّل بالشيء يَحْفَظه، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، "مادة حفظ"، ط1، دار صادر، بيروت، د ت،440/7.

[4]: لتتبع ترجمة التنسي انظر: محمد بن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، منشورات السهل، دعم وزارة الثقافة الجزائر، صص 268-269، السخاوي، **الضور اللامع**، 120/8، عبد الله المرابط الترغي، **فهارس علماء المغرب**، ص625، المقري، **نفح الطيب**، 574/2، التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص273، محمد بن مخلوف، **شجرة النور الزكية**، 267/1، الزركلي، **الأعلام**، 238/6.

[5]: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص161.

أحد أقران الإمام ابن مرزوق الحفيد تاج العارفين وصدر البلغاء[1]، والفقيه الأصولي محمد بن أحمد بن النجار التلمساني (ت846هـ/1446م)[2]، الذي برع في العلوم العقلية والنقلية، والشيخ الإمام أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني (ت854هـ/1450م)[3]، والإمام العلامة الناظم البليغ إبراهيم بن محمد بن علي التازي نزيل وهران (ت866هـ/1461م)[4]، والإمام الحافظ محمد بن العباس التلمساني (ت871هـ/1450م) أحد كبار علماء تلمسان[5]، وتخرج من مجالسه الكثير من طلبة العلم في التفسير والحديث والعربية نذكر منهم ابن صعد الأندلسي (ت901هـ/1495م)[6]، والخطيب ابن مرزوق حفيد الحفيد (ت918هـ/1512م)[7]، وبلقاسم بن محمد الزواوي (ت922هـ/1516م)[8] أحد علماء المالكية في وقته، وأبو وأبو جعفر البلوي الأندلسي (ت938هـ/1532م)[9]، وكان والده أحد رواة الحديث.

وللتنسي مؤلفات عديدة أغلبها مفقود منها كتاب **"فهرسة بأسماء شيوخه"**[10] في التراجم، و" **تعليق على فرعي ابن الحاجب"**[11] كتاب في الفقه وأصوله، و" **جواب مطول عن مسأله يهود توات"**[12] في الفتاوى، وكتاب في الأدب " **راح الأرواح فيما قاله أبو حمو، وقيل فيه من الأمداح؛ وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح"**[13]، وهذه المصادر كلها مفقود، أما الكتب الباقية نجد كتاب " **الكراز في شرح الخراز"**[14] في

---

[1]: ابن مريم، مصدر سابق، صص220-221.

[2]: نفسه، ص221-222.

[3]: التنبكتي، مصدر سابق، صص365-366.

[4]: الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، 7/2.

[5]: نفسه، صص223-224.

[6]: ابن مريم، مصدر سابق، صص151-152.

[7]: نفسه، ص249.

[8]: عادل نويهض، مرجع سابق، ص161.

[9]: محمد مخلوف، مصدر سابق، 273/1.

[10]: انظر: الزركلي، مرجع سابق، 238/6.

[11]: ابن مريم، مصدر سابق، ص249.

[12]: نفسه، ص249.

[13]: المقري، **نفح الطيب**، 513/6.

[14]: الكتاب مطبوع بتحقيق أحمد بن أحمد شرشال، معهد الملك فهد، المدينة المنورة، 2000م.

القراءات، وكتاب " **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان؛ ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان**"[1]؛ وهو محل الدراسة غير أننا سنكتفي هنا بتقديم نظرة نظرة عامه له، دون التفصيل في تتبع محطات الكتاب.

ألف التنسي كتابه ما بين (868-871هـ/1463-1466م)، وهي مرحلة حكم سلطانه أبو ثابت محمد المتوكل الزياني (866-873هـ/1461-1468م) الذي خصه به، وذكر فيه محاسنه ومآثره نظير حبه للعلم وتقريبه للعلماء، ودخل في خدمته فنال من كرمه الكثير، وقال: " ولما كنت من جملة من غمرته آلاؤه (...)، نهضت في خدمته بقدر طاقتي (...)، جاهدا في مرضاته خاطري ولساني، على أني لو استعرت الدهر لسانا، واتخذت الريح ترجمانا، لأشيع إنعامه حق الإشاعة، لقصرت به عن إدراك عشر عشره الاستطاعة، فعزمت جعل الله الملك فيه وفي عقبه أبديا على الجمع له تصنيفا يكون ملوكيا أدبيا، يشتمل على التعريف بنسبه وسلفه الكريم، وبيان شرفه في الحديث والقديم، متبعا بجملة صالحة من مناقب الملوك ومآثرها"[2]، وقسم التنسي كتابه إلى خمسة أقسام، وتحت كل قسم عدة أبواب[3]، وكان حظ الجانب

---

[1]: حقق محمود بوعياد القسم الذي تناول تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، وطبع بالمؤسسة الوطنية للكتاب؛ والمكتبة الوطنية الجزائرية، 1985م، كما حقق عبد الحميد حاجيات جزء آخر من الكتاب أرخ للأدارسة، وطبع بالمؤسسة الوطنية للكتاب أيضا بالجزائر، 1984م، أما الجانب الأدبي من المخطوط فقد حققه محي الدين بوطالب، وطبع بمطبعة دحلب، الجزائر، وهناك دراسات حول الكتاب منها: بوعنيني سهام، **أبو عبد الله التنسي وكتابه نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009م، ودراسة أخرى باللغة الأجنبية: Cherbonneau.A : «Lettre a M. Defrémery Sur Mohamed Et Tanaci et son histoir des beni Ziyan » Journal Asiatique , 4^{0}, sére T XVIII,(nov-dec, 1851), p.585-591.

[2]: أبو عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق، محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب؛ والمكتبة الوطنية الجزائرية، 1985م، ص108.

[3]: تفرع القسم الأول إلى سبعة أبواب، تحدث فيها عن نسب سلطانه المتوكل، وفضل العرب، وبيان شرف قريش وبني هاشم وعلي وبنيه والأدارسة، أما القسم الثاني فكان بعنوان: فيما يختص بالملك من الخصال؛ وما يتعلق به من حسن السيرة وجميل الخلال، وفيه بابين حول السياسة، وخصال كمال الملك، ثم يأتي القسم الثالث ضمنه ملح ونوادر مستظرفة عن أجناس مختلفة، وقسمه إلى ستة عشر بابا، ذكر فيها محاسن الشعراء؛ وأخبار الفقهاء، والكهانة والنساء والصبيان وغيرها، ثم القسم الرابع جعله في محاسن الكلام المستعمل في النثر؛ والنظم، وفيه ثمانية أبواب تحدث فيها عن طرف المحبين؛ ونوادر الأعراب، وفضل الشعراء وغيرها، والقسم الخامس والأخير خصه لذكر المواعظ والحكم الواردة من مختلف الأمم ويحوي أربعة أبواب في الحكم والمواعظ النبوية.

التاريخي من كامل المؤلف القسم الأول الذي عنونه بـ:" التعريف بنسبه؛ وذكر سلفه؛ وبيان شرفه في الحديث والقديم"، ويحوي تحته سبعة أبواب تناول في الباب الأخير منه تاريخ الدولة الزيانية، بعنوان" بيان شرف بني زيان؛ وتتبع ملوكهم إلى دولة مولانا فخر الزمان " وهو أطول باب في الكتاب.

واعتمد التنسي على مصادر متنوعة ذكر بعضها، وأعرض عن ذكر أخرى، ومن المصادر التي رجع إليها كتاب **" الكامل"** للمبرد"، و**" السيرة النبوية"** لابن إسحاق[1] حاول من خلاله رفع نسب السلطان أبي ثابت إلى آل البيت، وكتاب **" بغية الرواد"**[2] (780هـ/1378م) ليحيى بن خلدون، والذي اعتمده في الباب الأول من القسم الأول الذي تناول فيه نسب السلطان أبي ثابت الزياني، ولجأ إليه بشكل أكبر في الباب السابع الخاص بتاريخ بني زيان، خصوصا في تتبع سيرة السلطان أبي حمو الثاني، كما أنه نقل عنه حرفيا في موضعين[3]؛ غير أنه أضاف على أخبار يحيى بن خلدون وحقق فيها، فنجده يرد روايته حول وفاة السلطان أبي زيان أثناء حصار يوسف بن يعقوب المريني لتلمسان سنة (698هـ/1299م)، بترجيح رواية صاحب**" درر الغرر"**[4] لأنه حضر الحصار الذي دام سبع سنوات؛ وكان شاهد عيان، وقد ذهب إلى أن موت السلطان يوسف بن يعقوب كان أيام السلطان أبي زيان، وليس أيام السلطان أبي حمو الثاني حسب رأي يحيى، ونجد التنسي ينقل أيضا عن**" الروض الآنف في شرح غريب المسير"** لأبي القاسم السهيلي (581هـ/1185م)[5]، في الجزء الخاص بالأدارسة، وابن بسام (ت542هـ/1147م)[6] في كتابه**"الذخيرة في محاسن أهل**

---

[1]: التنسي، مصدر سابق، تحقيق محمود بوعياد، ص49

[2]: نقل عنه خبر حروب يغمراسن بن زيان مع زناتة والعرب وقال:" **...فذكر صاحب بغية الرواد"**، تحقيق محمود بوعياد، ص 110، 128، 135، وبتحقيق عبد الحميد حاجيات، ص36، 42.

[3]: تتماثل العبارات في **" نظم الدر"** و**" بغية الرواد"** في الحديث عن **"المنجانة"** التي كانت لملوك بني عبد الواد في قصر **"المشور"**، وكذا ظروف استيلاء بني عبد الواد على الحكم بتلمسان.

[4]: تفرد التنسي بذكر هذا المصدر، ولم يذكره غيره من المؤرخين المعاصرين له، ونقل عنه خبر حصار المرينيين لتلمسان فقال:" **...فقال صاحب درر الغرر"**، تحقيق محود بوعياد، ص132، 135.

[5]: التنسي، مصدر سابق، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ص137.

[6]: نفسه، ص55.

الجزيرة"، و أبي عبيد الله البكري (ت487هـ/1094م)[1] صاحب كتاب "**المسالك والممالك**"[2]، وكتاب " **العبر**" لعبد الرحمن بن خلدون[3]، ومن المصادر التي اعتمدها ولم يذكر مؤلفيها " **درر الغرر**"[4] الذي سبق ذكره، و" **زهر البستان**"[5] ذكره في معرض معرض الإحالة إليه لمن يطلب التوسع في معرفة أخبار أبي حمو الثاني، وكتاب " **ترجمان العبر**"[6].

وبخصوص مصادره في فترة ما بعد أبي حمو الثاني أين كان معاصرا للأحداث فلا نجده يلمح أو يصرح بروافده سوى السماع وبعض النقول الشفوية[7]، كحديثه عن السلطان أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو(814-827هـ/1411-1428م) لما هزم المرينيين، وفرض عليهم تنصيب محمد بن أبي طريق بن أبي عنان سلطانا عليهم فقال:" حدثني بعض من حضر وقت التسليم أن السلطان (...)"[8]، وواضح أنه أعطى لمشاهداته الشخصية أولوية في تسجيل الأحداث مع بعض الإشارات العامة لأقوال شهود عايشوا الأحداث عن كثب، فنقلها عنهم مباشرة بعد وقوعها، ولا نعرف أيضا

---

[1]: التنسي، مصدر سابق، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ص55.

[2]: ذكر التنسي في الفصل الثاني من الباب السادس فقرة تشير إلى استعماله هذه المصادر، في" ذكر الأدارسة وإخوتهم السليمانيين" فقال:" (...) كان بالأندلس من عقب الأدارسة أخوان جليلان وهما علي والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس. هكذا ذكر نسبه صاحب "**ترجمان العبر**"، وأما صاحب " **درر الغرر**" فنقل (...) عن البكري أنه (...)، وقال صاحب "**الذخيرة**" (...) نفسه، تحقيق محمود بوعياد، ص49.

[3]: يذكر عبد الحميد حاجيات في تحقيقه لكتاب "**نظم الدر**"، ص23، أن التنسي اعتمد على تاريخ ابن خلدون في الحديث عن تاريخ الأدارسة، بينما يذهب محمود بوعياد إلى القول بخلاف ذلك؛ وهو أنه لم يعتمده لأنه لم يذكره في كامل الكتاب، ويرجح عدم النقل عليه فعبد الرحمن بن خلدون مع أنه توفي قبل وفاة التنسي بإحدى وتسعين عاما لم يعرف كتاب العبر وإلا لكان نقل عنه تاريخ بني عبد الواد، نفسه، تحقيق، محمود بوعياد، ص49.

[4]: نفسه، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ص55، وبتحقيق محمود بوعياد، ص132.

[5]: نفسه، تحقيق محمود بوعياد، ص178.

[6]: التنسي، مصدر سابق، تحقيق عبد الحميد حاجيات ص55، 67، وبتحقيق محمود بوعياد، ص110.

[7]: وردت عند التنسي مصادر شفوية بصيغ متعددة (فيقال إن...)، (ويقال إنها...)، (وذكر بعضهم...)، (ذكر جماعة من المؤرخين...)، (فحدثني بعض من حضضر وقت التسليم...)، نفسه، تحقيق محمود بوعياد، صص132، 134، 240-241، 256.

[8]: التنسي، مصدر سابق، تحقيق محمود بوعياد، صص49- 50.

إن كان ضمن مصادره مكاتبات ووثائق الديوان الرسمية أم لا، لأننا لا نجد لها ذكرا أو أثرا في مؤلفه[1].

إن جملة المصادر التي صرح بها التنسي واعتمد عليها تبدو قليلة في الغالب بسبب لجوئه إلى شهادته في ذكر أكثر أحداث مؤلفه. هذه الأحداث التي رتبها التنسي وفق منهج التأريخ بالموضوعات فذكر السلاطين تباعا بتناول فترة حكم كل واحد منهم وأهم منجزاته، أتبعها بأحداث أخرى راعى فيها عامل الزمن[2]، وعلى عادة مؤرخي البلاط لا يفوت التنسي تطعيم نصوصه النثرية بقصائد شعرية نظمها بعض سلاطين بني عبد الواد، والشعراء الذين يدينون لهم بالولاء، وهم يرجون منهم المنح والعطاء[3]. وبما أن الكتابة السلطانية يسترعي فيها المؤلف شد انتباه السلطان لنيل رضاه نجد أن التنسي قد حرص في كتابه على استخدام الأساليب الأدبية؛ وألوانا من البيان والبديع ليحقق الغرض من تأليف كتابه، ويحوز عفو السلطان ورعايته[4].

ومع ذلك يبقى كتاب " **نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان**" يكتسي أهميته بكونه المصدر الأوحد الذي استكمل تاريخ الدولة الزيانية؛ وتفرد بالتأريخ لسبعين عاما من عمرها بعد توقف أخبارها في السفر الثاني من " **زهر البستان**" سنة (764هـ/1363م)، وعند يحيى بن خلدون في " **بغية الرواد**" سنة (777هـ/1375م)، وعند أخيه عبد الرحمن في تاريخه " **العبر**" سنة (796هـ/1493م) ليتم التنسي بعدها أخبار الدولة الزيانية إلى غاية سنة (868هـ/1463م)[5].

وهكذا يختم التنسي بقطعته الأدبية " **نظم الدُّر**" مرحلة تواصل؛ وتسلسل أحداث دولة بني عبد الواد كمصدر أساسي، وشاهد على فترة من فتراتها الهامة، لتحل محله فترة فراغ ساد فيها الغموض، وتناقض ما وجد من أخبار، وروايات نتيجة

---

[1]: التنسي، مصدر سابق، ص50.

[2]: نفسه، ص 128، 131، 134، 138، 150، 154، 160، 210.

[3]: نفسه، 236، 240.

[4]: نفسه، ص111، 115.

[5]: نفسه، صص53-54.

ندرة المصادر التاريخية التي اختصت بالتأريخ للدولة الزيانية بشكل مباشر خصوصا في أيامها الأخيرة[1].

وما يسترعي الانتباه في كتاب **"نظم الدُّر"** هو أنه غطى تارخ الدولة الزيانية ككل إلى عصره منذ بداية التأسيس على يد يغمراسن بن زيان (633هـ/1236م) إلى عهد السلطان المتوكل (868هـ/)، وشكّل القسم الخاص بالفترة التي عاصرها من حياة الدولة أكثر فصول الكتاب أهمية من حيث التركيب، والمضمون. فالتنسي اقتضب أخبار هذا الفصل، وطعم نثره بالاستشهاد بالقصائد الشعرية[2] مع استخدام للسجع بين الحين والأخر[3] دون أن يسترسل في الحديث، ويروي أساطير، وخرافات، وكرامات انشرت في وقته، كما أنه تفرد بإيراد أخبار لم يذكرها غيره منها تسجيله للمظاهر الحضارية في عهد أبو تاشفين الأول الذي بنى المدرسة الأنيقية، والصهريج الكبير، وجمع تحفا نادرة في قصره[4]، ويحفظ لنا التنسي كذلك قصيدة لشاعر يغمراسن بن زيان المجهول الهوية يخلد فيها ذكرى انتصاره على الخليفة الموحدي السعيد[5].

وبالنظر إلى الهدف من تأليف كتاب **"نظم الدُّر"**، ومقاربات المنهج والأسلوب في رسم المضمون نجد أن التنسي لا يختلف عن غيره من مؤرخي البلاط في التحيز للسلطة، وانتخاب ألفاظ التقدير والمديح والثناء على حكامها، ورجالها، وفقهائها، وشيوخها، وكان مما تردد في مؤلفه قوله:" الملك الهمام الأسد الضرغام[6]، ...الملك

---

[1]: نجد بعض المصادر بعد التنسي وردت فيها بعض أخبار الدولة الزيانية متناثرة في القرن التاسع الهجري، مثل: أحمد بن المقري، **نفح الطيب**، تحقيق، إحسان عباس، ط (جديدة) دار صادر، بيروت، 1997، 384/4، 531، 544، 103/5. وابن مريم " **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**"، وأحمد بابا التنبكتي " **نيل الابتهاج**، 145/1-146، 382.

[2]: كثيرة هي الأبيات الشعرية التي ذكرها التنسي في كتابه (773بيت) لسلاطين وشعراء بلاط، في المدح، والرثاء ومباشرة الحروب وغيرها، انظر: التنسي، مصدر سابق، تحقيق محمود بوعياد، ص156-157، 160-161، 164، 168-169، 178، 181، 183، 210، 212، 220.

[3]: انظر التنسي، مصدر سابق، تحقيق محمود بوعياد، ص111، 115، 129، 140، 141، 203.

[4]: التنسي، مصدر سابق، ص57-58.

[5]: وكان مطلع القصيدة: **بشرى بعاجل فتح أوجب العرسا** ** **وأسفر الدهر عنه بعد ما عبسا**، نفسه، ص119-122.

[6]: بجل هنا السلطان أبو يحيى يغمراسن بن زيان، نفسه، تحقيق محمود بوعياد، ص111.

الأسعد الهمام الأنجد[1]...الملك الجليل الحسيب الأصل الأمجد[2]...الملك الأمجد ذو الغرة الميمونة والجبين الأسعد[3]...الفقيهان العالمان الجليلان[4]،...الملك الأرفع ذو الجناب الأمنع[5]...الفقيه العالم المتفنن[6]...الملك الكامل الأسد الباسل[7]...كهل الشهامة وفتاها[8]...الحسام الهمام...)[9] وغيرها من الألفاظ التي أغرقت في التبجيل والمدح.

ولهذا لا بد من الأخذ بواجب التحفظ من أخبار التنسي؛ وكتابته الموجهة لصالح السلطة بإعمال النقد، والقراءة الفاحصة في جملة ما روى من أحداث، وفي المقابل يتحتم على كل باحث في تاريخ الدولة الزيانية أن يلجأ إلى كتاب " **نظم الدُّر**" نظرا لما يحوزه من أهمية في التأريخ لهذه الدولة، وتفرده بتغطية أخبارها في فترة من فتراتها الهامة. فهو في النهاية مصدر رئيس، وعمدة كتب التاريخ الأسري التي حفظت صورة أسرة بني عبد الواد التي حكمت تلمسان وأجزاء من المغرب الأوسط.

المبحث الثالث: الكتابة التاريخية السلالاتية للأسرة الحفصية:

ارتبطت السلالة الحفصية بالموحدين منذ أيام المهدي بن تومرت، وكان أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي من أقدم أصحابه المهدي وأهل ثقته، وضمن مجلس العشرة المقربين، وبعد وفاة الإمام كان لأبي حفص دور فعّال في تعيين خليفته عبد المؤمن بن علي على المصامدة، فنال بذلك مكانة رفيعة مع أسرته في بلاط الخليفة الجديد، وعُهِدَت إليه أعز المهمات، كالاستشارة، واستقبال السفراء، والنيابة عن الخليفة في مراكش ، ولُقِّبَ " بالشيخ"، و"سيف الله" لمرافقته عبد المؤمن في حملاته

[1]: وهو الأمير أبو سعيد عثمان (703-707هـ/1303-1308م)، نفسه، ص129.

[2]: هذا القول عند تولي السلطان أبي زيان محمد الحكم (707-718هـ/1307-1318م)، نفسه، ص131.

[3]: هذا القول عند تولي أبي حمو الاول الحكم، نفسه، ص132.

[4]: ويقصد بهما أبو زيد وأبو موسى ابنا الإمام نزيل برشك، نفسه، 139.

[5]: هذا الكلام قيل عند تولي عبد الرحمن أبي تاشفين الحكم (718هـ/1318م)، نفسه، ص139-140.

[6]: وهو أبو موسى عمران المشدالي، نفسه، ص141.

[7]: عند تولي أبو تاشفين الثاني الحكم (791-795هـ/1383-1389م)، نفسه، ص184.

[8]: كلام في مدح السلطان أبي ثابت يوسف بن أبي تاشفين، (795هـ/1393م)، نفسه، ص206.

[9]: كلام عن أبي عبد الله بن أبي حمو، نفسه، ص228-235.

العسكرية، ونتج عن ذلك اصطباغ السلالة الحفصية بالصبغة الموحدية المهدوية، واستمر نفوذها في كامل الدولة وأقاليمها إلى وقت انفصالها واستقلالها بحكم إفريقية، ثم ناحيتها الغربية الممثلة في عاصمة الحماديين بجاية فيما بعد[1].

وبالرغم من انفصال إفريقية الحفصية عن الدولة الموحدية إلا أنها استمرت في تمثيل نهجها بولائها الروحي للإرث التومرتي، الذي استمدت منه شرعيتها في الحكم، وحركتها ضد بني عبد الواد في تلمسان، وبني مرين في فاس. وقد شهدت إفريقية خلال هذه المرحلة نهضة ثقافية لم يعرفها المغرب من قبل، وانتشر التعليم في الكتاتيب والزوايا والمدارس، كمدرسة القصبة في البلاط الحفصي، والتي كان يُعنى فيها بتدريس الأمراء ومستخدمي الدولة، إضافة إلى مدرسة التوفيق، والمدرسة العنقية، والمنتصرية، والشماعية، والمرجانية والعصفورية. هذه المدارس استطاعت أن تستقطب الأساتذة من الجالية الأندلسية بفعل سياسة أمراء بني حفص الذين سهلوا انتقالهم وإقامتهم بالمدينة[2].

كما أقيمت المكتبات بهذه المدارس، وتكوّن الطلاب، وتوسعت معارفهم، خصوصا في جامع الزيتونة الذي مثّل منارة علمية رائدة، وهكذا عَمَّت الثقافة في البلاد بواسطة هذه المكتبات، خصوصا مكتبات قصور الأمراء، كمكتبة قصر الإمارة بالقصبة التي جمعت أنفس المجلدات، ومكتبة جامع الزيتونة المسماة بالعبدلية التي اشتملت على أنفس الكتب، وقد بلغ عددها 36 ألف مجلد خلال القرن 8هـ/14م.

وبفضل تنشيط بعض الأمراء للعلم، ونتيجة لما أوقفه أهل البر والإحسان من الأرزاق الجارية، وقع الإقبال على طلب العلم، وازدهرت الثقافة، وانتعش الأدب، ونشطت حركته، وارتقى الطب الذي حمل لواءه خريجو المدرسة العقلية، والمدرسة الأندلسية وازدهر علم الفلك بفضل المهاجرين من بلاد الأندلس[3] ، وكان بلاط أمراء أمراء بني حفص عامرا بالشعراء والأدباء، من خلال المجالس الأدبية والعلمية التي

---

[1]: انظر: روبار برونشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15،** ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1988م، 1/43- 44-45- 46- 47- 48-49-50.

[2]: نفسه، ص1/65.

[3]: نفسه، ص1/67.

كانت تُعقَدُ في كثير من بيوت الأمراء والأعيان الذين عُرِف عن بعضهم تفوقهم العلمي والأدبي كالأمير أبي زكريا الأول (626-647هـ/1229- 1249م) في إطار فني يمثل في بعض مناحيه نسخة من الحضارة الإسلامية الأندلسية[1]، وكانت أغلب المراكز الثقافية في الدولة الحفصية في العاصمتين تونس وبجاية بحكم توافد الجالية الأندلسية عليهما[2]، أما مدينة قسنطينة فقد كانت أقل مرتبة وحضورا، ويبدو أن الحياة الفكرية في الدولة الحفصية قد تأثرت بالحركة الصوفية، غير أن النشاط الثقافي الواسع كان مُركّزًا في المدن الكبرى، ومثلت إفريقية مركز عبور لأهل العدوة الأندلسية إلى المشرق بغرض الحج أو طلب العلم أو التجارة أو الاستقرار، فتأثر المغاربة، وأثر الأندلسيون في مختلف فروع الأدب والفن، وتجلى التأثير المشرقي في التعليم الديني، وجوانب أخرى كالعمارة والفن[3].

وبخصوص حركة التدوين والكتابة عملت السلطة الحفصية في إفريقية على تنشيط حركة التأليف في تونس من خلال توظيف كتاب أندلسيين مهتمين بالتاريخ لخدمة البلاط، كابن النخيل (ت 618هـ/1318م)، وابن الأبار القضاعي (ت 658هـ/1259م)، وابن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م) وغيرهم. لكن الكتابة التاريخية الأسرية التي كتبت عن الحفصيين تعود لفترة متأخرة كثيرا عن بداية دولتهم؛ إذ لم تشهد هذه الكتابة بداية تأسيس الدولة، ومراحل تكوينها حتى بلوغها أوج قوتها[4]. ويمكن أن نعدد ثلاثة مصادر تاريخية محضة ومباشرة تؤرخ للأسرة الحفصية،

---

[1]: تحدث ابن قنفذ عن مجلس علمي سلطاني كان حاضرا فيه، ونقل أهم العلوم التي تم تدارسها. انظر: ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص197.

[2]: بخصوص توافد واستقرار الجالية الأندلسية في بجاية، ودورها في الحركة العلمية والثقافية. انظر:رفيق خليفي، **البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3- 9هـ/إلى نهاية القرن 9-15م**، أطروحة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، (2007-2008م)، ص39-40. آسيا ساحلي، **المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية** خلال القرن 07هـ/13م، مجلة (BIBLID(1133-8571 العدد 21، 2014م، ص 97-116.

[3]: روبار برونشفيك، مرجع سابق، ص317/2.

[4]: علاوة عمارة، مرجع سابق، ص256.

فضلا عن المعلومات المركز والعميقة التي أوردها ابن خلدون في كتابه " العبر"، والتي تُعدُّ مرجع مؤرخي القرن 9هـ/15م عن الدولة الحفصية من المؤرخين المحليين، أو كتاب التاريخ العام.

1- الترجمة الشخصية لرجالات الدولة الحفصية: ابن قنفذ وكتابه الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية.

وصلنا أول كتاب يمثل الكتابة الأسرية عن الحفصيين بعنوان:" **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** "[1] لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي[2] الشهير بابن الخطيب[3] وابن قنفذ[4] القسنطيني الكاتب متعدد الموضوعات (ت 810هـ/1407م) والذي ينتسب إلى أسرة قسنطينية اشتهرت بالعلم وعرفت بالثراء، وكانت على علاقة بالأسرة الحفصية المالكة[5]. والده علي بن حسن بن علي بن حسن بن ميمون بن قنفذ (694 - 750هـ/1294- 1349م)[6] الفقيه والخطيب المالكي صاحب الأثرين " المسائل المسطرة في النوازل الفقهية"، و" المسنون في أحكام الطاعون"، والذي خَلَفَ والده علي بن حسن بن علي بن منقذ (644- 733هـ/1246- 1332م) في الخطابة بمسجد القصبة. وكان جد أبي العباس أحمد هذا (جده لأبيه) قد تولى

---

[1]: نشر الكتاب لأول مرة بباريس سنة 1262هـ/1847م، ثم نشر نبذا منه المستشرق الفرنسي(cherbonneau) ما بين (1264- 1274هـ/ 1848- 1858م)، لتنشره مرة أخرى الدار التونسية للنشر سنة 1968م بتحقيق وتعليق محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي.

[2]: يراجع في ترجمته: ابن مريم، مرجع سابق، ص309 التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص75، **كفاية المحتاج**، تحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤوف الإسلامية، الرباط، 103/1- 104، عبد العزيز فيلالي، **مدينة قسنطينة**، دار الهدي، عين مليلة الجزائر، 2007م، ص142. عادل نويهض، مرجع سابق، ص268- 269.

[3]: اشتهر بالخطيب وأخذ هذه التسمية من والده الحسن بن علي (ت 750هـ/1349م)، كما تولى أجداده أيضا الخطابة بالمجسد باعتبار عائلة ابن قنفذ من العائلات العلمية الشهيرة بقسنطينة، وكان لها نفوذ سياسي واجتماعي مثل عائلة ابن باديس وعائلة الفكون، ابن قنفذ، الفارسية، ص148- 149.

[4]: لقب عائلته التي تنسب إلى قنفذ بن خلاوة بن سبيع بن أشجع بن ريث بن غطفان بطن من العدنانية انظر: أبو العباس أحمد القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1400هـ/1980م، ص402، ابن قنفذ، الفارسية مقدمة التحقيق، ص39-40.

[5]: ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقير**، نشر محمد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، د.ت، ص88.

[6]: ينظر ترجمته عند: ابن قنفذ، **الوفيات**، ص47، 355، و**أنس الفقير**، ص46.

الخطابة لمدة لا تقل عن ستين سنة[1]. واشتهر أيضا جد جده حسن بن علي بن ميمون بن منقذ (ت664هـ/1265م) في الفقه المالكي[2]. أما جد أبي العباس أحمد لأمه فهو يوسف بن يعقوب الملاري (680- 764هـ/1281-1362م) الذي كان خطيبا أيضا، وصاحب الزاوية الملارية بتسدان[3]، ويبدو أن تولي أجداد محمد بن قنفذ لأبيه الخطابة بمسجد القصبة، وتداولهم عليها أبا عن جد كان حقا متوارثا.

بدأ أبو العباس أحمد بن قنفذ تعلمه على يد والده بمدينة قسنطينة، لكنه ما لبث أن توفي وترك ولده صغيرا، فكفله جده لأمه يوسف بن يعقوب الملاري، الذي أشرف على تعليمه مع بعض شيوخ قسنطينة وعلمائها من آل باديس. وبعد بلوغه سن الثمانية عشرة سنة سافر إلى تلمسان، ومنها إلى المغرب الأقصى سنة (759هـ/1357م) بغية مواصلة تعليمه حيث مكث هناك مدة ثمانية عشر عاما[4]، وهي فترة طويلة سمحت له بتحصيل علوم كثيرة عن طريق الاتصال بالعلماء، والتردد على أضرحة الأولياء[5]، فابتدأ بمدينة فاس وجهته الأولى التي نزل بها سنة (759هـ/1357م)، وحضر دروس أبي محمد الهسكوري سنة (770هـ/1368م)، وكذا مجلس الشيخ العبدوسي سنة (776هـ/1374م)[6].

---

[1]: ابن قنفذ، **الوفيات**، ص345، و**أنس الفقير**، ص47- 48.

[2]: ابن قنفذ، **الوفيات**، ص330.

[3]: نسبة إلى ملارة وهي بلدة تبعد عن فرجيوة بولاية ميلة ما يزيد عن عشرين كيلومتر، وما تزال آثار هذه البلدة باقية في حالة متدهورة، وبهذه البلدة بنى الولي يعقوب بن عمران البويوسفي (ت 717هـ/1317م) الزاوية الملارية بعد أن امره شيخه أبو مسعود بن عريف أحد أصحاب القطب أبي مدين شعيب الغوث (ت 595هـ/1198م) لتكون مركزا للإشعاع الصوفي السني على طريقة أبي مدين، وأبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1285م) امتدادا لطريق أبي حامد الغزالي (ت 505هـ/1111م). عبد العزيز فيلالي، **الزاوية الملارية؛ تأثيرها الروحي والديني على الدولة والمجتمع** - دراسات وبحوث مغربية مهداة إلى الدكتور موسى لقبال، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، قسنطينة، 2008م، صص 145- 160.ابن قنفذ، **أنس الفقير**، ص45.

[4]: ابن قنفذ، **أنس الفقير**، ص119.

[5]: التنبكتي، **نيل الابتهاج**، 109- 110، عادل نويهض، مرجع سابق، 268.

[6]: ابن قنفذ، **أنس الفقير**، ص14، 26.

كما زار ابن قنفذ مدينة سلا، والتقى وليها الصالح أبو العباس أحمد بن عاشر عدة مرات، وحضر عنده سنة (763هـ/1361م)[1]، وأكثر من زيارته حتى توفي سنة (765هـ/1363م) ، فأصبح يتردد على قبره[2]. أما دكّالة فقد ولي قضاءها سنة (769هـ/1367م)[3]، والتقى بخيرة علمائها، وصلحائها. كما أنه انتقل إلى مدينة مراكش وزار قبر أبي العباس السبتي[4]. ثم زار مدينة أزمور التي التقى فيها بالشيخ أبي محمد عبد الواحد الصنهاجي، وقصد أيضا مدينة آسفي[5]، وأطراف سكسوية الواقعة في جبال درن[6]، ونهل من العلوم حتى أصبح من كبار علماء المالكية بالمغرب.

وبعد هذه الرحلة الطويلة التي جاب فيها مدن المغرب الأقصى عاد ابن قنفذ إلى قسنطينة سنة (776هـ/1374م)[7] بعد مجاعة حلت، واضطرابات سياسية حصلت بالمغرب الأقصى، فمرّ في طريق عودته بمدينة تلمسان حيث زار ضريح وليها أبي مدين الغوث التلمساني (ت 595هـ/1198م)، ثم واصل رحلته إلى قسنطينة التي استدعي فيها لتولي وظائف للحفصيين كالخطبة بالمسجد الجامع بالقصبة[8]، وخطة القضاء والفتيا في مرحلة حكم السلطان أبي فارس عبد العزيز (796-837هـ/1394-1434م) نظرا للعلاقة الوطيدة التي ربطته وأجداده بهم. وبقي بمدينته سنة واحدة قبل أن يَشُدَّ الرحال مرة أخرى إلى تونس، وتحديدا إلى جامع الزيتونة الذي أجازه فيه الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغي (716- 803هـ/1316-

---

[1]: ابن قنفذ، **أنس الفقير**، ص127-128.

[2]: نفسه، ص9- 10.

[3]: نفسه، ص114.

[4]: نفسه، ص107.

[5]: نفسه، ص102-103-104، 130.

[6]: نفسه، ص42، 63، 71، 86.

[7]: ابن قنفذ، **الفارسية**، ص177.

[8]: نفسه، ص188.

1400م)[1] في " المختصر الكبير" في فروع المذهب المالكي[2]. وكانت وفاة أحمد بن قنفذ سنة (810هـ/1407م)[3].

ألف أحمد بن قنفذ على عادة مؤرخي البلاط كتابه **" الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"** سنة (806هـ/1403م) للسلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز القسنطيني (796-837هـ/1393-1433م) لينال رضاه وعفوه مع أهل قسنطينة بعد الثورة التي قامت ضده من طرف سكان القصبة، والتي تم دحضها سنة (798هـ/1395م)، وعمل ابن قنفذ على تبرئة نفسه وأهله بإصدار فتوى مؤيدة للسلطان في قتاله للثوار[4]، كما ركز على إظهار العلاقة الجيدة التي ربطت أسلافه بالحفصيين في مؤلفه، وأبان فيه أيضا مكانة مدينته قسنطينة باعتبارها عاصمة ثانية بعد تونس لدى سلاطين بني حفص[5].

لقد تمكن ابن قنفذ من تخليص نفسه وتجاوز الثورة على السلطان الجديد أبي فارس عبد العزيز الذي توطدت علاقته به فعينه قاضيا سنة (804هـ/1402م)، وقابل ابن قنفذ كرم سلطانه بأن اختصه بمؤلفه " الفارسية" للتذكير بمآثره، وجهود أسرته الحفصية التي ركز على ذكر تفاصيل سيرة سلاطينها خصوصا في مدينته قسنطينة وفرعها الحفصي الحاكم الذي كانت لأسرة ابن قنفذ مكانة خاصة عنده.

وإضافة إلى كتابه الفارسية ترك لنا ابن قنفذ مؤلفات عديدة ذكر بعضها في آخر كتابه " شرف الطالب في أسنى المطالب" وهي تربو عن ثلاثين مؤلفا في مختلف العلوم، في التاريخ؛ والأدب؛ واللغة؛ والعروض؛ والفقه؛ والتصوف؛ والمنطق؛ والفلك؛ والحساب؛ والتراجم؛ والأنساب ونذكر منها " الوفيات" الذي كتبه سنة (1304/803م)، وترجم فيه للصحابة والمحدثين، والعلماء حتى عصره حسب تاريخ

---

[1]: زار ابن قنفذ مدينة تونس عدة مرات سنة (776هـ/1374م)و سنة (777هـ/1375م)، وله زيارات أخرى أيضا انظر: ابن قنفذ، **شرف الطالب**، 706/2.

[2]: ابن قنفذ، **الوفيات**، ص379- 380.

[3]: ابن قنفذ، **أنس الفقير**، ص71.

[4]: ابن قنفذ، **الفارسية**، ص194.

[5]: آسيا ساحلي، **المشيخة الأندلسية**، ص103.

الوفاة[1]، و" أنس الفقير وعز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه رضي الله عنه" كتبه سنة (787هـ/1385م) ليشرح فيه طريقة أبي مدين الغوث في التصوف[2]، و" طبقات علماء قسنطينة" في التراجم وهو مفقود، و" وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام" في السيرة النبوية العطرة ألفه بقسنطينة سنة (787هـ/1385م) [3] ، و" المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدرية"[4] و " تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد"[5] ألفه في إثبات النسب الشريف من جهة الأب في فترة ما بعد الدولة الموحدية أين كثر ادعاء النسب الشريف، ووقع خلاف بين العلماء في إثبات النسب من جهة الأم (أم الأب)، وكتاب" شرف الطالب في أسنى المطالب"[6] في شرح القصيدة الغزلية في ألقاب الحديث لابن فرج الإشبيلي(ت 699هـ/1399م)، و" أنوار السعادة في أصول العبادة"[7] في الحديث، و"تسهيل العبارة في تعديل السيارة"[8] في علم الفلك، و" القنفذية في إبطال الدلالة الفلكية"[9] و" بغية الفارض في الحساب والفرائض"[10] و" إيضاح المعاني وبيان المباني" وهو شرح لأرجوزة في المنطق[1]، وغيرها من المؤلفات التي شملت مختلف صنوف العلوم.

---

[1]: الكتاب مطبوع بتحقيق عادل نويهض، الطبعة الأولى صدرت عن مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1982م، والطبعة الرابعة صدرت عن منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م. انظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ص21.

[2]: نفسه، صص268- 269.

[3]: الكتاب مطبوع بتقديم سليمان الصيد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984م، ص31.

[4]: الكتاب مفقود وقد ذكره ابن قنفذ في آخر كتاب " شرف الطالب".

[5]: يوجد مخطوط الكتاب في دار الكتب المصرية تحت رقم: 2135. انظر: فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، 1340هـ/1930م، 131/5. وقد طبع الكتاب ضمن مجموع الجامع لأعمال العلامة ابن الخطيب القسنطيني الجزء 8 ، بتحقيق عبد الرحمان حمادو.

[6]: الكتاب مطبوع بتحقيق عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 1424هـ/2003م. انظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ص268.

[7]: الكتاب مفقود، ابن منقذ، **شرف الطالب**، ص238.

[8]: الكتاب مفقود، نفسه، ص238.

[9]: الكتاب مفقود، نفسه، ص 239.

[10]: الكتاب مفقود، نفسه، ص239.

وارتقى ابن قنفذ في البلاط الحفصي، ونال مكانة كبيرة، وتقلد مناصب مختلفة في تونس وقسنطينة مكنته من الاستفادة من دواوين الدولة ووثائقها الخاصة[2]، وذكر مصادره المدونة أيضا منها " الكتاب المتوكلي الكبير"[3]، ورواية "ابن نخيل (ت618هـ/1221م)" وعبر ابن خلدون[4]. كما أنه تلقى روايات شفوية صرح بقائلها أحيانا قليلة، ولم يصرح في مواضع أخرى من كتابه[5]، ونقل عن علماء قسنطينة وعدولها المعاصرين له[6]، إضافة إلى شهادته ومعاصرته للأحداث التي كان قريبا منها بحكم عمله في البلاط الحفصي[7] في فترة حكم السلطان أبي فارس عبد العزيز وما بعدها حتى سنة 805هـ/1403م[8].

ابتدأ ابن قنفذ كتابه بالحديث عن مهدي الموحدين ومن خَلَفَهُ من حكام الموحدين، ثم بداية الحكم الحفصي تدريجيا على الإرث الموحدي، حيث جعل ابن قُنفُذ عنوانا خاصا بكل أمير حفصي واحداً تلوى الآخر، في شكل سيرة شخصية تتناول تولية الأمير للإمارة، وذِكر منجزاته، وأهم أعماله، والحروب التي قادها، وتولية أمراء الجهات خاصة في قسنطينة، وذكر أهم القضاة والخطباء خصوصا السلطان الذي عاصره، وأهدى له كتابه، الأمير أبي فارس عبد العزيز، الذي مدحه، وأثنى عليه كونه من مدينته قسنطينة، كما اعتز بسلاطين بني حفص بذات المدينة

---

[1]: نفسه، ص237. ينظر أيضا: كامل سليمان الجبوري، **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م**، (باب الميم)، دارالكتب العلمية، بيروت، ص393.

[2]: ابن قنفذ، **الفارسية**، ص164.

[3]: الكتاب مجهول المؤلف، نفسه، ص132.

[4]: ابن قنفذ، **الفارسية**، ص105،

[5]: استخدم ابن قنفذ عبارات " قيل" و"يقال"، " ما يحكى"و " يحكى عنه" وقال:" أخبرني الأمير أبو إسحاق" و" ذكر المؤرخون" للتعبير عن مصادر شفوية أكثرها غير مصرح به إلا قليلا. نفسه، ص103، 118، 115، 147، 187.

[6]: نقل عن شيخه " الطالب أبو محمد عبد الله الهسكوري". نفسه، ص161.

[7]: ما يدل على معاصرته للأحداث يقول " حضرت مجلسه في العلم" يقصد الأمير أبي فارس ابن أبي العباس، " ورأيت في أيام حضوري بمرفع الكتب...". نفسه، ص، 197.

[8]: نفسه، ص199.

وبدولتهم التي كانت أسرته في خدمتهم. ويبدو أنه فعل ذلك اعترافا بجميلهم، ونظرا للمكانة التي بلغتها مدينته قسنطينة وناحيتها أثناء حكمهم[1].

يندرج كتاب الفارسية لابن قنفذ ضمن تاريخ السير وفق المنهج الحولي، فهو يرتب الأحداث على السنين بذكر وقائع وأحداث كل سنة، ولم يجعل الموضوع هو المتحكم في انتقاله من أحداث إلى أخرى، بل كان التدرج في ذكر السلاطين كعناوين مجزأة هو الذي دعا إلى استخدام المنهج الحولي أو حوليات السير[2]، وهذا فيه تداخل أو عموم وخصوص مع الكتابة السلالاتية التي تركز على الأسرة الحاكمة أكثر من شخص السلطان. ولم يلتزم ابن قنفذ بأحداث سيرة السلطان فقط بل ذكر وفيات العلماء والفقهاء، وأخبار جهات مختلفة كالمغرب، والأندلس، والمشرق، وأوروبا، وأحداث أخرى لا ترتبط بالمفصل الزمني للسنة[3]، وساق ابن قنفذ أخباره في كتابه الفارسية بأسلوب بسيط بعيد عن التعقيد اللفظي، والإغراق في استخدام المحسنات البديعية. بل نجده أحيانا يذكر ألفاظا عامية عند الحديث عن الصوفية وكرامات الأولياء[4].

وعلى الرغم من موسوعية ابن قنفذ، وكثرة تأليفه في مختلف العلوم إلا أنه يعتبر ناقلا في الجانب التاريخي غير ناقد، لأنه زامن عصر التقليد، واكتفى بالتعليق فقط[5]. ولم ترق كتابته التاريخية عموما إلى مستوى كتاب تاريخ السير والأسرة الحاكمة. ومع هذا يعتبر كتاب الفارسية من أهم الكتب المحلية عن تاريخ الدولة الحفصية، ومصدر لا يُستغنى عنه في التأريخ لإفريقية خلال نهاية القرن (8هـ/14م) وبداية القرن (9هـ/15م)[6]. وبهذا يُعدُّ ابن قنفذ مؤرخا للدولة الحفصية وعاصمتها الثانية قسنطينة، وإن اعتبر من مؤرخي الدرجة الثانية مقارنة بابن خلدون وغيره. إلا أنه

---

[1]: ابن قنفذ، **الفارسية**، ص93، 108، **أنس الفقير**، ص96، 77، المنوني، مرجع سابق، ص104/1.

[2]: محمد قويسم، **ابن قنفذ القسنطيني ومنهجه في كتابه (741-810هـ/1340- 1407م)**، حوليات جامعة قالمة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد7، 2013م، ص238.

[3]: ابن قنفذ، **الفارسية**، ص 115، 117، 121، 240.

[4]: نفسه، ص241.

[5]: نفسه، ص110، 147، 165، 174، 176.

[6]: آسيا ساحلي، مرجع سابق، ص104.

سرد الأحداث بإيجاز أحيانا بعد أن رتبها على السنين من بداية نشأة الدولة الحفصية إلى تاريخ انتهائها (806هـ/1403م) وهي السنة التي أتم فيها كتابه بقسنطينة[1] معتمدا على المعطيات الثابتة التي توفرت في وثائق الدولة، خصوصا أهم الأحداث السياسية، وباستثناء الأحداث المؤلمة المتعلقة برجال الدولة التي عمل على إغفالها، دون أن يدعي بأنه أوجد تصنيفا جديدا للأحداث. كما حرص ابن قنفذ على تدوين كل ما يتعلق بمدينته قسنطينة[2] التي كثيرا ما أحبها فأكثر من ذكرها.

2- الاختصار والتلخيص للكتب السابقة حول الأسرة الحفصية: ابن الشّماع وكتابه الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية.

مواصلة لرصد الكتابة التاريخية الأسرية أو التاريخ الداخلي للدولة الحفصية إضافة إلى فارسية ابن قنفذ نلتق بكتاب آخر من تدوين أبي عبد الله محمد بن أبي العباس بن أحمد الشماع الذي كان بقيد الحياة سنة (861هـ/1457م) والموسوم بـ: **"الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية"**[3]، والذي انتهى من تأليفه في عصر الأمير أبي عمرو عثمان (839- 894هـ/1435- 1488م) أثناء توليه القضاء في نهاية سنة (861هـ/1457م)[4]، وأهداه إليه كتذكرة وموعظة للعبرة[5]. وكغيره من مؤرخي السير وتاريخ الدول لا نعلم عن أبي العباس محمد بن الشّماع شيئا خصوصا علاقته بالبلاط الحفصي سوى نبذ قليلة، وإشارات ضئيلة عنه في كتابه المذكور، كاتصال

---

[1]: ابن قنفذ، **الفارسية**، ص200.

[2]: روبار برونشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15،** ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 414/2، صص 414- 415.

[3]: طبع الكتاب عدة طبعات كان أولها بمطبعة العرب بتونس سنة (1335هـ/1936م) بتحقيق عثمان الكعاك، كما طبع مرة أخرى بتحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984م.

[4]: أحمد ابن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق، الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984م، ص18- 19.

[5]: يقول في هذا الشأن:" وألفت ذلك بخزانة الحضرة العلية الإمامية المجاهدية المتوكلية أدام الله نصرها، وشيّد على المنابر ذكرها"، وكان ذلك سنة 861هـ/1457م في خلافة أبي عمرو عثمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي فارس عبد العزيز. انظر:أحمد ابن الشماع، **الأدلة البينة النورانية**، ص30. الزركشي، مصدر سابق، ص134.

والده أبي العباس أحمد بن محمد الهنتاتي (ت833هـ/1429م)[1] بالبلاط الحفصي وبخدمة الأمير أبي فارس عبد العزيز المتوكل (796- 837هـ/1394- 1434م)، وحضوره مجالسه العلمية مع ابنه محمد (المؤلف)، والتي كانت تُعقَدُ بقصبة تونس[2]، ويذكر أنه التقى الأمير يوما فعزّاه في والده[3]. كما أنه التقى أيضا السلطان أبا عبد الله المنتصر الثاني (837-838هـ/1434- 1435م) فخاطبه بقوله:" يا ابن حبيبنا" ويقصد بذلك والده أحمد[4]. هذه معلومات مقتضبة وردت في كتابه، كما لم يعتن كتاب التراجم بسيرته وهي ظاهرة مست الكثير من كتاب تاريخ الأسر والدول فهم يكتبون للسلطة ولا يقيّدون معلومات معتبرة عن أنفسهم إلا قليلا، وتغيب أخبارهم أيضا في كتب التراجم لأسباب تتعلق بعلاقتهم بالسلطة والمعارضة.

تناول أبو العباس أحمد في كتابه الأدلة البينة النورانية تاريخ الدولة الحفصية، وقسم كتابه إلى خمسة أبواب[5] حسب الموضوعات ابتدأها بالحديث عن فوائد التاريخ، ثم ذكر الحدود الجغرافية لإفريقية وبلاد المغرب، ثم عدد فضائل المغرب بإيراد مجموعة من الأحاديث النبوية، وانتقل بعدها للتعريف بمدينة تونس وإفريقية، وأول من غزاها من الصحابة - رضوان الله عليهم- وجعل بابا في وجوب طاعة ولي الأمر، ثم أتبع ذلك بمن وُلِّي إفريقية من سلاطين بني حفص، وفصّل في سيرتهم على التوالي فتعرض لنسب السلطان ووصوله للحكم، وأهم منجزاته المدنية والعسكرية حتى وفاته، وأهم الأحداث التي جرت في ذلك الوقت، وختم كتابه بالحديث عن الحرابة وأحكامها، ودخول العرب إفريقية[6] حتى انتهى من تأليفه أواخر سنة

---

[1]: اشتهر بالشماع وهو تونسي الأصل، وعرف بالشيخ الفقيه المحقق أحد تلاميذ ابن عرفة. ولي القضاء في عهد السلطان أبي فارس. ذكره ابنه في مواضع من كتابه. انظر: ابن الشماع، **الأدلة البينة النورانية**، ص115، 117، 119. محمد مخلوف، **شجرة النور**، 244/1.

[2]: ابن الشماع، مصدر سابق، ص114.

[3]: ابن الشماع، مصدر سابق، ص114، 119.

[4]: نفسه، ص120.

[5]: نفسه، ص29.

[6]: نفسه، ص136.

(861هـ/1457م)[1] في عصر الأمير أبو عمرو عثمان (839- 894هـ/1435- 1488م) الذي خصص له فصلا للحديث عن سيرته وأعماله باستعمال عبارات المدح والثناء والإطراء نتيجة لتقريبه واشتغاله بالبلاط ككاتب ومتولي لمنصب القضاء[2].

وبخصوص مصادره فقد نقل ابن الشّماع عن مؤلفات من دون ذكر اسم مؤلفها أو يعكس القاعدة أحيانا، ومنها الموجود والمفقود. فنقل عن أهل التاريخ في كتبهم حول حدود بلاد المغرب[3]، وأخذ عن الواقدي خبر فتوح الصحابة لإفريقية[4] دون أن يسمي كتابه، ورجع للشيخ الإمام صدر الدين الشافعي في كتاب هو تكميل لأربعين الشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذري للتأكيد على وجوب طاعة ولي الأمر[5]. كما نقل أيضا عن التجاني في "علامة الكرامة في كرامة العلامة" خبر الشيخ أبي إسحاق الغساني[6]. وأخذ عن أبي زكريا الأول في رحلته وهو كتاب غير معروف[7]، ونقل بشكل مختصر أيضا عن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ/1147م) في كتابه" الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"[8].

وبإضافة إلى المصادر المكتوبة اعتمد ابن الشّماع على مصادر شفوية غير مصرح بها وردت في مواضع كثيرة من كتابه بصيغة (قال، قيل، ويقال، قالت العلماء، ذكر)[9]. وسمع أيضا من الفضيل بن عياض، ووزير الأمير أبي زكريا، ومن الأمير أبي

[1]: ابن الشماع، مصدر سابق، ص29- 30.
[2]: نفسه، ص18- 19.
[3]: نفسه، ص30.
[4]: نفسه، 40- 41.
[5]: نفسه، 46.
[6]: نفسه، ص51.
[7]: نفسه، ص55.
[8]: نفسه، ص135.
[9]: نفسه، ص31- 32، 34، 36، 46، 72، 90.

عبد الله المنتصر[1]، وذكر خبر قصيدة والده التي نظمها للأمير أبي عبد الله المنتصر، وتَولّي والده غسل وتكفين الأمير المذكور[2].

أما شهادته عن الأحداث فقد أكدها بعبارات" شاهدت ذلك منه أيام حضوري مع الوالد" ويقصد حضوره مجلس علم الأمير أبي فارس عبد العزيز، و" لما سلمت عليه" ويقصد الأمير أبي عبد الله المنتصر[3].

استخدم ابن الشّماع المنهج الموضوعي وقد سبق ذكر ذلك في كتابه الذي قسمة إلى أربعة أبواب ثم جعل أسماء السلاطين العشرين الذين تعاقبوا على حكم الدولة الحفصية عناوين رئيسة يتفرع عنها عشرين فصلا ضمنها في الغالب بيعة السلطان وفضائله وخصاله الحميدة، وغيرها من الأحداث التي اتصلت بكل سلطان وفي كل فصل على حدا[4].

استخدم ابن الشماع في وصفه للسلاطين والفقهاء الكثير من عبارات المديح والإطراء كعادة درج عليها كتاب البلاط الذين لم يكن في وسعهم معارضة السلطة في عصرهم، بل وُظِفُوا في الدعاية لها، وهذا ما يفسر وجود أساليب دعائية في مؤلف ابن الشّماع[5] الذي لجأ أيضا إلى توظيف الشعر لتلقى أخباره القبول والترحيب[6]. فذكر فذكر شاعره أحيانا وأهمل ذلك في مواضع أخرى مع اختصار واقتضاب عِيبَ عليه لأنه اعتبر منقصة في كتاب الأدلة البينة النورانية خصوصا تفاصيل الأحداث التي وردت عند ابن خلدون؛ وابن قنفذ؛ وغابت عنده مع أنه ينقل عنهما دائما[7].

---

[1]: ابن الشماع، مصدر سابق، ص47، 55، 76.

[2]: نفسه، 117، 119.

[3]: نفسه، 119- 120.

[4]: نفسه، 174، 175.

[5]: نفسه، ص48، 69، 59، 81.

[6]: استشهد ابن الشماع بأبيات شعرية كثيرة تربو عن التسعين بيتا شعريا . نفسه، ص55، 58- 59، 68- 69، 70- 71.

[7]: نفسه، ص20.

وتعمد ابن الشّماع ذكر خبر لقاء والده بالسلطان أبي فارس، وكتابة قصيدة للسلطان أبي عبد الله ليدلل ويؤكد على العلاقة الوطيدة التي جمعت والده ومن قَبلِهِ أجداده بسلاطين بني حفص[1].

لقد كان أسلوب ابن الشّماع واضحا وبسيطا وضعيفا في بعض الأحيان نظرا لتكوين ابن الشّماع[2]. لكن أسلوبه ومستواه لا يعكسان صورة ابن الشّماع السياسي موظف البلاط، وكاتب القصر ولا تكوينه العلمي. ومع هذا كله يبقى أثر ابن الشّماع "الأدلة البينة النورانية" ذو طابع محلي كون مؤلفه من رجال البلاط الذين ينتمون للعائلة الحفصية المالكة. وقد شغل على ما يبدو كاتبا في القصر لأنه ابن قاضي محلة السلطان أبي فارس الإمام، والخطيب بجامع القصبة بتونس؛ والذي سبقت الإشارة إليه[3].

يعد مؤلف ابن الشّماع مختصرا مقارنة بالمؤلفات التاريخية في بابه، ويبدو أنه لم يقصد إلى تدوين مؤلف في التاريخ الذي اشتمل في الغالب على أخبار تونس، أما باقي المعلومات فهي عبارة عن منتخبات من عبر ابن خلدون، وفاسية ابن قنفذ، اللذان لم يخرج عن إطار معلوماتهما عدا تغيير منهج عرج الأحداث من الكتابة الحولية حسب السنوات إلى التأليف حسب الموضوعات، وتفكيك الفصول الكبرى إلى صغرى خصوصا المتعلقة بالسلاطين الكبار في شكل كتابة منقبية أو سيرة ذاتية يظهر فيها خصال وفضائل ومزايا الشخص الذي دار حوله الحديث[4]. إن معلومات ابن الشّماع جاءت مختصرة للغاية حتى الفترة التي عاصرها من حكم السلطانين أبي فارس وعثمان، وأكثر في المقابل من عبارات المدح والثناء لهما محاولا ملء الفراغ الذي ميّز كتابته على حساب الأحداث المعروفة في مؤلفات أخرى، لكنها غابت في كتابه، وهذا يعد نقصا كبيرا[5].

---

[1]: ابن الشماع، مصدر سابق، ص115، 117.

[2]: نفسه، ص27، 30.

[3]: بروبارت برونشفيك، مرجع سابق، ص415.

[4]: نفسه، 415.

[5]: نفسه، 416.

وبالرغم من رجوع ابن الشمّاع لعبر ابن خلدون، وفارسية ابن قنفذ بشكل كبير إلا أنه نقل عن مصادر أخرى لكنها وصفت بالقليلة جدا، مع أنه أهمل ذكر التفاصيل، والأحداث الصغيرة في كامل مؤلفه فعدّ ذلك اختصارا فادحا أخرج كتابته من دائرة الكتب المتخصصة في تاريخ سلالة بني حفص، أو الكتابة التاريخية ذات الطابع المحلي المميز ضمن كبار مؤرخي نهاية العصر الوسيط[1]. إن كان كتاب الشّماع بالنسبة للعهود الحفصية الأولى ثمين باعتبار ما أورده من جديد بخصوص المجال الذي خصصه للأدباء والفقهاء والمدرسين، ورجال القضاء بمناسبة تعينهم في مناصب رسمية، أو نتيجة وفاتهم، وبهذا يكون قد تحدث عن الحياة الفكرية والإدارية، وتاريخ العاصمة الحفصية العمراني في معلومات تعد بداية للكتابة عن الموضوع أو التأريخ له[2].

ومع هذا كله يبقى كتاب الأدلة البينة النورانية ذو قيمة تاريخية كونه كتاب محلي خاص عن تاريخ الدولة الحفصية بعد كتاب الفارسية لابن قنفذ. وقد ساهم في رسم صورة لامعة عن سلاطين بني حفص حكام إفريقية باعتباره مؤرخ بلاط كانت له ولعائلته مكانة خاصة عندهم.

3- من الحوليات إلى التاريخ السلالاتي: الزركشي وكتابه تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية.

تستكمل الكتابة التاريخية السلطانية حضورها لصالح الأسرة الحفصية تمجيدا لبطولات وانجازات السلاطين، وتلميعا لصورة الدولة بالسكوت عن الأحداث المسيئة للسلطة مع كتاب ثالث وأخير أرّخ للحفصيين في نهاية الفترة الوسيطة، وحمل عنوان:" **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**"[3] من تأليف أبي عبد الله محمد

---

[1]: بروبارت برونشفيك، مرجع سابق، ص20.

[2]: نفسه، ص416.

[3]: طبع الكتاب بالمطبعة التونسية بتونس سنة (1289هـ/) وبترجمة فاعنان، قسنطينة، 1895م، وطبع ثانية بالمكتبة العتيقة بتونس أيضا سنة 1966م بتحقيق محمد ماضور.

بن إبراهيم بن اللؤلؤ[1] التونسي المعروف بالزركشي، والذي قُدِّرَت وِلَادَتُهُ بسنة (820هـ/1418م)[2]، وقيل سنة (832هـ/1428م)[3]، وكان بقيد الحياة سنة (894هـ/1488م)[4]، وإن كان هذا الكتاب يخرج عن الإطار الزمني لموضوع الرسالة في الشكل العام إلا أن تخصصه في التأريخ للدولة الحفصية حتّم علي ذكره بشيء من العموم لرصد جملة الكتابة الأسرية عن الدولة الحفصية؛ وبيان قيمتها التاريخية، وما أضافته من جديد في رؤية من داخل البلاط.

نشأ الزركشي بتونس مقربا من السلطة الحاكمة حيث تولى وظيفة كاتب بديوان الإنشاء لدى الحفصيين[5]، وتلقى العلم والأدب على يد نخبة من علماء عصره كأبي البركات أحمد بن عصفور الذي درس عليه الفقه والحديث[6]، وعلم الرجال والتاريخ، وأخبار الدولة الحفصية ورجالها عن أحمد القلشاني. وكان أحمد القسنطيني أحد الذين درسوه أيضا[7]، غير أنه لم يتلق العلم لفترة طويلة مما انعكس على تكوينه الفكري والتاريخي والفقهي في وقت وصلت فيه الدولة الحفصية لمرحلة الانحطاط، وعاش الزركشي نهاية العصر الوسيط، والمرحلة الأخيرة من عمر الدولة الحفصية خلال القرن (09هـ/15م) حيث فقدت قوتها، وحدثت الاضطرابات في أطرافها،

---

[1]: تلقب بالؤلؤي نسبة إلى جده الؤلؤ، ولا يوجد فيما ينسب إليه أعلى منه. ويبدو أنه مملوك مجهول الأصل غير أنه سلك مسلك أهل البلاد في تسمية بنيه. انظر: الزركشي، مصدرسابق، مقدمة المحقق، ص (ج). ومحمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، 413/2.

[2]: هناك من قدر ولادته سنة (830هـ/1426م) أو بعدها. انظر: أبو عبد الله الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص3. أنور محمود زناتي، **مصادر تاريخ المغرب والأندلس**، دار سحر للنشر، 2008م، ص58.

[3]: نفسه، ص58.

[4]: ليس هناك تاريخ محدد لوفاته غير أنه يرجح أن ذلك كان بعد هذه السنة؛ ولا يمكن أن تصل إلى حدود (932هـ/1526م) كما ذهب إلى ذلك الزركلي، **الأعلام**، 302/5، وبن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ص91. انظر أيضا: علاوة عمارة، **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص17.

[5]: محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، 413/2.

[6]: السعيدوني ناصر الدين، **من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي**، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص249.

[7]: نفسه، ص413.

وانقطع الاتصال بين دويلات المغرب والأندلس[1]، وهذه الفترة هي أقسى مرحلة مَرّ بها العالم الإسلامي كله بعد أن تفككت أجزاؤه، وصار الصراع بين ملوكه يتوسع، وأصبحوا يكيدون لبعضهم البعض غير ناظرين إلى خطر الخارج[2].

فالأندلس كانت تحتضر، وبلاد المغرب أنهكها الصراع والفتن، وتونس مضطربة بسبب الثورات القبلية، إلا أنها استطاعت أن تنتهي إلى فترة استقرار سبقت هذا القرن بقليل في فترة حكم أبي العباس أحمد المستنصر الحفصي(771- 796هـ/1370- 1394م) ثم ابنه أبي فارس عبد العزيز (796- 837هـ/1394- 1434م) ثم حفيده أبي عمرو عثمان (838- 893هــ/1435-1488م)[3]، وهي المرحلة التي جعلت من الزركشي يكتب كتابه كونها شهدت أحداثا كثيرة حاولت فيها الدولة الحفصية فرض سيطرتها على أجزاء كثيرة من المنطقة، وهؤلاء السلاطين الذين سبق ذكرهم هم أمجاد بيتهم، وكان آخر نشاط لتوطيد الأمن في بلادهم التونسية ما قام به السلطان عثمان الذي عاصره المؤلف الذي فرض الأمن والاستقرار، واهتم ببناء الزوايا والمساجد، وتقريب الشعراء[4]، لكن آل الأمر فيما بعد إلى احتلال إسباني، ثم تدخل تركي في شؤون الحكم بتونس. وقد جعل الزركشي كتابه هذا سجلا لكل هذه الوقائع والأحداث التاريخية[5].

انتهى الزركشي من تأليف كتابه سنة (861هـ/1456م)[6]، وتنسب إليه مؤلفات لم يعرف منها "سوى شرح بلوغ الآماني" لقصيدة الدمامينية[7]، والكتاب الكبير الذي لا

---

[1]: محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار العرب الإسلامي، بيروت 1986م، ص612.

[2]: أبو القاسم سعد الله، **بحوث في التاريخ الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2003م، صص101- 102.

[3]: محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص601.

[4]: الزركشي، مصدر سابق، مقدمة التحقيق، ص5.

[5]: نفسه، ص4. انظر أيضا، ابن الشماع، مصدر سابق، ص122.

[6]: الزركشي، مصدر سابق، ص4، ص29.

[7]: هناك خلاف حول هذا الكتاب فيما اذا كان شرحا للدمامينية، وهي قصيدة من 99 بيتا في مدح السلطان أبي العباس من نظم بدر الدين محمد بن أبي بكر الدمامني الإسكندري (763-828هـ/1361-1424م)، أو قد يكون كتاب تراجم جمع فيه أخبار شعراء عصره. انظر: انظر، محمد محفوظ، مرجع سابق، ص414.

لا أثر له. وخصص كتابه لذكر أخبار إفريقية والمغرب على عهد الموحدين والحفصيين، ثم استعرض في مستهله دعوة المهدي محمد بن تومرت؛ وتأسيس الدولة الموحدية على يد عبد المؤمن بن علي الكومي، وتوسعها في بلاد المغرب، ونجاحها في طرد النورمان وتخليص المهدية منهم سنة (555هـ/1160م). كما تحدث أيضا عن أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن؛ ومحمد الناصر ويوسف المنتصر، واضطراب أمر الموحدين، وأيامهم الأخيرة وما عرفته من ضعف مس جمع جوانب الدولة، ثم ساق المؤلف تاريخ بني حفص وأخبارهم منذ توليهم أمر إفريقية بأمر من الناصر الموحدي، وتأسيس دولتهم على يد أبي زكريا يحي بن عبد الحق (626-647هـ/1230-1271م)، ثم انتقل بعد ذلك للتأريخ لسيرة حكام الدولة مستعرضا العلاقات القائمة بين دول المغرب والحروب الواقعة بينهم[1].

ويتناول كتاب " تاريخ الدولتين" تاريخ إفريقية عبر أربعة قرون، ويضيف إلى العنوان أخبارا عن بني زيان؛ وبني مرين وعن دول صغرى قامت بالمنطقة، لكنه اهتم أكثر بتاريخ الدولة الحفصية حتى نهاية القرن 09هـ/15م، كما يتضمن الكتاب معلومات هامة عن المنشآت الثقافية والدينية والاقتصادية وتنظيمات الدولة والوظائف التي كانت على عهده. إضافة إلى إيراد تراجم عديدة للكتّاب والقضاة والأئمة والفقهاء والصلحاء والأدباء وغيرهم[2].

واتبع الزركشي ترتيب الأحداث وفق الحوليات أو التأريخ بالسنين، وتحدث عن سيرة سلاطين بني حفص، وخاض في أنسابهم، وذكر أهم منجزاتهم الاقتصادية والثقافية والعمرانية والإدارية، والتطورات والتغييرات داخل البلاط في الوظائف والمهن[3]، كما ذكر الزركشي الكوارث الطبيعية التي حدثت في العهد الحفصي، ووفيات العلماء، والفقهاء، وأهل الحكمة من رجال الدولة الموحدية وخلفائهم،

[1]: الزركشي، مصدر سابق، ص3، 7، 11، 1"، 13، 15، 20، 22.

[2]: نفسه، ص38، 48، 52، 60، 77، 107، 101، 116.

[3]: نفسه، ص32،34، 40.

وعلاقاتهم بأوروبا المسيحية، والصراع بين الشرق والغرب حتى يتوقف عند أحداث سنة (882هـ/1477م)[1].

لقد جمع الزركشي في مؤلفه جملة من أخبار الدولة الموحدية والحفصية في مختلف مجالات السياسة والثقافة والاقتصاد والاجتماع، وساق خبر الفقهاء والعلماء بتتبع حياتهم وتكوينهم وتعليمهم، وسنة وفاتهم، وبهذا عُدَّ من المصادر الهامة والرئيسة في التأريخ للدولتين في عصره، ومورداً لا يستغنى عنه بالنسبة لمن بحث في تاريخ نهاية الموحدين، وأخبار دولة بني حفص التي خصها وسلاطينها بالمدح والثناء فجاءت الكتابة موجهة لهم، ووفق نظرتهم وفق المنهج الحولي الذي حاول من خلاله جمع كمّ أكبر من الأخبار لا يربطها سوى عقد الزمن، غير أن الموضوع الذي ركز عليه هو إظهار مكانة الحفصيين وورثتهم للموحدين انطلاقا من الولاء الروحي والفكري، مع استقلال سياسي وجغرافي أعقب تفكك الصرح الموحدي وما تبعه من تحولات فكرية مست مختلف جوانب الحياة الشيء الذي أثر في كتابة الزركشي التاريخية خصوصا في ظل علاقة الحفصيين بالآخر.

اعتمد الزركشي في تدوين مؤلفه على مصادر متنوعة خصوصا في نقل أخبار الوقائع والأحداث التي لم يعاصرها ككتب التراجم والطبقات والجغرافيا والتاريخ العام. ففي القسم الأول مثلا نجده يأخذ عن الكتب السابقة له مثل كتاب "العبر" لابن خلدون[2]؛ وابن النخيل، ، والغبريني في " عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"[3]، وابن الخطيب السلماني[4]، وابن بشكوال[5]، وابن قنفذ في " الفارسية"[6]، والدباغ في " معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان"[7]، وابن الشماع في "

---

[1]: انظر: خامد عائشة، **الفكر التاريخي عند الزركشي**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، منشورات جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، جوان 2017م، مج1، العدد 1، ص19-37.

[2]: الزركشي، مصدر سابق، ص20.

[3]: نفسه، ص9.

[4]: نفسه، ص20.

[5]: نفسه، ص10.

[6]: نفسه، ص70.

[7]: نفسه، ص4- 5، 7.

الأدلة البينة"[1]، أما بالنسبة للقسم المتعلق بالدولة الحفصية والذي عاصره، فقد اعتمد فيه على الروايات الشفوية لمعاصريه، والتقاييد المتوفرة في بعض المكتبات الخاصة، كمكتبة جامع الزيتونة، والقصبة، ودفاتر ودواوين الدولة، ومراسلات السلطان، وهو ما جعله المصدر الأساسي الذي اختصر وتَمّمَ تاريخ ابن خلدون خصوصا فيما تعلق بتاريخ بلاد المغرب، وبخاصة تاريخ دولة بني حفص.

ويعتبر كتاب الزركشي من الكتب التاريخية الهامة في تاريخ الدولة الموحدية وخلفائها من الحفصيين لفترة تزيد عن أربعة قرون؛ أي من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري (12- 15م). وهذا ما يعطيه قيمة تاريخية ويجعله مصدرا أساسيا إن لم يكن المتفرد في التأريخ للفترة التي عاصر أحداثها. وهو من ضمن أهم المصادر الرئيسة التي يعتمدها المتأخرون في التأريخ للسلالة الحفصية.

تصنف كتابة الزركشي ضمن الكتابة الحولية كونه خص كل سلطان موحدي وحفصي بعنوان في مؤلفه مع زخم من الأخبار التي توفرت له نتيجة موارده المتنوعة، واعتمد على ترتيب الأحداث بحسب ترتيب حكام الموحدين وخلفائهم من بني حفص[2]، وركز على الأحداث الهامة في تاريخ الدولتين خصوصا الدولة الحفصية التي عاصر مرحلة من مراحل تاريخها الحافل، وخلال حكم السلطانين أبي فارس، والمستنصر الحفصي[3]، وإلى جانب أخبار المغرب الإسلامي حاول الزركشي تغطية أخبار المشرق ليضمن نوعا من التوازن في إيراد الأخبار، ويعطي مؤلفه بعدا شبه عالمي[4]، وبخصوص طريقة العرض بسط الزركشي الأخبار في مؤلفه بأسلوب مشوق، وبطريقة مختصرة قد تغيب معها أحداث من تاريخ الدولتين نتيجة المنهج الحولي الذي لا يسلط الضوء على كل أحداث السنة[5]، ولم يبد الزركشي رأيه الخاص الخاص فيما أورده من أخبار، ولم يكثر من عبارات المديح أو الطعن في الحكام

[1]: الزركشي، مصدر سابق، ص138.

[2]: نفسه، ص23.

[3]: نفسه، ص114، 131، 158.

[4]: نفسه، ص34، 66، 68.

[5]: نفسه، ص43، 93، 77، 151.

والسلاطين، كما أنه ساق الأحداث بتواريخها الدقيقة والمفصلة خصوصا وفيات العلماء والفقهاء، مع أخطاء ليست بالكثيرة تعلقت بالأخبار البعيدة عن الحاضرة تونس.

ورغم ذلك يبقى تاريخ الدولتين للزركشي من أهم المصنفات التاريخية التي أرخت لفترة هامة وحالكة من تاريخ المغرب الإسلامي بعد انهيار صرح الموحدين، ومحاولة الحفصيين خلافتهم بما يملكون من إرث روحي وتاريخي، وهذه المرحلة كلها تناهز أربعة قرون، جمع فيها الزركشي أخباره دون نقد وتمحيص، إلا أن المادة التي جمعها نفيسة وهامة غطت مرحلة من مراحل نهاية العصر الوسيط.



الفصل الثالث:

الكتابة التاريخية عن بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين؛ والعالم الغربي عند ابن خلدون.

يُحيلنا زمن ابن خلدون إلى ما يسمى نهاية العقل العربي، أو العقم المعرفي إن صح التعبير، فهذه النظرية التي كان الباحث الجابري[1] قد روّج لها؛ وجعل من ابن خلدون محورا ترتكز عليه، باعتباره نموذجا متفردا للعقل العربي الذي أنتج منهجية جديدة في التفكير التاريخي، ونقد كل ما هو تقليدي عند المؤرخين أو الإخباريين، لكن في نفس الوقت يجب أن نأخذ في الاعتبار أن هذه النظرية يوجد ما يفندها خاصة وأن العقل العربي الإسلامي أنتج معرفية حقيقية كما ذكر جورج صليبا في دراساته حول الفكر العلمي العربي[2]، حيث دحض جميع ما روج له الجابري، وهذا بطريقة علمية تعتمد على جرد كم هائل من العلماء، وإنتاجهم في مختلف حقول المعرفة خاصة الفلكية والرياضية منها، وهو الأمر الذي يجعلنا نعيد النظر فيما ذهب إليه الجابري ومن جاء بعده.

المبحث الأول: ابن خلدون والتفرد في الكتابة المغاربية.

إلى غاية القرن (7هـ/13م) لم تكن منطقة الغرب الإسلامي خارجة عن التقليد المشرقي في الكتابة التاريخية، خاصة وأن الأخير بقي المرجع لجميع المؤرخين الذين لم يخرجوا عنه، لكن مع الانتكاسة الموحدية وبداية عصر الدويلات، وظهور قوى مسيحية عملت على إعادة رسم خريطة سياسية جديدة للغرب الإسلامي، ظهر نموذج متفرد في الكتابة التاريخية المغاربية الجامعة حَاول قَلْبَ جميع المفاهيم التقليدية السائدة آنذاك عن التاريخ، وطريقة التعامل معه، بل وحتى كتابته وفهمه، وهو الأمر الذي أحدث مراجعات جديدة في الكتابة التاريخية بدأت من الغرب الإسلامي.

---

[1]: ناقش الجابري نظريته حول نهاية العقل العربي في أعماله الفلسفية تكوين العقل العربي وبنية العقل العربي. حاول من خلالها إعطاء نموذج متمثل في ابن خلدون أنه آخر ما أنتجته الحضارة الإسلامية.

[2]: قام الباحث جورج صليبا بنشر عدة أعمال منها: العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية، الفكر العلمي العربي- نشأته وتطور، تاريخ علم الفلك العربي، وتستعرض هذه الأعمال الإنتاج المعرفي العلمي للعرب خلال فترة القرن 14م حتى القرن 16م، وكان الدافع هو دحض الأقوال التي تقول أن تلك الفترة هي بداية انحطاط العقل العربي.

إن التأثيرات المشرقية في الكتابة التاريخية المغاربية لم يكن لأي مؤرخ القدرة على تجاوزها، خاصة وأنها بقيت لعقود التجربة الأولى التي اتبعها جميع المدونيين للأخبار بدءا من القرن (2هـ/08م)، لكن عندما نحاول إعادة تتبع مسار الكتابة الجامعة ما قبل ابن خلدون علينا التوقف عند بعض النماذج الرائدة أبرزها إنتاج كل من ابن سعيد المغربي (ت685هـ-1286م)، وابن عذارى المراكشي(ت712هـ-1312م)، وبعد هذه المحاولات الجادة في كتابة تاريخ جامع للمغرب والمشرق من طرف مؤرخين مغاربة، وجب التطرق إلى أهم مؤرخ عَمِلَ على هذا المشروع في كتاب واحد عُدَّ إلى اليوم تاريخا عالميا للمشرق والمغرب، وهو تاريخ ابن خلدون الذي قلب موازيين التدوين التاريخي في العالم الإسلامي.

1- حياة ابن خلدون من خلال كتابه الرحلة.

يعود أصل عبد الرحمن بن خلدون إلى أسرة يمنية عريقة، وفي نسبه ذَكَرَ عشرة من أجداه حتى وصل جدّه خلدون بن عثمان الذي دخل الأندلس في أواخر المائة السابعة[1] مع جند المسلمين الفاتحين ليستقر بقرمونة[2]، ثم انتقل مع أهله إلى إشبيلية[3] التي أصبح للأسرة الخلدونية فيها نفوذ سياسي وعسكري؛ خصوصا أثناء حكم بني عبّاد الذين استوزروا من آل خلدون، وحضروا معهم موقعة الزَّلّاقة، فاستشهد منهم الكثير[4]، قبل أن تسقط إشبيلية بيد الإسبان سنة (645هـ/1248م)، ليهاجر بنو خلدون إلى شمال إفريقيا بسبب هجمات الممالك المسيحية، وبطشهم، وتعصبهم، فنزلوا بسبتة على عهد الموحدين، وانتقل جدّ عبد الرحمن الحسن بن محمد إلى مدينة

---

[1]: عبد الرحمن بن خلدون، **رحلة ابن خلدون**، تعليق محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، 1425هـ/2004م، ص27.

[2]: قرمونة بفتح القاف وسكون الراء، وضم الميم: مدينة بالأندلس، يقوت الحموي، **معجم البلدان، 27/7**.

[3]: بقي بيت بني خلدون بإشبيلية سائر أيام بني أمية إلى زمن الطوائف. انظر: ابن خلدون، **الرحلة**، ص29، 31.

[4]: نفسه، ص32.

بونة[1]، ونزل عند الأمير أبي زكرياء[2]، ثم رحلت الأسرة الخلدونية إلى بجاية فَعُرِضَ على جدّ مؤرخنا أبا بكر محمد بن خلدون الحجابة، لكنَّه تعفف وألزم ابنه بذلك، وهو والد عبد الرحمن حيث يقول:" وكان جدّنا (رحمه الله) قد لزمه من يوم نزوعه عن طريقه، وألزمه ابنه، وهو والدي رحمه الله فقرأ وتفقّه، وكان مقدّما في صناعة العربية، وله بصر بالشعر وفنونه، عهدي بأهل الأدب يتحاكمون إليه فيه، ويعرضون حوكهم عليه، وهلك في الطاعون الجارف سنة (749هـ/1348م)"[3].

وبعد مدينة بجاية استقرت الأسرة الخلدونية بتونس الحفصية، واستمرت في الحفاظ على نفوذها السياسي في البلاط الحفصي حيث تولى الجد الثاني لابن خلدون مهاما مالية لدى السلطان أبي إسحاق إبراهيم بن أبي زكريا الحفصي[4].

ولد عبد الرحمن بتونس ونشأ بها كما يصرح بذلك فيقول:" أما نشأتي فإنّي ولدت بتونس في غرّة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وربيت في حجر والدي رحمه الله إلى أن أيْفَعت وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتّب أبي عبد الله محمد بن سعد بن برَّال الأنصاري"[5]، الذي كان إماما في القراءات، وقد ختم ابن خلدون القرآن الكريم إحدى وعشرين ختمة بالقراءات السبع المشهورة إفرادا وجمعا[6].

تعلم ابن خلدون العربية على والده، وعلى شيخ تونس، وإمام النحو أبو عبد الله بن العربي الحصايري، والشيخ أبو عبد الله محمد بن الشواش الزَّرزالي، وأبو العباس أحمد بن القصّار، وأبو عبد الله محمد بن بحر المتبحر في علوم اللسان الذي لازم

---

[1]: وتسمى بلد العنّاب (عنابة) وهي مدينة بالجزائر على ساحل البحر الأبيض، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 310/1.

[2]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص34.

[3]: نفسه، ص36.

[4]: نفسه، ص34-35.

[5]: نفسه، ص36.

[6]: نفسه، ص37.

مجلسه، فوجهه إلى حفظ شعر كبار الشعراء، كما لازم مجلس إمام المحدثين بتونس شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوَاديَاشي الذي أجازه في كتب عديدة في العربية والفقه[1]، وأخذ الفقه أيضا على أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجيّاني، وأبو القاسم محمد القصير، وتردد على مجلس شيخ الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام مع أخيه محمد، وغالب هؤلاء العلماء قضوا في الطاعون[2].

كما أخذ ابن خلدون العلم على العلماء الذين صحبهم السلطان أبو الحسن المريني إلى تونس سنة (748هـ/1347م)، منهم إمام مذهب مالك بالمغرب أبو عبد الله محمد بن سليمان السَّطي، وكاتب السلطان، وإمام المحدثين والنحاة بالمغرب أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي، حيث يقول فيه:"وكانت بضاعته في الحديث وافرة، ونحلته في التقييد والحفظ كاملة، كانت له خزانة من الكتب تزيد على ثلاثة آلاف سفر..." [3]، ودرس أيضا على أبي العباس أحمد الزواوي، وشيخ العلوم العقلية أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي الذي علم العلوم العقلية وبثها بين أهل المغرب، وقد آثره ابن خلدون من بين شيوخه حيث يقول فيه:" ولما قدم على تونس في جملة السلطان أبي الحسن، لزمته، وأخذت عنه الأصلين، والمنطق، وسائر الفنون الحكمية، والتعليمية، وكان رحمه الله، يشهد لي بالتَّبريز في ذلك"[4]، فورث عنه ابن خلدون المنهج العلمي الذي ساد بفضل كتابات فخر الدين الرازي خلال القرن (07هـ/13م)[5].

وكان من جملة العلماء الوافدين على تونس مع السلطان أبي الحسن كاتبه أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي صاحب البلاغة، والإجادة في كتابة الرسائل السلطانية، والخطابة، فصحبه ابن خلدون وأفاد منه الكثير مع تقارب في

[1]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص39.

[2]: نفسه، ص39.

[3]: نفسه، ص40.

[4]: نفسه، ص41.

[5]: علاوة عمارة، **الغرب من منظور ابن خلدون**، دراسات تاريخية وفكرية، موفم للنشر، الجزائر، 2008م، ص248.

السن بينهما[1]، كما حضر مع السلطان أيضا الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي، شيخ العربية بالمغرب، وأبو عبد الله محمد بن محمد الصبَّاغ من أهل مكناسة، وكان عالما في الحديث، ومنهم أيضا أبو عبد الله محمد بن النَّجار التلمساني، وأبو العباس أحمد بن شعيب الفاسي، وأبو عبد الله بن أحمد بن مرزوق الخطيب التلمساني[2].

كما تعلم ابن خلدون على يد ابن زيتون الذي قرأ على تلاميذ الرازي بالمشرق، واستقدم المنهج الأصولي إلى بلاد المغرب، فغير أنماط التفكير، وطرائق الكتابة خصوصا في مجال العلوم العقلية، لكن هذا المنهج ما لبث أن زالت معالمه مع الطاعون الأسود الذي حلّ عام (749هـ/1348م)، وكتب لابن خلدون النجاة منه ليرث جيل العلوم العقلية الذي عاصره وعايشه[3]، حيث يقول:" لم أزل منذ نشأت، وناهزت مكبا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل، متنقلا بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة، وهلك أبواي رحمهما الله، ولزمت مجلس شيخنا أبي عبد الله الآبلي"[4].

تولي ابن خلدون كتابة العلامة[5] لأبي محمد بن تافراكين عن سلطانه أبي إسحاق، ثم عزم على العودة مع بني مرين بعد انحصارهم عن إفريقية نتيجة ذهاب شيوخه، فمنعه وصدّه أخوه الأكبر محمد[6]. وبعد امتلاك أبي عنان لتمسان وبجاية ثم عودته إلى فاس استدعى ابن خلدون فقدم عليه سنة (756هـ/1354م)، ونظمه في أهل مجلسه العلمي، وجعله من أهل الكتابة، ثم سجنه سنة (758هـ/1356م)نتيجة دسائس بطانة السلطان، وبجواز السلطان أبي سالم من الأندلس لطلب ملكه بعد وفاة أبي

---

[1]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص42.

[2]: نفسه، ص43.

[3]: علاوة عمارة، **الغرب من منظور ابن خلدون**، ص248.

[4]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص64-65.

[5]: هي وضع " الحمد لله والشكر لله" بالقلم الغليظ، مما بين البسملة وما بعدها، من مخاطبة أو مرسوم. نفسه، ص65.

[6]: نفسه، ص65.

عنان كان ابن خلدون هو من حمل كتاب السلطان إلى شيوخ بني مرين بتكليف من ابن مرزوق للتحريض ضد المنصور بن سليمان، وتمت الدعوة للسلطان أبي سالم الذي استعمله في كتابة سرّه، وخطه ورسائله، ثم ولاه خطّة المظالم، وتوثقت علاقة ابن خلدون مع صاحب بجاية أبو عبد الله، ثم سافر ابن خلدون إلى الأندلس، وحلّ ببجاية التي تولى بها منصب الحجابة، ولم ينقطع عن التدريس بمساجدها[1].

تردد ابن خلدون من خلال رحلاته وتجاربه السياسية على عديد المدن المغربية والمشرقية، فزار بسكرة وأقام بها لسنوات عدّة مرات، لاجئا إليها من بجاية سنة (754هـ/1353م)، ليقيم في ضيافة حاكمها أحمد بن يوسف المزني، ليعود إليها مرّة أخرى بعد مقتل مضيّفه وصديقه حاكم بجاية أبو عبد الله من طرف حاكم قسنطينة أبو العباس، أما الزيارة الثالثة له فكانت في سنة (772هـ/1371م) قادما إليها من المسيلة، وفي المرة الرابعة زارها ثمّ غادرها سنة (774هـ/1373م)، وفي الزيارة الأخيرة قدم إليها من تلمسان التي أقام بها هي الأخرى بعد أن دخلها سنة (769هـ/1368م) مع عرب الذواودة مرتحلا إليها من بسكرة تلبية لدعوة سلطانها أبي حمو موسى لنصرته سنة (771هـ/1370م) لكنه غادرها سريعا[2].

عاد ابن خلدون إلي مدينة تلمسان من جديد بعد دخولها تحت حكم السلطان أبي العباس المريني الذي استمال ابن خلدون، وحوّل ولاءه إليه ضد أبي حمو موسى الثاني، حيث عمل ابن خلدون على تغيير ولاء عرب الذواودة لصالح سلطانه الجديد بعد أن طارد أبا حمو في المغرب الأوسط سنة (772هـ/1370م)، وكان لابن خلدون زيارة أخرى لتلمسان سنة (776هـ/1375م) في رحلة من الأندلس إذ يقول:" ونزلت بهنين، والجو بيني وبين السلطان أبي حمو مظلم، بما كان مني في إجلاب العرب عليه بالزّاب"[3]، وساهم محمد بن عريف في مصالحته مع السلطان، وسمح له

---

[1]: ابن خلدون، **الرحلة، ص**91-92.

[2]: موسى بورحلة، **ابن خلدون وفلسفة السياسة**، (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2011-2012م، ص09.

[3]: نفسه، ص187.

بالـدخول إلـى تلمسـان، وأقـام بالعبّـاد بعـد إحضـار عائلتـه مـن فـاس سـنة (776هـ/1375م)[1]، ولم يكن ابن خلدون في منأى عن الصراعات بين دول المغرب الإسلامي، وبخصوص عاصمة الحماديين بجاية فإنه نزلها سنة (754هـ/1353م) لأول مرّة، ثم أطال الغياب عنها حتى سنة (776هـ/1365م) أين زارها للمرة الثانية من الأندلس استجابة لدعوة صديقة أبي عبد الله لتوليه منصب الحجابة فيقول:" فاحتفل السلطان صاحب بجاية لقدومي، وأركب أهل دولته للقائي، وتهافت أهل البلد عليّ من أوب يمسحون أعطافي، ويقبّلون يدي، وكان يوما مشهودا"[2]، وخصّه سلطان بجاية بمنصب عال في الدولة حيث يقول:" وقد أمر السلطان أهل الدولة بمباكرة بابي، واستقللت بحمل ملكه، واستفرغت جهدي في سياسة أموره، وتدبير سلطانه، وقدّمني للخطابة بجامع القصبة، وأنا مع ذلك عاكف إلى تدريس العلم أثناء النهار بجامع القصبة لا أنفك علن ذلك"[3].

برزت شخصية ابن خلدون العلمية والسياسية مع أمير بجاية أبي عبد الله، الذي حاول تخليصه من إقامته الجبرية بفاس في عهد السلطان أبي عنان، لكن محاولته للخروج من فاس أوصلته إلى السجن سنة (558-559هـ/1357-1358م)، بتهمة التآمر مع أمير بجاية ضد السلطان، ولم يخرج منها إلا بعد وفاته سنة (759هـ/1358م)، واستطاع ابن خلدون خلال إقامته بفاس المرينية، وعمله في البلاط معرفة طرق تسيير شؤون الدولة وإدارتها، والوقوف على مكامن القوة والضعف فيها، ومن خلال تجربته السياسية الميدانية سوف يصوغ ابن خلدون أفكاره ونظرياته في مقدمة كتابه " العبر"[4].

ومن مدينة فاس المضطربة الأحوال بعد خلع واغتيال السلطان أبي سالم سنة (762هـ/1361م)، رحل ابن خلدون إلى غرناطة، ونزل عند أميرها محمد الخامس،

[1]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص87.

[2]: نفسه، ص95.

[3]: نفسه، ص95.

[4]: نفسه، ص96.

ووزيره آنذاك صديقه الحميم لسان الدين بن الخطيب المؤرخ الشهير، والذي قام بتقريبه من سلطان بني الأحمر، وهناك وقف ابن خلدون على حال المسلمين بالأندلس، وواقع الممالك المسيحية بعد بعثته الدبلوماسية إلى ملك قشتالة بيدرو من طرف حاكم غرناطة لإتمام الصلح بينه وبين ملوك المغرب، فنجح في مهمته، وأعجب به الملك بيدرو الذي عرض عليه الإقامة بإشبيلية، واسترجاع أملاك أجداده، ولكنه قابل ذلك بالاعتذار عن القبول، وبنجاحه في السفارة أكرم ابن خلدون وقرّب من طرف السلطان ووزيره ابن الخطيب[1].

باستعادة أبي عبد الله لبجاية قرر ابن خلدون الالتحاق به، فانطلق من المرية باتجاه غرناطة، ثم رحل بعدها نحو بجاية التي تولى فيها الحجابة – كما سبق ذكر ذلك- وعيّن الأخ الأصغر لابن خلدون يحيى على القضاء، وبمقتل السلطان أبي عبد الله من طرف أبي العباس تعرض لمحاولة اغتيال، لكنّه خرج منها سالما، فلجأ إلى بني مزني، وأمير منطقة الزَّاب بسكرة[2]، ومنها استدعي لمنصب الحجابة بتلمسان من طرف السلطان أبي حمو لكنّه اعتذر عن ذلك، وأرسل أخاه يحيى مكانه، وبطلب من السلطان أبي حمو استطاع ابن خلدون استمالة قبائل عرب الذواودة لصالح أبي حمو سلطان بني عبد الواد، قبل أن ينقلب عليه مواليا السلطان عبد العزيز المريني- كما سبق ذكره- ومنحازا إليه لقوّته[3].

تزايد نفوذ ابن خلدون في أوساط القبائل العربية، فخشي صاحب بسكرة على سلطانه، وطلب من سلطان المغرب بفاس استدعاءه إليه، وفي طريقه إلى فاس تعرض ابن خلدون لاعتداء من طرف شيوخ مليانة بإيعاز من أبي حمو، وبوصوله إلى فاس لقي الاهتمام والرعاية، لكنه سافر بعدها مضطرا إلى الأندلس معتزلا السياسة،

---

[1]: موسى بورحلة، مرجع سابق، ص16.

[2]: لمعرفة تاريخ إمارة بني مزني، والفترة التي قضاها ابن خلدون فيها انظر" أعمال الملتقى الوطني، **دولة بني مزني ببسكرة تاريخ وحضارة، الملتقى الوطني السابع – بسكرة عبر التاريخ-** الذي عقد أيام، 23-24-25-26 ديسمبر 2008م، ببسكرة، الجزائر.

[3]: نفسه، ص22.

ومتفرغا للعلم، لكن سلطان غرناطة أمره بالرحيل للمغرب الأوسط، فنزل بهنين وطلب منه أبو حمو استمالة القبائل إليه متجاوزا عن غدره، فتظاهر ابن خلدون بالقبول، والتحق بأولاد عريف الذين ألحقوا أهله به من تلمسان، وأنزلوه بقلعة بني سلامة[1]، من بلاد بني توجين التي صارت لهم بإقطاع السلطان[2]، والتي مكث فيها أربع سنوات ما بين (776-780هـ/1375-1379م)، وخلال هذه المدّة شرع ابن خلدون في كتابة تاريخه " العبر" بمقدمته الشهيرة حيث يقول:" فأقمت بها أربعة أعوام متخلّيا عن الشواغل كلها، وشرعت في تأليف هذا الكتاب، وأنا مقيم بها، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب، الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة، فسألت فيها شآبيب الكلام والمعاني على الفكر، حتى امْتَخَضَتْ زُبْدَتُها، وتألفت نتائجها"[3].

فرغ ابن خلدون بالقلعة من مقدمة الكتاب، وفيها أخبار العرب والبربر وزناتة[4]، وطالع الدواوين التي لا توجد إلا بالأمصار، وأملى أكثرها من حفظه، ومرض وهو يحاول تنقيح ما كتبه، ثمّ حنّ إلى تونس حيث موطن الآباء والأجداد، فنزل بقسنطينة، ثم أقبل على السلطان أبي العباس وهو متجه إلى الجريد، ودخل ابن خلدون تونس وهو في عناية من السلطان ورخاء حيث يقول:" وعاد إلى تونس مظفرا، وماهدا، فأقبل عليّ، واستدناني لمجالسته، والنجيّ في خلوته"[5]، وكلّفه بإكمال مؤلفه لتشوقه

---

[1]: وتسمى قلعة تاوغزوت، وتبعد عن مدينة فرندة من جهة الجنوب الغربي بحوالي ستة كليمترات، وتقع على وادي التحت، وتبعد عن مدينة تاهرت القديمة في الجنوب الغربي بتسع مراحل، وسميت بسلامة نسبة إلى سلامة بن علي بن نصر بن سلطان رئيس بني يدللتن من بطون توجين، بحيث أنه استقر في تاوغزوت، واختط بها القلعة، فنسبت إليه، وكانت من قبل رباطا لبعض العرب المنقطعين من سويد. انظر: يحيى بن خلدون، **بغية الرواد**، 307/2.

[2]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص187.

[3]: نفسه، ص188.

[4]: للاطلاع أكثر على طريقة التأريخ للعرب والبربر من خلال كتاب " العبر" انظر: عبد الحميد سعد زغلول، **ابن خلدون مؤرخا: تاريخ العرب والبربر في كتاب العبر**، مجلة عالم الفكر، العدد2، مج14، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1983م، ص 11-70.

[5]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص189.

إلى المعارف والأخبار، فأكمل ابن خلدون منه أخبار البربر وزناتة، وأخبار الدولتين وما قبل الإسلام، وأكمل منه نسخة رفعها إلى خزانته، ولم يمدح ابن خلدون السلطان، لتوقفه عن صناعة الشعر وانتحاله، فحرضت البطانة السلطان عليه، وقالوا " ذلك استهانة بسلطانك"[1]، لكن ابن خلدون تمهل حتى رفع كتابه إليه، وأنشده قصيدة[2]، ثم اعتذر له عن انتحال الشعر.

رافق ابن خلدون السلطان أبي العباس إلى تبسة، ثم عاد إلى تونس، وفي شهر شعبان سنة (784هـ/1382م) حضر السلطان لغزو الزَّاب، وكانت بالمرسى سفينة لتجار الإسكندرية، فألح على السلطان أن يسمح له بالسفر إلى الحجّ فأذن له في ذلك، فودع أعيان الدولة، وطلبة العلم، وهكذا تفرغ ابن خلدون للعلم والتأليف.

أقام ابن خلدون أربعون يوما مبحرا إلى الإسكندرية، وبوصوله اعتلى السلطة الملك الظاهر، وأقام شهرا يتهيأ للحج لكنّه رحل إلى القاهرة ولم يتم له الحج في هذا العام، ثم يقدم وصفا بديعا للقاهرة[3]، ويبدأ التدريس بالجامع الأزهر، ثم يلتقي السلطان الذي كاتب سلطان تونس للسماح لأهل بالسفر للقاهرة، وتولى أيضا التدريس بالمدرسة القمحية من وقف صلاح الدين الأيوبي، وبعد غضب السلطان من قاضي المالكية، عزله سنة (786هـ/1384م)[4].

بعد عزل القاضي عيّن ابن خلدون قاضيا للقضاة، وأراد رفض ذلك لكن السلطان أكد على التعيين، وأجلسه أيضا بمجلس الحكم بالمدرسة الصالحية[5]، ثم كثرت الدسائس ضده حتى أظلمت العلاقة بينه وبين أهل الدولة، ووافق ذلك غرق أهله، فعظم عليه المصاب، وعزم ترك منصبه، لكن نصحه من استشارهم بالبقاء على رأس

---

[1]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص190.

[2]: هذه القصيدة مدح فيها ابن خلدون السلطان أبا العباس ووردت في حوالي مائة وأربعة وثلاثين بيتا. نفسه، 191 حتى 198.

[3]: نفسه، ص200.

[4]: نفسه، 204.

[5]: نفسه، ص205.

منصبه، ولكنه عزل وبقي ثلاث سنوات بعد ذلك، ثمّ قرر قضاء فريضة الحج، فخرج من القاهرة منتصف شهر رمضان سنة (789هـ/1386م) وسار من السويس، وركب البحر ليصل إلى ينبع ومنها إلى مكّة التي دخلها الثاني من ذي الحجّة، فقضى فرضه وعاد إلى مصر، فولاه السلطان ولاية خانقاه بيبرس ثم عزل منها، وانشغل بالعلم والتدريس، حتى ولاه السلطان ولاية القضاء الثانية بمصر بعد وفاة القاضي ناصر الدين بن التنسي منتصف شهر رمضان سنة (801هـ/1398)[1]، وزار بيت المقدس بعد إذن السلطان، وكانت ولايته الثالثة والرابعة والخامسة للقضاء بمصر بعدها سنة (804هـ/) ثم في عاشر شعبان سنة (807هـ/1404م)، ثم أواخر ذي القعدة من نفس السنة، وبعدها توفي ابن خلدون سنة (808هـ/1405م)[2].

أولى كُتَّاب السير والتراجم عناية خاصة بحياة صاحب أكبر مشروع تاريخي في العصر الوسيط، فاستعرضوا أهم المحطات السياسية، وتجربته الوظيفية، ورحلاته، وتنقلاته في الغرب الإسلامي، ومصر والشام والحجاز، والتي كان لها كبير الأثر في تكوينه العلمي والتاريخي، وبالرغم من مغامراته وتجاربه السياسية، وانشغاله في وظائف إدارية لم يبتعد ابن خلدون عن الحلق العلمية تلقيا وتدريسا، أما الكتابة والتأليف فكان يحتاج إلى تفرغ وخلوة لإتمام مشاريعه حيث يقول:" لم أزل منذ نشأت، وناهزت مكبا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل، متنقلا بين دروس العلم وحلقاته"[3] بفضل تنقلاته بين حواضر المغرب والمشرق الإسلاميين، ومكانته في بلاطات السلاطين والأمراء ممّا مكنه من الإطلاع على الوثائق والمصنفات، وتلقيه العلم على كبار العلماء، فضلا عن صداقته بهم ومجالسته لهم، ولا شك في أن الجزء الأخير من تاريخه " العبر"، والذي ضمّنه رحلته شرقا وغربا خير مصنف عَرَّفنا على نشأة ابن خلدون، وتكوينه، وتقلده للمناصب السياسية

---

[1]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص272.

[2]: نفسه، ص299- 300.

[3]: نفسه، 223.

والإدارية، وتدريسه، وقضائه، وصولا إلى إنتاجه وتأليفه لكتاب" العبر", وقد كرّس الباحثون لدراسة إنتاج ابن خلدون من الأبحاث مما لم يحظ بمثله غيره من مؤرخي العرب، ومفكري الإسلام، والجزء الأول من كتاب " العبر" والذي اشتهر بالمقدمة هو الذي أذاع صيت ابن خلدون، ورفعه إلى مصاف كبار الفلاسفة والمفكرين في العالم.

إن تاريخ ابن خلدون هو أعظم مؤلف تاريخي مثّل الكتابة التاريخية العالمية في شكل جزئي[1]، وقد اختار له عنوانا يظهر ذلك: " العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، وبفضل مقدمته الشهيرة أخذ طابعه العالمي في التداول، والدرس، وبدأ اهتمام الأوربيين بدراسة ابن خلدون ابتداء من منتصف القرن 19م، حين قام دسلان (Ds Slane) المترجم الرسمي للجيش الفرنسي في الجزائر بترجمة الأقسام الخاصة بتاريخ البربر من كتاب " العبر" إلى اللغة الفرنسية، وأتبعه بترجمة الجزء الأول ووسمه بـ:" مقدمات ابن خلدون"، (Les Prolegomenes)، ويعزى للأوربيين إطلاق اسم المقدمة على الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون[2].

وصف ابن خلدون تاريخه بأنة لم يترك فيه شيئا في أولية الأجيال، وتعاقب الأمم، وهو يتكون من ثلاثة أقسام: مقدمة خصصها للحديث عن فنّ التاريخ، والكتاب الأوّل الذي نشر باسم المقدمة، وسماه:" في طبيعة العمران في الخليقة، وما يعرض من البدو والحضر، والتغلب والكسب والمعاش، والصنائع، والعلوم ونحوها من العلل والأسباب"، والكتاب الثاني نقل فيه أخبار العرب وأجيالهم، ودولهم، ومن عاصرهم من أمم الترك، والإفرنج، أما الكتاب الثالث ففيه أخبار البربر ببلاد المغرب، وقد

---

[1]: حول تفرد ابن خلدون في كونه المؤرخ العربي الوحيد الذي كتب تاريخا عاما يحمل الطابع العالمي لتأريخه للأمم الأخرى. انظر: حسين مؤنس، **ابن خلدون جغرافيا**، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد3، 1979م، صص329- 369.

[2]: سعد زغلول عبد المجيد، **ابن خلدون مؤرخا – تاريخ العرب والبربر في كتاب العبر**-، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج14، العدد2، 1983م، ص11.

أهدى ابن خلدون نسخة إلى السلطان أبي فاس عبد العزيز (ابن السلطان أبي الحسن المريني)، ليوقف على خزانة طلبة العلم المرينية بجامع القرويين بفاس[1].

بدأ ابن خلدون الكتابة والتأليف وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، في علوم شتى كأصول الفقه، والتصوف، والتاريخ، وله من المؤلفات التي وصلت إلينا: كتاب "العبر"، و" مختصر أصول الفقه"، و"شفاء السائل في تهذيب المسائل"[2]، و" التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا"[3]، و"لباب المحصل في أصول الدين"، ومنها ما هو ضائع ككتاب " شرح البردة للبوصيري"، و"مختصر في المنطق"، وكتاب" وصف المغرب" الذي ألفه برسم الملك تيمورلنك[4]، و" مختصرات حول مؤلفات ابن رشد"، وشرح الأرجوزة لابن الخطيب[5].

- **ابن خلدون وبداية التأليف في العلوم الدينية والعقلية.**

قبل الحديث عن تفرد ابن خلدون في الكتابة المغاربية، ينبغي التطرق إجمالا إلى تأريخه للعلوم الشرعية، ثم بيان تجاربه في الكتابة والتأليف في مجال العلوم الشرعية، وأثر البعد الديني في توجيه فكره وكتابته، وكذا تكوينه، ودراسته، وأدائه الوظيفي سواء السياسي أو القضائي، ويتفاوت حضور هذا البعد في صناعة ابن خلدون التاريخية عند الباحثين فيكون قويا بالنظر لتكوينه، وماضي أسرته المتدينة المحافظة، أو غائبا عند القول بغلبة الطابع العلمي، والاجتماعي، والسياسي في كتابة ابن خلدون، ويستبعد بعض الباحثين الغربيين الدين في توجيه كتابة ابن خلدون التاريخية، فيقول دي بوير (De Boer) الهولندي" أن الدين لم يؤثر في آراء ابن خلدون العلمية بقدر ما أثرت الأرسطوطالية الأفلاطونية"، ويذكر آخر وهو ناتانيل شميت (N.Shmidt) أن ابن خلدون" إذا كان يذكر خلال بحثه كثيرا

[1]: سعد زغلول عبد المجيد، مرجع سابق، ص12.

[2]: حققه محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1996م.

[3]: طبع الكتاب بتعليق محمد بن تاويت الطنجي، بالقاهرة، 1951م.

[4]: علاوة عمارة، **الغرب من منظور ابن خلدون**، ص248.

[5]: موسى بورحلة، مرجع سابق، 28.

من آيات القرآن فليس لذكرها علاقة جوهرية بتدليله، ولعلّه يذكرها فقط ليحمل قارئه على الاعتقاد بأنّه في بحثه متفق مع نصوص القرآن"، ويقول أيضا المستشرق الألماني فون فيسندنك (Vonwesendonk) أن ابن خلدون" تحرر من أصفاد التقاليد الإسلامية في درس شؤون الدولة والإدارة وغيرها، وأنّه حرر ذهنه كذلك من القيود الفكرية التي ارتبطت في عصره بالعقائد العربية الصحيحة"، وقد حاولت هذه الآراء إخراج ابن خلدون من الدائرة الطبيعية التي عاش فيها، وتحرك خلالها، وتلقى علمه ومواردها في ظلها إلى الأجواء الغربية التي جعلته – حسب رأيهم- مفسرا ماديا للتاريخ، ولا يحسب للمؤثرات الروحية والغيبية حساب، بل صورته أبحاث أخرى بأنه مفكر علماني، وهذا انفصام غريب بين الرجل وبيئته. فابن خلدون ابن بيئة إسلامية شرعية، ومُلمٌّ بمعطيات كتاب الله عزّوجل في حقل التاريخ والاجتماع، وجاءت مقدمته امتدادا للرؤية القرآنية، والتزاما بها في الوقت ذاته، والنصوص الواردة مع كثرتها تؤكد ذلك[1].

وعن كيفية التأريخ للعلوم الشرعية انطلق ابن خلدون من نظريته في تقسيم العلوم إلى قسمين، القسم الأول هو العلوم الحكمية الفلسفية، وهي التي يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، والقسم الثاني العلوم النقلية الوضعية، وهي المسندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، وأصلها الشرعيات[2]، ونجد أن ابن خلدون عدد أغلب العلوم الشرعية، وفصّل فيها بعرض كلاسيكي تقليدي، وبأبعاد حاول فيها التجديد بإبراز أهميتها في العمران البشري، عن طريق توظيف منهجه التاريخي. لقد كان ابن خلدون من أبرز علماء الشريعة، كفقيه، وعَلَمٌ من أعلام المذهب المالكي، قبل أن

---

[1]: حول الأثر الديني ودروه في توجيه كتابة ابن خلدون التاريخية من خلال المقدمة انظر: عماد الدين خليل، **حول إسلامية تفسير ابن خلدون للتاريخ**، مجلة جمعية المسلم، الصادرة عن جمعية المسلم، العدد32، شوال- ذو الحجة، 1982م، صص25-49.

[2]: لبيان كيفية تناول ابن خلدون للعلوم الشرعية من خلال تاريخي" العبر"، انظر: نور الدين الخاتمي، **علوم الشرع عند ابن خلدون**، مجلة المشكاة، جامعة الزيتونة، تونس، العدد4، 2006م، ص ص 119- 158.

يكون مؤرخا وسياسيا، لذا جاء البعد الديني والمنطلق الإسلامي في الكتابة واضحا، ولأن ابن خلدون طمح إلى تأسيس علم شمولي يمكن أن يحمل اسم تاريخ أو سوسيولوجيا أو انتروبولوجيا، فهو يتحرك في أفق الإسلام كونه متشبع بالثقافة الإسلامية، وغالبا ما يؤكد على الدين من خلال نصوص المقدمة، وكثيرا ما يربط بين الحركات السياسية، والمذاهب الدينية[1].

وبخصوص التأليف في الشرعيات قال ابن خلدون بتهذيب واختصار كتاب الرازي (ت 606هـ/1209م) " محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء" نظرا لما وجده من إطناب في العرض[2]، وكان ذلك سنة (752هـ/1351م)، حيث يقول:"...كشف القناع عن وجوه أنظار مدخراته، ولبيان الخلل في مكامن شبهاته، والتدليل على غثه وسمينه، وليبين ما يجب أن يبحث عنه من شكّه؛ ويقينه"[3].

كما اشتغل ابن خلدون على كتاب " شفاء السائل لتهذيب المسائل" الذي يؤرخ لزهاد ومتصوفة مدينة فاس، ويذكر أقوالهم، وطريقهم في السير[4]، وبالرغم من إهمال ابن خلدون لكثير من الشخصيات الدينية في الغرب الإسلامي، وتركيزه على تطور الحياة الدينية في بلاد الأندلس أكثر من بلاد المغرب، إلا أنّ مقدمته يمكن أن تشكّل مصدرا رئيسيا من مصادر تتبع تطور تاريخ العلوم الدينية في كلا البلدين[5].

---

[1]: انظر. جوج لابيكا، **السياسة والدين عند ابن خلدون**، ترجمة موسى وهبة، وشوقي الدويهي، ط1، دار الفرابي، بيروت، 1980م، ص11.

[2]: عبد الرحمن بن خلدون، **لباب المحصل في أصول الدين**، تحقيق عباس محمد حسن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م، ص60.

[3]: انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، 3/ 1025/ 1026/ 1036.

[4]: إسماعيل سراج الدين، **ابن خلدون انجاز فكري متجدد**، مكتبة الإسكندرية،مصر، 2008م، ص43.

[5]: كعامر أحمد القبج، **رؤية ابن خلدون للعلوم الدينية في المغرب والأندلس من خلال مقدمته: دراسة تحليلية ونقدية مقارنة**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، مج35، العدد139، صيف 2017م، ص116.

أما كتابة ابن خلدون في العلوم العقلية فكان ذلك نتيجة تأثره الكبير بشيخ العلوم العقلية ببلاد المغرب[1] محمد بن إبراهيم الآبلي[2]، الذي مكّنه من وسائل غير معهودة دفعته إلى فتح آفاقه على حقول جديدة للمعرفة، لم يوفرها له محيطه العائلي، ولا حلقات الدرس في الجامع، فانبهر بشيخه لامتلاكه طريقة تبليغ فريدة من نوعها، وكان قد تعرّف عليه وهو في السادسة عشرة من عمره، بينما كان الآبلي في أواخر العقد السابع من عمره. لقد اعتمد الآبلي على " موجز" أفضل الدين الخونجي[3] في المنطق، والذي شرحه المقري في كتاب" شرح جمل الخونجي"، ثمّ اخذ ابن خلدون هذه الشروح على شيخيه الآبلي، والمقري، كما اهتم بالحساب على عادة شيخه فكتب كتابا فيه، ولخّص كتب ابن رشد، وشرح رجز ابن الخطيب في أصول الفقه[4]، وباهتمام ابن خلدون بالعلوم العقلية والنقلية والكتابة فيهما، أثبت موسوعيته في بدايات حياته العلمية.

وفضلا عن تأثير الآبلي في مسيرة ابن خلدون العلمية، وردت بعض بصماته في مروياته وكتابته التاريخية. فالآبلي يُعَدُّ من أهم مصادر ابن خلدون في بعض الأخبار التي رواها في تاريخه، ومن الأحداث التي شاهدها وعاينها، كوصية يغمراسن لابنه والتي ينهاه فيها عن مجاراة بني مرين بسبب قوتهم حيث يقول:"

---

[1]: في كتابه " اللباب المحصل في أصول الدين" والذي كتبه ابن خلدون بتونس وهو لم يتجاوز العقد الثاني من عمره، أورد ابن خلدون وصفا خاصا فيه تجلة ووقار لشيخه محمد بن إبراهيم الآبلي الذي أولاه اهتماما كبيرا، وقدّمه على جميع شيوخه نتيجة أفضاله الكثيرة عليه في مسيرته العلمية.

[2]: لمعرفة تفاصيل حياة الآبلي، وتكوينه في العلوم العقلية انظر: ابن مرزق، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم، محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص633، ويحيى بن خلدون، **بغية الرواد**، 57/1، وابن مريم، **البستان**، 214-219.
الجطنية للنشر والتوزيع،1881م، ص 633.

[3]: هو أبو عبد الله أضل الدين محمد بن ناماورا الخونجي (ت 646هـ/1248م)، سيد العلماء والحكماء، تميز في صناعة الطب والفلسفة، والمنطق، وله مؤلفات عديدة. انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص541-542.

[4]: لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، دار الكتب العلمية، بيروت،2003م،ج03،ص507.

فإياك واعتماد لقائهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك"[1]، وتعتبر هنا روايات الآبلي مصدر ابن خلدون في حديثه عن الأيام الأخير للحصار الطويل الذي ضربه بنو مرين على تلمسان، ويشير ابن خلدون إلى ذلك بقوله:" حدثني شيخنا محمد بن إبراهيم الآبلي" ثم ينقل خبر رفع الحصار[2]، كما نقل ابن خلدون بعض مصادر الضرائب في الدولة المرينية عن شيخه الآبلي أيضا، وحول التعليم وتراجعه يتوافق رأي ابن خلدون مع رأي شيخه الذي روي عنه قوله:" إنما أفسد العلم كثرة التأليف، وأذهبه بنيان المدراس"[3].

ومع أن الآبلي كان رجل تعليم وتبليغ بالدرجة الأولى، ولا نعلم أنه كتب مؤلفا، ولكن من خلال ما كتبه تلاميذه خصوصا ابن خلدون تتضح أفكاره حول التعليم بحيث رأى أن المدرسة فضاء لشحذ الأذهان، فنجد ابن خلدون كتلميذ له يندد بما آلت إليه وضعية التعليم ببلاد المغرب على عهده، ومن المظاهر التي انتشرت كثرة الاختصارات المخلّة بالتحصيل، وخصص لذلك فصلا في مقدمته بعنوان: "في أنّ كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل"، وكان شيخه الآبلي يرفض " تقييدات الجهلة"، وقد عبَّر عن ذلك تلميذه ابن عرفة الذي اعتبر التكرار " تخسير للكاغد"[4]، ولم يكن الآبلي بنقده لكثره المدارس يرفض التطور العمراني للمدينة، وإنما هي إشارة إلى تأثير البلاط في توجيه التعليم، وإبعاده عن النقد إلى التهليل لخيارات الحاكم[5].

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 444/7.

[2]: مصطفى نشاط، **الآبلي (757هـ/1356م) شيخ ابن خلدون في العلوم العقلية، مسار عالم غامض**، أعمال اليوم الدراسي: مسالك الثقافة والمثاقفة في تاريخ المغرب – أعمال تكريمية مهداة للأستاذ السعيد لمليح، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مكناس، 2016م، ص208.

[3]: ابن مريم، **البستان**، ص217.

[4]: مصطفى نشاط، مرجع سابق، ص209.

[5]: نفسه، ص210

إن جملة الأحداث التي رواها ابن خلدون عن شيخه الآبلي، أو يُفهم أنه وافق شيخه فيها في تاريخه" العبر" تتعلق في الغالب بتاريخ بني عبد الواد بتلمسان خصوصا الأحداث الأخيرة للحصار الطويل الذي ضربه بنو مرين على المدينة، والقرارات السياسية والعسكرية التي صاحبت ذلك.

- **بيئة المغرب السياسية وظهور ابن خلدون المؤرخ:**

تكوّن ابن خلدون أوّل الأمر على علماء تونس، وفيها خدم البلاط الحفصي ككاتب علامة[1]، ونتيجة مغادرة شيوخه الوافدين على تونس مع السلطان أبي الحسن المريني، قرر ابن خلدون الرحيل إلى المغرب الأقصى، وهناك كان منعطفه الحاسم في توجهه التاريخي، ومن ثمّ تكوينه. الوضع الذي سوف يحدد ماهيته كمؤرخ، في الحاضرة المرينية فاس التي شكّلت منهلا لمعارفه التاريخية، بعد أن تلقى ذلك على عدد من الشيوخ. بالرغم من أن ابن خلدون لم يتكون في البداية كمؤرخ، ولم ترد أي إشارة لمؤلف تاريخي له عند الذين ترجموا له خصوصا صديقه صاحب كتاب" الإحاطة" لسان الدين بن الخطيب في الفترة الأولى من حياته قبل سنة (765هـ/1363م)، كما لم يُشر ابن خلدون نفسه في " التعريف" إلى أي مؤلف تاريخي يكون قد كتبه من قبل، ومع ذلك يقول الحاجري: لم يَكَدْ يُعْرَفُ، أو يُذْكَر إلا بكتابيه في هذا الفنّ " العبر" ومقدمته الشهيرة[2].

وما يؤكده الطالبي أن اتجاه ابن خلدون إلى التاريخ كان منعرجا مفاجئا وحاسما، فقد أراد أن يعتبر ويفهم، وقد تجاوز الأربعين من عمره، وحتى يضع الأحداث في إطارها وسياقها اعتزل بقلعة بني سلامة أربع سنوات (776-

[1]: ابن خلدون، **الرحلة**، ص65.

[2]: فيروز عثمان صالح عثمان، **منهج الكتابة التاريخية عند ابن خلدون**، مجلة آداب، كلية الآداب جامعة الخرطوم، السودان، العدد4، ديسمبر 2006م، ص42.

780هـ/1375-1379م) ليصبح أحد أعظم مؤرخي العصر الوسيط، ولم يسبق له أن ألف في التاريخ أو كتب فيه[1].

وبالرغم من قلّة المصادر التاريخية التي تحدثت عن تكوين ابن خلدون التاريخي إلا أن ما ذكره في رحلته قد يعين الباحث على رصد بعض المشايخ الذين اهتموا بالرواية التاريخية، وأخذ عنهم على غرار، المقري التلمساني (ت 758هـ/1356م)، وأبو القاسم الشريف (ت 760هـ/1358م)، وابن الحاج البلفيقي (771هـ/1396م)، وأبو عبد الله الشريف (ت 771هـ/1396م). لقد ساءت أوضاع مغرب ما بعد الموحدين، بسبب التناحر بين الكيانات المدعية للإرث الموحدي، المرينيون بفاس، وبنو عبد الواد بتلمسان، وبنو حفص بتونس، وبنو الأحمر بغرناطة، ولكن ابن خلدون لم يتوقف عن طموحه السياسي في بلوغ مناصب عالية في الدولة، ومغامراته في التنقل بين البلاطات، وتغيير ولائه للسلاطين، وقد بلغ مناصب سبق ذكرها مثل: كتابة العلامة للسلطان، والوفادة كسفير في الأندلس، وتولي الحجابة ببجاية، مع عدم انقطاعه عن التعليم بمساجد كبرى حواضر المغرب الإسلامي، كلُّ هذا مكّنه من معرفة الواقع السياسي لبلاد المغرب، وهكذا فهم الدور الذي يلعبه التاريخ في تحريك القبائل في منطقة المغرب، خاصة وقوفه على الصراعات القبلية، ومدى حضور القبيلة فيها كمكون رئيسي، الشيء الذي أعاد فكرة طرح مشروع مصنف تاريخي كالعبر.

2- العِبَر والتفرد في الكتابة التاريخية المغاربية.

يبدو أن التغير والتبدل الذي شعر به ابن خلدون في الكون من حوله، وفي واقع الحياة ببلاد المغرب؛ هو الذي دفعه إلى كتابة مؤلفه التاريخي العام حيث يقول:" ...وإذا تبدلت الأحوال جملة، وكأنما تبدل الخلق من أصله، وتحول العالم بأسره، فاحتاج لهذا العهد من يدوّن أحوال الخليقة..."[2]، ووصف ابن خلدون هذا

---

[1]: فيروز عثمان صالح عثمان، مرجع سابق، ص43.

[2]: ابن خلدون، **المقدمة**، ص32.

التبدل بالانقلاب " وأما لهذا العهد؛ وهو آخر المائة الثامنة، فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه، وتبدلت بالجملة"[1]، وتبدو فكرة كتابة تاريخ عام للعالم واضحة من خلال ما صرح به من سبب للتأليف.

لقد جعل ابن خلدون سبب التبدل في الواقع حوله سببين أولهما هجرة عرب بني هلال، والعامل الثاني انتشار جائحة الطاعون، " ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم، وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها"[2].

عندما طرح ابن خلدون في مقدمته مفهوما للتاريخ على أنه في ظاهره لا يزيد عن أخبار الدول من القرون السابقة وفي باطنه تحقيق وتعليل وعلم بكيفيات الوقائع و أسبابها، لأنه في الحكمة عريق [3]، كان هذا التعريف في حد ذاته انقلابا علميا في الكتابة التاريخية التي كانت تعتمد على سرد الوقائع كما جاءت وعدم النظر فيها،" فالأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة وطبيعة العمران، والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالغائب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلّة القدم، والحيد عن جادة الصواب"[4]. وهنا يجب التنويه إلى أن مدركات ابن خلدون العقلية، واهتمامه المبكر بالعلوم العقلية مثلما تم الإشارة إليه سابقا، دفعه لكي يتخذ موقف المتحفظ من الخبر التاريخي، وفحصه ليقبله قانون الواقع، خاصة في مدونات المؤرخين المشرقيين التي سبقته مثل الطبري، والمسعودي، والبلاذري، فكان تفرده بأن وضع مجموعة من المبادئ تجعل من الخبر التاريخي مقبولا، "فاستبعد عددا من الأخبار على أنها

[1]: ابن خلدون، **المقدمة**، ص32.

[2]: نفسه، ص33.

[3]: نفسه، ص6.

[4]: نفسه، ص13.

محض اختلاق غير ممكنة الحدوث بسبب طبائع العمران وقوانينه، وشك في صحة الكثير منها"[1].

إن تفرد ابن خلدون في الكتابة التاريخية حتّم عليه أن يتبع منهجا خاصا به، تحدد في ميزات تمثلت في كون ابن خلدون لا يعرف التاريخ إلا مقترنا بصفة الحقيقة، تأكيدا منه على أنّه علم، ويقوم على أسس موضوعية بتوفر شرط الإخبار الصادق عن موضوعه، وتكون الأخبار قابلة للتحقق من صحتها بكل البراهين التجريبية والعقلية، فحقيقة التاريخ عنده هي خبر عن الاجتماع الإنساني، الذي هو عمران العالم، وما يعرض له من توحش، وتأنس، وعصبيات، وما ينتحله البشر بأعمالهم، ومساعيهم من الكسب والمعاش وغيرها[2].

وللعلم بقواعد السياسة والعمران، رأى ابن خلدون أنه على المؤرخ الاستعانة بمجموعة من الأدوات، والمؤهلات التي تمنحه حق السعي وراء الحقيقة التاريخية،" يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة، وطبائع الموجودات، واختلاف الأمم والبقاع، والأمصار في السير، والأخلاق، والعوائد، والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف"[3]. فالمجتمعات الإنسانية تتشابه من عدّة وجوه، وهذا التشابه يرجع إلى وحدة العقل البشري[4].

كذلك حدد ابن خلدون شرطا آخر وهو التطور، فرأى أن الأمم تتبدل حسب الزمن والحال، والتشابه ليس مطلقا"، وذلك أن أحوال العالم، والأمم، وعوائدهم ونحلهم، لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر، وإنما هو اختلاف على الأيام

---

[1]: علي عبد الواحد وافي، **عبقرية ابن خلدون**، ط2، عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، 1404/ 1984م، ص122.

[2]: ابن خلدون، **المقدمة**، ص14.

[3]: نفسه، ص37.

[4] طه حسين، **فلسفة ابن خلدون الاجتماعية**، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1343 هـ/ 1925م، ص 43.

والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق، والأقطار، والأزمنة والدول"[1].

استخدم أيضا ما يسمى القياس كقاعدة لمنهجه، وهذا للاستدلال على صحة مبادئه العمرانية ومن أمثلة ذلك " أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة"[2]. هنا ينتقد ابن خلدون من سبقه من المؤرخين معتمدا على هذا المبدأ، فيعلل ذلك بأن "كثيرا ما وقع المؤرخون والمفسرون وأئمة النقل من المغالط، وفي الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أوسمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سيروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر، والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط"[3].

ويرى ابن خلدون كذلك أن على المؤرخ معرفة طبائع العمران، فلكل حادث محدث، وبذلك لم يصبح التاريخ سردا للحادثة بل هو على حد قوله "...نظر وتحقيق، وتعليل..."[4]، فإذا كان للحدث التاريخي محدث فحتما سيفضي إلى النتيجة وهذه العلاقة المتلازمة وظفها ابن خلدون تحت مسمى السببية[5].

ولم يكن لابن خلدون أن يعطي هذا البعد لتفسير الوقائع والأحداث، ولا يؤكد على ارتباط كل ذلك بالمجتمع بهذا الطرح المتميز، لولا أنّه وقف في تأليف سلفه من المؤرخين على خلل الصلة بين ما يرويه هؤلاء، وبين ما يقع فعلا في حياة الأفراد

---

[1]: ابن خلدون، **المقدمة**، ص37- 38.

[2]: نفسه، ص 204.

[3]: نفسه، ص 13.

[4]: نفسه، ص6.

[5]: عبد القادر عرابي، **قراءة سوسيولوجية في منهجية ابن خلدون " الفكر الاجتماعي الخلدوني"**، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004 م، ص52.

داخل المجتمع، إذ حصروا مهمتهم في رواية الخبر لاحقا عن سابق، دون ردّها إلى أصولها الاجتماعية، وسياقها الذي حدثت فيه، ودون التحقق من صحتها[1].

لقد غفل المؤرخون الذين انتقدهم ابن خلدون عن كون الخبر التاريخي ليس إلا تابعا للوقائع التي يخبر عنها، وأنّه على خلاف ذلك تتمتع الوقائع الاجتماعية بوجودها المستقل، فلا يغير فيها شيئا كون التاريخ تجاهلها أو أخبر عنها، وهو لا يكون صحيحا إلا إذا استمد صدقه من مطابقته لها، وعليه فإن التاريخ لا ينتظم كعلم وضعي إلا بموجب قانون المطابقة الذي اعتبره ابن خلدون قانونا أساسيا في المنهجية المطبقة في التاريخ، وفي سائر العلوم الاجتماعية، وليست القواعد الأخرى كتحكيم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران، والأحوال في الاجتماع الإنساني، وقياس الغائب بالشاهد، وغيرها إلا قواعد ثانوية لتحقيق قانون المطابقة، ولا يمكن حسب رأي ابن خلدون تطبيق هذا القانون دون علم بطبائع العمران، والأحوال في الاجتماع الإنساني، وهذا ما غاب في كتابات المؤرخين السابقين لابن خلدون حتى الكبار منهم، كونهم لم يحكموا العقل فيما نقلوه، ولم يخضعوا الرواية للتحليل والنقد فوقعوا في المغالط والمزلات[2] بسبب أخطاء كبرى نجملها في: التشيعات للآراء والمذاهب، والثقة بالناقلين، والذهول عن مقاصد الحدث الذي عاينه أو الخبر الذي سمعه[3].

أما عن مبدأ الإمكان والاستحالة فيقول ابن خلدون" وأما الأخبار عن الواقعات فلا بد في صدقها، وصحتها من اعتبار المطابقة، فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعها"[4]، فهو يرى أن الخبر التاريخي يجب أن يحاكم على أساس سلوك

---

[1]: محمد مأمون حمداوي، **سؤال المنهج عند ابن خلدون**، مجلة أوراق فلسفية، العدد 39، جامعة وهران، الجزائر، يناير 2013م، ص262.

[2]: نفسه، ص263.

[3]: نفسه، 263.

[4]: ابن خلدون، **المقدمة**، ص49.

طريق التعديل (تعديل الرواة)[1]، فهو بذلك يرفض الخبر إذا استحال وقوعه بغض النظر عن راويه.

بالرجوع إلى كتاب " العبر" الذي قال عنه مصنفه" فأنشأت في التاريخ كتابا رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجابا...وبينته على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب في هذه الأعصار...ومن سلف الملوك والأنصار، وهم العرب والبربر، إذ هما الجيلان اللذان عرفا بالمغرب مأواهما..."[2]، فهل كان قصد ابن خلدون هو تدوين الاوضاع المتغيرة في العالم بوجه عام؟، أم أنّ الأمر يتعلق بإعادة كتابة تاريخ العالم أم بحقل جغرافي محدود، وهذه المسألة تقودنا إلى تعيين نوع التاريخ الذي يتضمنه كتاب " العبر"، فهل هوكتاب في التاريخ العام أو هو – كما قصد مؤلفه في البداية – كتاب خاص بتاريخ الشعبين القاطنين بالمغرب، أي العرب والبربر، وهل نحن أمام روايتين لكتاب " العبر"، الأولى هذي التي تمثلها النسخة التي أتمها في تونس، والمخصصة أساسا لتاريخ الشعبين المذكورين، والثانية هي التي طورها خلال السنوات الثلاث والعشرين الأخيرة من حياته، أي أثناء إقامته بمصر[3].

ومن هنا يتضح أن مشروع ابن خلدون كان محليا وليس عالميا في البداية، لكن هجرته إلى مصر دفعته إلى زيادة أجزاء جديدة في مؤلفه مقارنة بإصداره الأول الممثل في نسخة تونس، وقد أصدر ابن خلدون بعدها نسختين في مصر عُرِفَت الأولى بالظاهرية نسبة إلى السلطان الظاهر برقوق، ونُسَخَت سنة (797هـ/1394م)، أما النُسخة الثانية والأخيرة من كتاب " العبر" فنسبت إلى السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز، وحملت اسمه" الفارسية"، وكان نسخها في سنة (807هـ/ 1405م).

---

[1]: زهية قدورة، **ابن خلدون والحقيقة التاريخية**، مجلة المؤرخ الغربي، منشورات الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العراق، عد01م، 1975م، ص57.

[2]: ابن خلدون، **المقدمة**، ص285.

[3]: علي أومليل، **الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون**، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب- 2005م، ص88.

مادام ابن خلدون قد صرح أن عمله التاريخي كان محليا مقتصرا على بلاد المغرب فقط، فهذا يؤكد أن مصادر مصنفه كانت مغربية، والظاهر أنه اطلع عليها قبل مغادرته بلاد المغرب قاصدا مصر، فتونس الحفصية حاضرة عُرفت بكثرة خزائن الكتب والمصنفات، غير أن ضياع أوّل نسخة محلية تونسية لعبر ابن خلدون، عسّر وبشكل كبير إمكانية معرفة روافده التي اعتمدها، ومصادره التي نقل عنها، وقد يكون لمرويات شيوخه - كما سبق وذكرنا الآبلي كرافد شفوي لعبر ابن خلدون-، الدور الأكبر من جملة الذين اعتمد عليهم لتأليف كتابه.

إنّ الجزء الذي أضيف لكتاب " العبر" في مصر أساسي، فمكتبات القاهرة، ومكّة، ودمشق، وعلاقة ابن خلدون بالتجار والموظفين ورجال الدولة أتاح له كل ذلك الوصول إلى كم معلوماتي معتبر عن تاريخ المشرق فزاد معه حجم الكتاب الذي تجاوز حدود المشروع المُعدّ في قلعة بني سلامة، ويبدو أن ما أضافه ابن خلدون أدمج بشكل منهجي في كتابه[1].

- **العبر والمصادر المغاربية التي اعتمد عليها ابن خلدون.**

استطاع ابن خلدون في كتابه العبر في الجزء الذي تحدث فيه عن تاريخ المغرب وقبائله وأهم الدول التي قامت فيه، أن يستعين بمصادر عوّل عليها كثيرا، خاصة وأنه كان قد اتصل بخزائن الكتب بتونس، لكن الحديث عن هاته المصادر يجعلها تنقسم إلى قسمين: المكتوبة منها والشفوية وحتى المشاهدة، لكن رغم ذلك هنالك مصادر حفلت بها النسخة التونسية من العبر أصبحت في حكم المجهول، لهذا تبقى النسخة المصرية وما حوته من مصادر هي المعتمدة في هذا الباب،وسنحاول تتبع المصادر المكتوبة التي اعتمد عليها بداية بالمكتوبة.

[1]: علي أومليل، مرجع سابق، ص89.

- **المصادر المكتوبة:**

من المؤرخين الذين أخذ عنهم: أبو الحسن النوفلي(3هـ/9م)[1] والرقيق القيرواني(420هـ/1029م)[2] وابن سعيد القرطبي(370هـ/980م)[3]، ابن أبي الصلت (529هـ/1134م)[4]،الوراق (555هـ/1160م)[5]، الإدريسي (560هـ/1164م)[6]، البيذق(6هـ/12م)[7]، ابن حزم (456هـ/1063م)[8] ،ابن عبد البر (463هـ/1070م)[9]، البكري(480هـ/1094م)[10]، السهيلي (581هـ/1185م)[11]، ابن بشكوال (578هـ/1183م)[12]. ابن حمادو البرنسي(628هـ/1230م)[13] ابن القطان (628هـ/1230م)[14]، ابن رشيق المرسي(677ه لايزال حيا/ 1278م)[15]، التيجاني (717هـ/1317م)[16]، ابن أبي زرع الفاسي لا يزال حيا (726هـ /1325م)، ابن نخيل (618هـ/1221م)[17]، ابن سعيد (685هـ/1276م)[18]، ابن المرحل(699هـ/1299م)[1]. بالإضافة إلى بعض النسابة البربر.

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، مراجعة سهيل زكار، دار لفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/2000م، بيروت، لبنان، 258/3.

[2]: ابن خلدون، **العبر**، 57/4.

[3]: نفسه، 114/4.

[4]: نفسه، 222/6.

[5]: نفسه، 222/6.

[6]: نفسه، 127/4.

[7]: نفسه، 370/6.

[8]: نفسه، 09/2.

[9]: نفسه، 122/6.

[10]: نفسه، 396/2.

[11]: نفسه، 24/2.

[12]: نفسه، 204/4.

[13]: نفسه، 235/6.

[14]: نفسه، 301/6.

[15]: نفسه، 301/6.

[16]: نفسه، 111/6.

[17]: نفسه، 301/6.

[18]: نفسه، 301/6..

هذا الكم من المؤرخين حاول ابن خلدون من خلالهم تشكيل معالم لتاريخ المغرب اعتمادا على مروياتهم التي كانت المصادر الوحيدة التي دونت تاريخ المغرب من الفتح لغاية القرن (8هـ/14م) من أمثلة ما ذكره ابن خلدون عن تلك المصادر قوله" هكذا نقل أبو محمد التيجاني في رحلته"[2]، وقوله"قال أبو عمر بن عبد البر في كتابه التمهيد في الأنساب"[3]، وقوله "وقد أبطله إمام النسابين والعلماء أبو محمد بن حزم، وقال في كتاب الجمهرة"[4]، وقوله"ذكره غريب بن حميد في تاريخه"[5]، وقوله"وقد ذكرهم ابن الخطيب في تاريخ غرناطة"[6] وقوله" وهذا ما حدث به ابن الرقيق من أخبارهم"[7] وقوله"صاحب المسالك و الممالك"[8]، أما عندما يريد أن ينسب الكلام إلى النسابة البربر فيقول" وزعم بعض الإخباريين من البربر ووقفت على كتابه"[9] ، ولعل أهم النسابة الذين أخذ عنهم هم: سالم بن سليم المطماطي وهاني بن مسرور الكومي وكهلان بن أبي لوا، وأيوب بن يزيد[10]. وتارة ينسب المرويات إلى مؤرخين من المغرب لا يذكر أسمائهم فيقول "وفي بعض تواريخ المغرب"[11] ويقول"وذكر بعض المؤرخين"[12] و"ذكر بعض الإخباريين"[13]، هذا ما يشير إلى وجود مصادر مكتوبة سكت عن ذكر أصحابها عمدا وهذا لأسباب تبقى مجهولة؟

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 123/6.
[2]: نفسه، 95/6، 111.
[3]: نفسه، 126/6.
[4]: نفسه، 127/6.
[5]: نفسه، 172/6.
[6]: نفسه، 522/7.
[7]: نفسه، 58/7.
[8]: نفسه، 266/6.
[9]: نفسه، 164/6.
[10]: نفسه، 124/6.
[11]: نفسه، 180/6.
[12]: نفسه، 25/7.
[13]: نفسه، 80/7.

ومن المرجح أن تلك المصادر التي وقعت بين يدي إبن خلدون كانت محلية عنت بتاريخ بعض القبائل في حيز جغرافي محدود، ولعدم شهرتها رأى أنه من غير الضروري إحالة القارئ عليها. على ذكر المصادر كان ابن خلدون كثيرا ما يبين قصور المصادر في ذكر قبيلة أو بطن بربري حاول تتبع تاريخها إذ يقول في ذلك " وأما زواغة فلم يتأد إلينا من أخبارهم وتصاريف أحوالهم ما تعمل فيه الأقلام"[1] وقوله " لم لم أقف على أسماء هؤلاء إلا أنهم أمراء بأغمات"[2].

كذلك استعمل ابن خلدون في كتابته التاريخية نقلا عن المصادر المغربية خاصية الإشارة إلى بدء كلام المصدر ونهايته فكان يقول عندما يبدأ "قال، حكى،ذكر،" وفي النهاية يقول مثلا " وقد إنتهى بنا الكلام إلى أنسابهم وأوليتهم"[3]، وكان أيضا يشير إلى صاحب الكتاب وعنوانه .

- **المصادر الشفوية والمشاهدة.**

مثلت المصادر الشفوية لابن خلدون في المغرب ركيزة لا يمكن الاستغناء عنها، بدءا بمرويات العاملين في الدولة من رسل وسفراء وأصحاب مهمات من الذين أخبروه عن بعض الأحداث والوقائع، وذكر ذلك قائلا" وذكر لي بعض قهارمة الدار"[4] و"أخبرني الفقيه أبو إسحاق الحسناوي كاتب الموحدين بتونس"[5]. يبدو أن ابن خلدون خلال مكوثه في مصر كانت بعض أخبار المغرب تصله عن طريق الحجيج الذين اتخذوا مصر قاعدة استراحة، وفيها يقول " ثم ركبت البحر في منتصف أربعة وثمانين وسبعمائة....ثم صارت أخبار المغرب تبلغنا على ألسنة الواردين"[6] .

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 170/6.

[2]: نفسه، 62/7.

[3]: نفسه، 58/6.

[4]: نفسه، 351/7.

[5]: نفسه، 703/7.

[6]: نفسه، 574/6.

وعندما أراد ابن خلدون التأريخ لبلاد التكرور كانت راوية فقيه غانة الشيخ عثمان مصدرا له،حيث يقول"واخبرني الشيخ عثمان فقيه أهل غانية وكبيرهم علما ودينا وشهرة، قدم مصر سنة تسع وتسعين وستمائة حاجا بأهله وولده ولقيت بها"[1]، كذلك قوله:"قال الحاج يونس ترجمان هذه الأمة بمصر"[2] وقوله"أخبرني القاضي الثقة أبو عبد الله محمد ابنوافسول من أهل سجلماسة، وكان أوطن في بلادهم واستعملوه في خطة القضاء بما لقيه منذ سنة ست وسبعين وسبعمائة فأخبرني عن ملوكهم بالكثير مما كتبته"[3].

أما عندما أرخ للقبائل و أنساب البربر فذكر عدة روايات شفوية، فكان يقول"ذكر لي سلام شيخ أولاد التركية"[4] " وأخبرني بعض حادثة بن سنبس"[5] و" أخبرني من أثق به من الهلاليين"[6] و " سمعت من مشايخهم"[7] و "أخبرني يوسف بن علي ثم غانم عن شيوخ قومه"[8] ، و"أخبرني طلحة بن المظفر من شيوخ العمارية أحدى بطون المعقل"[9] و "...فيما حدثني به محمد بن يحي بن أبي طالب العزفي آخر آخر رؤساء العزفيين بسبتة"[10] و "أخبرني بذلك الثقة عن إبراهيم بن عبد الله التمروغني قال وهو نسابة زناتة لعهده"[11] و قوله" سمعت عريف بن يحي أمير سويد من زغبة وشيخ المجالس الملوكية لزناتة"[12].

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 266/6.

[2]: نفسه، 286/6.

[3]: نفسه، 269/6.

[4]: نفسه، 07/6.

[5]: نفسه، 08/6.

[6]: نفسه، 26/6.

[7]: نفسه، 75/6.

[8]: نفسه، 61/6.

[9]: نفسه، 144/6.

[10]: نفسه، 501/6.

[11]: نفسه، 63/7.

[12]: نفسه، 123/7.

أما اعتماده على المشاهدة في تدوين مروياته فكانت تعتمد على سماعه بالدرجة الأولى، وقد صرح بذلك في مناسبة قائلا" هذا ملخص الكلام في شعوب زناتة وأنسابهم بما لا يوجد في كتاب"[1]، وقوله" ووقفت على برنامج الهدية بخط أبي أبي الفضل بن أبي مدين هذا الرسول ووعيته وأنسته"[2] وكان ذلك بمناسبة هدية السلطان أبي الحسن إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقوله كذلك" فكتب له كتابا قرعه فيه وقفني عليه الحاجب ببجاية أيام كوني معه"[3] ، وقوله "وكان بعث إلي مع كتابه نسخة كتابه إلى السلطان ابن الأحمر صاحب الأندلس عندما دخل جبل الفتح،وصار إلى إيالة بني مرين...وأن مثله لا يهمل من مثل هذا الكتاب"[4] . كذلك كان في بعض الأحداث فاعلا سياسيا، فشاهد ودوّن قائلا "وانتهيت اليهم فحفظت عليهم الشأن في جواره لما كانت مرضاة السلطان،وحذرتهم شأن أبي حمو وبني عامر..."[5] ويقول أيضا"وأوفدت أنا عليه يومئذ مشيخة الذواودة، فأوسعهم حبا وكرامة وكرامة وصدروا مملوءة حقائبهم خالصة قلوبهم منطلقة بالشكر ألسنتهم"[6].

- **المصادر المشرقية في العبر وكتابة تاريخ عالمي:**

كما أشير إلى ذلك سابقا، فإن ابن خلدون لم تكن له نية كتابة تاريخ عالمي للمشرق والمغرب "وأنا ذاكر في كتابي هذا ما أمكنني منه في أخبار هذا القطر المغربي...دون ما سواه من الأقطار لعدم إطلاعي على أحوال المشرق وأممه، وأن الأخبار المتناقلة لا توفي كنه ما أريده منه"[7]. لكن بعد هجرته لمصر تغير مشروعه التاريخي من المحلي إلى العالمي، وهذا بسبب وفرة المصادر الإخبارية في خزائن

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 09/7.

[2]: نفسه، 351/7.

[3]: نفسه، 388/7.

[4]: نفسه، 586/7.

[5]: نفسه، 177/7.

[6]: نفسه، 177/7.

[7]: ابن خلدون، **المقدمة**، ص326.

المكتبات بمصر، الأمر الذي دفعه لإعادة بعث مشروعه في كتاب واحد يتطرق فيه إلى تاريخ عالمي. لكن الأمر الذي يدفع إلى التساؤل هو كيف استطاع بعض المؤرخين المغاربة الذين عملوا على إنتاج كتاب تاريخي عالمي يضم المشرق والمغرب بأن يدونوا أخباره في ظل شح المصادر المكتوبة ؟ ونقصد مشروع ابن عذارى المراكشي وابن سعيد المغربي، ولعل الجواب على هذا يتضح في أن ابن خلدون لما تحدث عن المصادر المشرقية وصفها بأنها قليلة ولا تخدم مشروعه العالمي، لهذا كانت وجهة نظره أن تلك المصادر المتداولة في حيز المغرب لا تؤهل لكتابة مدونة تاريخية عالمية.

يتحدث ابن خلدون على مشروعه التاريخي العالمي بأنه قد وجد المناخ المناسب لتجسيده واقعا، وهذا كما قال" ثم كانت الرحلة إلى المشرق لاجتلاء أنواره...والوقوف على آثاره ودواوينه وأسفاره، فأفدت ما نقص من أخبار ملوك العجم بتلك الديار ودول الترك فيما ملوكها من الأقطار، واتبعت ما كتبته في تلك الأمصار وأدرجتها في ذكر المعاصرين لتلك الأجيال من أمم النواحي وملوك الأمصار والضواحي...فاستوعبت أخبار الخليقة استيعابا،وذلل من الحكم النافرة صعابا وأعطى لحوادث الدول عللا وأسبابا وأصبح للحكمة صنوانا وللتاريخ جرابا"[1].

هذا التغير الطارئ في مسيرة ابن خلدون ساهم في نتاجه المتفرد في التاريخ وأعاد بعث مشروع عالمي لتاريخ عربي إسلامي استعان فيه بمجموعة من المصادر من كتب السير والمغازي ، بالإضافة إلى مدونات القرون الهجرية الأربع الأولى مثل الطبري والمسعودي، فهذه المصادر العربية التي سبقت ابن خلدون كانت المصدر الرئيس لموارده التاريخية، ويبدو من تعامله مع هذه المصادر أنه كان مستوعبا لكل

[1]: ابن خلدون، **المقدمة**، ص286.

ما ورد فيها من أخبار وروايات، ومناقشا ومحللا وناقدا لها[1]. كان كتاب ابن خلدون الذي احتوى على أخبار المشرق منذ بدأ الخليقة لغاية ظهور ملك الترك تحت مسمى"في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدأ الخليقة إلى هذا العهد وفيه الإلمام ببعض من عاصرهم من مشاهير الأمم ودولهم ..."[2]، قد اعتمد على مجموعة من المصادر المشرقية كسيرة ابن إسحاق(151هـ/768م)[3] ومغازي الواقدي (207هـ/822م)[4] وأعمال الكلبي[5] والزبير بن بكار(256هـ/869م)[6]،كذلك مسالك ابن خرداذبة (300هـ/912م)[7] وصورة الأرض لإبن حوقل(367هـ/977م)[8]،كذلك الكتب المتعلقة بالدول مثل كتاب التيجان في معرفة ملوك الزمان لابن هشام (218هـ/833م)[9] وتاريخ الطبري والمسعودي[10] وأبي بكر الصولي (335هـ/946م)[11] وابن مسكويه (421هـ/1030م)[12] و البيهقي (458هـ/1065م)[13].

أما عندما أراد كتابة تاريخ مصر فقد رجع إلى المصادر التي تؤرخ لها منذ عهودها الأولى مثل أعمال ابن الطوير(617هـ/1220م)[14] ومصنفات صدر الدين عبد

---

[1]: محمد على الأحمد، **نحو رؤية منهجية مواكبة في دراسة التاريخ" ابن خلدون نموذجا "**، إسلامية المعرفة، المعهد العالي للفكر الإسلامي، العدد 51، السنة 13، بيروت، 1428هـ/2008م، ص30.

[2]: ابن خلدون، **العبر**، 44/2.

[3]: نفسه، 44/2.

[4]: نفسه، 453/2.

[5]: نفسه، 189/2.

[6]: نفسه، 398/2.

[7]: نفسه، 89/2.

[8]: نفسه، 287/4.

[9]: نفسه، 66/2.

[10]: نفسه، 22/2.

[11]: نفسه، 142/4.

[12]: نفسه، 458/3.

[13]: نفسه، 22/2.

[14]: نفسه، 107/4.

الظـــاهر (692هـــ/1292م)[1]، بالإضـــافة إلـــى كتـــاب الأغـــاني لأبـــي فـــرج الأصفهاني(365هـ/966م)[2] ويتيمة الدهر للثعالبي (429هـ/1037م)[3].

رغم أن مشروع ابن خلدون لتاريخ عالمي مشرقي قد اكتمل في نسخته التي وصلتنا، إلا أن ما وصل إليه من نظريات في مقدمته لم يستطع توظيفها أو إن صح القول إسقاطها على تاريخ المشرق الذي تناوله بنفس طريقة المدونات المشرقية، وهو الأمر الذي دفع بعضا من معاصريه إلى إنتقاده، بأنه غير ملم بتاريخ المشرق، ومنهم ابن حجر العسقلاني الذي وصف ذلك قائلا"وصنف في التاريخ الكبير في سبع مجلدات ضخمة،ظهرت فيه فضائله و أبان فيه عن براعته، ولم يكن مطلعا على الأخبار على جليتها لاسيما أخبار الشرق وهو بيّن لمن نظر في كلامه"[4].

3- تأثير التفرد الخلدوني في الكتابة التاريخية في المشرق:

إذا كان ابن خلدون قد تفرد في الكتابة التاريخية خلال الفترة الوسيطة، فإن صدى كتابه "العبر" في تلك الفترة أو بعدها قد أحدث تأثيرات داخل الحقل العلمي التاريخي، وهذا عن طريق تأثيرات في نموذج الكتابة وتطبيقات النظرية الخلدونية بدءا بتلامذته في المشرق ووصولا إلى الغرب خلال الفترة الحديثة.

من بين تلامذة ابن خلدون الذي حاولوا تطبيق منهجه ونظرياته تقي الدين المقريزي(845ه/1442م)، الذي ألف مصنفه "المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار"، الذي شرع في كتابته سنة (820هـ/1417م)، وفرغ منه حوالي عام(843هـ/1438م)، أي قبل وفاته بعامين، وعلى ذلك فقد استغرق حوالي عشرين عاما في كتابته، وقد إهتم بقضايا التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي في عصره ويرجع ذلك إلى عاملين رئيسين هما:

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 386/4.

[2]: نفسه، 185/2.

[3]: نفسه، 119/4.

[4]: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأنباء العمر**، تحقيق وتعليق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر ،1389هـ/1969م، 340/2.

– تأثر المقريزي بابن خلدون في رؤيته للتاريخ والعمران، فالمرحلة التي تتلمذ فيها عليه من خلال حلقات دراسية، شكلت نواة لمدرسة فكرية تخرج واستفاد منها المقريزي[1]، خاصة وأن مدونات التاريخ في تلك الفترة كانت تقليدية المنهج، والطفرة الخلدونية كانت بمثابة نموذج جديد حاول إتباعه.

– معايشته للواقع المصري من خلال تقلده لوظائف كان من أهمها، محتسب القاهرة، وهي الوظيفة التي تجعل من صاحبها يخالط كافة فئات المجتمع، خاصة في الأسواق، مما تسمح له بالوقوف على الواقع الاقتصادي مشاهدة، وهو ما يساعد المؤرخ على كتابة تاريخ اقتصادي قريب للواقع.

رغم أن المقريزي حاول إعادة تطبيق المنهج الخلدوني في مصنفه، لكن المتمعن له يجد أنه لم يستطع إسقاطها على تاريخ مصر والتفاعلات السياسية والاقتصادية التي كانت تحكمه في الماضي أو حينذاك، وهذا راجع إلى أن المقريزي تبع نفس أسلوب الكتابة التاريخية المشرقية، ما عدا أنه وظف النموذج الخلدوني في حديثه عن العمران و الاقتصاد والاجتماع الذي كان معظم المؤرخين يغفلون عنه. من الممكن أن نعد ابن دقماق (809هـ/1407م) أحد المتأثرين بمنهج ابن خلدون، وهذا على اعتبار أن مصنفه "الانتصار لواسطة عقد الأمصار"[2] قد سار على طريقة ابن خلدون عندما تحدث عن عمران الفسطاط والقاهرة، ثم الأسواق وأهم الأعمال التجارية فيها، الأمر الذي يجعل من أن ابن دقماق قد اطلع على العبر وحاول أن ينتهج أسلوب عرض مادته وفق ابن خلدون. لكن لم يستطع ، أن يوظف نظرية ابن خلدون على تاريخ مصر مثله مثل المقريزي، الأمر الذي يظهر قصور في فهم نظريته خلال الفترة الوسيطة.

---

[1]: محمد مصطفى زيادة، **المقريزي المؤرخ الكبير**، مجلة العربي، العدد 14، يناير 1960، ص33.

[2]: إبراهيم بن محمد ابن دقماق، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، المطبعة الأميرية الكبرى، مصر، 1893م، ص55.

المبحث الثاني: مصادر ابن خلدون غير العربية عن بلاد المشرق.

كانت مركزية العالم الإسلامي خلال الفترة الوسيطة لها دور في الأحداث السياسية، خاصة وأن نظام الخلافة عرف انهيارا تاما مع سقوط بغداد عاصمة العباسيين (656هـ/1257م) بسبب الاجتياح المغولي، وظهور دولة مغولية تحاول التوسع غربا، وضم الشام ومصر، فهذه الأحداث أثرت في مشروع ابن خلدون التاريخي، إذ رأى أنه من المناسب إكماله بكتابة تاريخ عالمي لا يستثني الأمم والشعوب المجاورة للعالم الإسلامي، وأن تاريخها مكمّل لتاريخ المشرق، فألّف في هذا الباب.

1- ابن خلدون وفرصة الأندلس للإطلاع على المصادر اللاتينية:

في سنة (764هـ/1362م) غادر ابن خلدون بلاد المغرب متوجها إلى غرناطة، إذ أشرف على مهمة دبلوماسية ناجحة تمثلت في عقد الصلح بين السلطان الغني بالله محمد بن يوسف(763هـ-793هـ/1362م-1391م) وملك قشتالة. بعدها بقي في الأندلس لمدة عامين الأمر الذي يدفع لفرضية أن ابن خلدون استغل الفرصة للإطلاع على المدونات التاريخية اللاتينية التي كتبت عن تاريخ إيبيريا وشعوب اللاتين، وما شجعه أكثر هو طلب ملك قشتالة منه البقاء مقابل عرض وظيفة سامية داخل بلاطه، لكن ابن خلدون امتنع، واستغل حضوته عند القشتاليين في توسيع مدركاته التاريخية عن تاريخ المنطقة. إذا كانت الأندلس قد أمدَّت ابن خلدون أفضلية الإطلاع على مصادر غير عربية، فإن فرصة تقلده لمناصب رفيعة في المغرب ساهمت هي الأخرى في وصوله لمصادر لاتينية عن تاريخ المنطقة وشعوبها[1]، ووفر له الإطلاع على موارد لم تكن متاحة للعامة.

لكن ما يطرح كسؤال هو هل كان ابن خلدون يحسن اللغة اللاتينية والقشتالية حتى سمحت له بإطلاع على تلك المصادر؟ تاريخيا لم يثبت أن ابن خلدون كان يجيد لغة غير العربية، بل أنه كان لا يحسن التحدث باللسان البربري الزناتي، والدليل

[1]: محمد على الأحمد، **نحو رؤية منهجية مواكبة في دراسة التاريخ**، ص33.

هو أن كتابه العبر جاء خاليا من أي لفظ بربري ومعناه العربي، خاصة إذا قارنّا المدونات الفقهية خلال الفترة الوسيطة التي احتوت على قدر كبير من الألفاظ البربرية مثل مدونة الونشريسي، لهذا احتمالية معرفته باللغات الشعوب آنذاك منعدمة.

2- تجربة ابن خلدون في المشرق مع المدونات التاريخية غير العربية.

كان اهتمام ابن خلدون هو كتابة تاريخ عالمي يضم مختلف الشعوب التي كانت قد تفاعلت في بيئة المشرق، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، مثل الفرس و العبرانيين و اللاتين (الروم؛ والبيزنطيين؛ والقوط) والترك، لهذا تحتم عليه أن يطلع على مصادر تؤرخ لمراحل صعود وسقوط تلك الأمم، لكن الظاهر في كتابه العبر أنه أولى حيزا كبيرا لأمة الترك باعتبارها أمة صاعدة آنذاك تحاول أن تصنع مجدا جديدا للإسلام، لهذا نجده يتوسع في ذكر تاريخ تلك الأمة.

كانت المصادر التي اطلع عليها ابن خلدون تنقسم إلى ثلاث أقسام: مصادر عبرية، وفارسية، وعربية، الأمر الذي يرجعنا إلى التساؤل السابق وهو أن تلك المصادر أتيحت له وهي في نسخها المترجمة. إن أهم المصادر العربية التي اطلع عليها والتي تناول فيها أمم الترك كانت لمؤرخين مشارقة منهم: العتبي (ت427هـ/1036م)، وابن عساكر (ت571هـ/1175م)، وابن العماد الأصفهاني (ت597هـ/1200م) ، وابن الأثير (ت630هـ/1232م)، ومحمد بن أحمد النسائي المنشئ (ت647هـ/1249م)، وابن خلكان (ت681هـ/1282م)، أبو الفدا إسماعيل(ت732هـ/1331م)، وأبو فضل الله العمري(ت749هـ/1348م)، وتبين هذه المصادر أن ابن خلدون لم يلجأ لأي مصدر غير عربي عن الترك؟، واكتفى بالروايات والأخبار عنهم في مصادر عربية؛ في حين أن هنالك مصادر غير عربية ذكرتهم في تلك الفترة.

عندما أراد التأريخ للفرس استعان بمصادر فارسية لكل من: الكاتب أبي اسحاق الصابي، وداهر، والبابا الصابي الحراني. فهذه المصادر المحدودة استطاع من خلالها تكوين أهم المراحل التي عرفتها أمة الفرس منذ ظهورها إلى نهايته خلال

الفترة الراشدية، ويبقى السؤال هو لماذا يستعن بمصادر عربية أرخت لتاريخ الفرس؟ ولعل السبب يعود إلى أن المصادر العربية لم تحتوي على أخبار أو مرويات كانت غير معروفة في المصادر الفارسية، لهذا اكتفى بها في مصادرها الأصلية. أما المصادر العبرية فقد تنوعت بين كتب عربية، ودينية، وتاريخية وحتى أدبية.

- ابن خلدون وموقفه من المصادر اليهودية:

عمل رواد السيرة ثم رواة الخبر التاريخي الأوائل على ملء فراغات لم تأتِ في شأنها إجابات دقيقة في القرآن الكريم، وذلك باللجوء إلى أشخاص انحدروا من أوساط كان لها اتصال من قريب أو بعيد بأهل الكتاب، وخصوصا من اليهود، زوّدوا المسلمين بكمّ من المعلومات. سُمّيت تلك الأخبار بالإسرائيليات. وبتتبع ما ورد في المأثور نلحظ أن الإسرائيليات تتركب من مواد خبرية مختلفة، غير مرتبطة ضرورةً بمنطق كرونولوجي:

أوّلها تلك التي تمّتْ صياغتها بغرض تفسير، أو توسيع المعلومات الواردة في النص القرآني حول الأنبياء الأولين، والشخصيّات الدينية السابقة للإسلام. وقد عُرفت تلك المعلومات بمعارف أهل الكتاب، وتمَّ تداولها في الجملة شفويا؛ وقد أُسندَ القسم الأكبر منها خطأً إلى التوراة أو الزبور- (Psaumes) بينما هو مُقتبسٌ من الأدبيات الربية (rabbiniques) الأمر الذي قد يُفسر برغبة المسلمين في عدم الظهور بمظهر المستفيد من المصادر اليهودية المتأخرة[1]. رغم أن بعضَ ذاك المنقول أتى مُبهمَ المصدر، فقد سيقت مختلف تلك المواد في أسلوب صارم وجدّي من قبل رواة انتموا سابقا إلى أوساط أهل الكتاب، وخاصة إلى يهود اليمن ثم أسلموا، وتتردد من هؤلاء أسماءُ وهب بن منبه، وابن سلام وغيرهم، وقد حصلوا على حظوة اجتماعية معينة جعلتهم مرجعا لتفسير القرآن أو الحديث، ومن هناك تسربتْ رواياتهم للمصادر التاريخية بحكم ارتباط نشأة الكتابة التاريخية عند المسلمين

[1]: Goldziher I., Isra'iliyyat, Revue des études juives, XLIV 1902 pp.63-66

بالحديث، أو بالسيرة، لتصبح مصدرا رئيسيا لفهم أحداث تمت الإشارة إليها في النص القرآني بصورة أو بأخرى.

في مرحلة لاحقة توسع توظيف أخبار أهل الكتاب وربما أصبحت المصدر الأساسي في رصد أهم محطات التاريخ البشري ما قبل الإسلام (أهم أطوار تاريخ بني إسرائيل والغزو الروماني لفلسطين)؛ ومن خلال ذلك تمّ استعراض قسم من تاريخ الشرق القديم. وقد استُعملتْ تلك المعلومات بكثافة في كتب السيرة والتواريخ (نقل الطبري أكثر من ثلاثين رواية عن وهب بن منبّه وحده)، وحتى كتب الأدب الجغرافي. وفي الأثناء برزت مجموعة ثالثة من القَصَص ذات بُعد أسطوري في الغالب[1] لا علاقة له بالشخصيات التوراتية، ولا ينقلها رواة منحدرين من أوساط يهودية.

وما يُلاحظ هو أنّ توظيف روايات أهل الكتاب من قبل مدوّني الأحداث التاريخية في العصر الوسيط الإسلامي، لم يكن على نسق واحد، فقد استعملت بشكل واسع في المصادر التاريخية الأولى خلال القرنين الثالث والرابع (أعمال الطبري، والمسعودي..) ولا سيما من قبل روّاد مدرسة التاريخ الشامية المتأثرة بالرواية اليمنية[2] قبل أنْ يخفتَ استعمالها، ويتقلّص بشكل لافتٍ في القرون اللاحقة وخصوصا منذ القرن الخامس للهجرة إذْ اقتصر على بعض كتب السّيرة، والأدبيّات ذات المنحىً التأمّلي(الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء، والموفّق بن قدامة في كتاب التوابين، وأبو الفداء بن كثير في كتاب السّيرة...). ويعود التحوّل السابق إلى مجموعة من الأسباب، منها:

---

[1]: عبد العزيز الدوري، **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**، دار المشرق، بيروت1986 ص15-28 / جواد علي، **موارد تاريخ الطبري**، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد1(1950)عدد2 (1953)عدد2 (1954).

I.Goldziher, *Isra'iliyyat*, *Revue des Etudes Juives,* XLIV(1902) G.Vajda,*Isrâ'îliyyat*, E.I.2 vol.IV pp.231 . F.Rosenthal,*The influence of the biblical tradition on muslin historiography*, *Historians of the Meaddle East*, Oxford University 1862 pp.35-45

[2]: شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرّخون**، 125/1.

- سبب ذو صبغة معرفية، يتمثّل في موقف نقّاد الرّواية المناوئ للمصادر التي لا تتوفر فيها صفة العدالة حسب المقاييس التي حدّدها الفقهاء بصرامة على قاعدة الجرح والتعديل. وإذا كان هذا التشدّد مبرّراً في كثير من الأحيان بسبب تزايد ظاهرة وضع الأحاديث منذ فترة مبكّرة من التاريخ الإسلامي فقد استهدفتْ تلك الصرامة نَقلَة الأخبار من غير المسلمين بشكل خاصّ. وقد اختزل ابن النديم موقف المحدّثين من هذه المسألة من خلال ما ذكره عن محمد بن إسحاق "بأنه غير مرضي الطريقة...كان يحمل عن اليهود والنصارى، ويسمّيهم في كتبه أهل العلم الأول، وأصحاب الحديث يضعّفونه ويتّهمُونَه.."[1].

والسبب الموضوعي يتلخّص في تعمّق أزمة العالم الإسلامي، وبخاصّة خلال القرنيْن اللذيْن عاش فيهما ابن خلدون إذْ تميّزا بأزمة شاملة بكلّ المقاييس كان من انعكاساتها تزايد الصّراعات بين مكوّنات المجتمعات العربية الإسلامية المختلفة. فنمتْ خلالهما الدعوات المحذرة من تزايد دور أهل الذمة في الحياة العامّة واستهدفتْ اليهود بالدرجة الأولى باعتبارهم المجموعة الأكثر حضورا في أغلب مناطق" دار الإسلام". وتُمكّن العودة إلى الأدبيات العربية الإسلامية المختلفة، خلال القرن العاشر مثلاً، من رصد موقفيْن من اليهود، واحد إيجابي مثّله ابن سعيد الأندلسي قاضي طليطلة في كتابه طبقات الأمم[2]، والذي وضع فيه اليهود ضمن الأمم الثمانية التي أسْهمتْ في تطوّر المعرفة الإنسانيّة إلاّ أنّ الموقف السلبيّ كان هو السائد لا سيما في الأوساط الدينية، وقد عبّر عنه ابن حزم الأندلسي(994-1064هـ) والمغيليّ في رسالته "أحكام أهل الذمّة"[3].

---

[1]: ابن النديم، **الفهرست**، دار المعرفة، بيروت، ص136.

[2]: ابن سعيد الأندلسي، **طبقات الأمم**، بيروت 1912م، ص43.

[3]:- Voir : G.Vajda, *Un traité maghrébin « adversus judaeos » : Ahkam ahl al-Dimma du sayh Muhammad b. abd al-Karim al-Magîlî*, *Etudes d'orientalisme, dédiées à la mémoire de Levis-Provençal*, t.2, Paris MCMLVII pp.805-813.

ما موقف ابن خلدون من المواقف السالفة؟ وهل وضع ما يسوقه في كتاب "العبر" من مبرّرات للاستفادة من موارد الإسرائيليات ضمن المجموعة الثانية:

- سعيه إلى الاستفادة من الوثائق اليهودية الأصليّة التي أمكن له الوصول إليها، وفي هذا الإطار يجب فهم امتداحه لكتاب مؤلّف يهوديّ أخذ منه قسما كبيرا من أخبار بني إسرائيل، وبذلك يبدو ابن خلدون وفيّا لمنهجه الذي اتّبعه في كتاب "العبر" ويتمثّل في حرصه على العودة لمصادر الأمم التي قام بسرد أخبارها كلّما أمكن ذلك[1].

وقد صرح ابن خلدون في أكثر من موضع بأنّ اليهود أعلم بأخبارهم[2]، وهو ما يبرر بالتالي نقل تاريخهم من مصادرهم مباشرةً، وإنْ ربط ذلك بعدم وجود تعارض بين تلك الأخبار، وبين النصوص المُقدّمة عليها (ولعلّه يقصد هنا النصوص الشرعية). وهذا يعني أنّ ابن خلدون لا يمانع من حيث المبدأ في الاقتباس من الإسرائيليات على خلاف ما ذهب إليه آخرون من المفكرين المسلمين بمن فيهم مُعاصرُهُ شمس الدين السخاوي (ت902هـ/1496م) المدافع عن التاريخ كفرع من المعارف مستقلّ بذاته، ولكنّه كان من أنصار"تحريم النقل عن التوراة والإنجيل" بحجة أنّ ما جاء في القرآن والسنّة يغني المسلمين عمّا سواه"[3].

- **مصادر عربية لتاريخ عبراني:**

من البديهي أن يستعين ابن خلدون بمصادر عربية أخذت مروياتها، ونقلت عن إخباريي أهل الكتاب، وهذا راجع إلى احتكاك العرب معهم في بداية الفترة الوسيطة في شبه الجزيرة ومنطقة الشام، ونقصد الموروث التاريخي العبراني في المدينة واليمن، الذي تم نشره بين العرب قبل ظهور الإسلام. فابن خلدون خصّ بعضا من

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 223/3.

[2]: نفسه، 223.

[3]: شمس الدين السخاوي، **الإعلان عن التوبيخ لمن ذمّ التاريخ**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979 ص148-149-150.

الإخباريين في الفترة الهجرية الأولى منهم وهب بن منبّه (ت228 هـ/842م)، الذي نقل عنه خبر الصراع بين بني إسرائيل والكنعانيين في عهد الأنبياء الكبار[1]، وخبر عودة المنفيين اليهود من بابل إلى فلسطين، ثمّ إعادة بناء الهيكل بعد تخريبه من طرف البابليين[2].

المعروف عن وهب بن منبّه أنّه أشهر الإخباريين، ويُنسب إليه كتاب المبتدأ المعروف أيضا بكتاب الإسرائيليّات [3]، أو مبتدأ الخلق[4]، ونجد نتفا منه في تاريخ الطبري، وفي سيرة ابن إسحاق، وفي قصص الأنبياء للثعلبي، كما نقل المسعودي أجزاء منه ملاحظا أنّه كان متداوَلا في عصره[5]. ومن اليسير أن نستنتج أنّ تاريخ اليمن القديم وتاريخ ملوك بابل، والأقباط الذي نقله ابن خلدون عن ابن إسحاق، والطبري، وهشام بن السائب الكلبي، وابن سعيد[6] والمسعودي، يرقى جلّه إلى إخباريين من أهل الكتاب منهم: عبيد بن شرية الجرهمي اليمني، والذي عاش في الفترة الأموية الأولى، وينسب له "كتاب في أخبار الماضين"[7]، وكعب الأحبار، وعبد الله بن سلام الذي كان واسع المعرفة بالموروث اليهودي، وإليه تُنسب أقدم كتب المغازي والتواريخ والتفاسير، حتّى أنه ادعى الإطلاع على الكتب المنسوبة إلى النبيّ دانيال مباشرة [8]. كل هذا يشير إلى أن بيئة يثرب كانت قبل ظهور الإسلام مكان خصب لنشر التراث اليهودي على حساب تراث قبلي عربي وثني.

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 171/3.

[2]: نفسه، 226/3.

[3]: ابن النديم، مصدر سابق، ص138

[4]: ابن قتيبة، **كتاب المعارف**، ص04.

[5]: فواد سزكين، **تاريخ التراث العربي**، ترجمة محمود فهمي حجازي، الرياض1983م ، مج1، 32/2.

[6]: ابن خلدون، **العبر**، 107/3.

[7]: ألّفه بطلب من معاوية بن أبي سفيان، انظر: ابن النديم، مصدر سابق، ص132. المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، القاهرة 1347هـ، 82/2.

[8]: فؤاد سزكين، **التدوين التاريخي**، مج1، 120/2.

ومن الواضح أن ابن خلدون لم يكن مجدّدا في تطويعه تلك الأخبار لِمَا يتوافق مع الرّؤية الإسلامية العامّة للتاريخ البشري، إذ التزم بالصورة التي سادت في الموسوعات التاريخية التي أُلِفتْ منذ صدر الإسلام، إلاّ أنّ تجديده يبدو من خلال سعيه لاختيار "الصحيح" من تلك الروايات، وكذلك مقابلتها مع ما نقله مؤرّخون متأخّرون من مصادر يهودية مباشرةً. ففي هذا الخصوص يقول مستعرضا أخبار مملكة بني إسرائيل خلال مرحلة الأنبياء "، وأنا الآن أذكر ما كان فيها من الحكّام على التتابع معتمدا على الصحيح منه، على ما وقع في كتاب الطبري، والمسعودي ومقابلاً به ما نقله صاحب حماة (أبو الفداء) من بني أيوب في تاريخه عن سفر الحكام والملوك من الإسرائيليات"[1].

- **تاريخ عبراني بمصادر غير عربية:** اعتمد ابن خلدون على مصادر دينية وأخرى تاريخية.

أ- المصادر الدينية: من بين المصادر الدينية التي اعتمد عليها ابن خلدون كتاب التوراة والذي أخذ منه مباشرة[2] و" كتاب أسفار الملوك "[3]. ولأنّه لا دليل على معرفة ابن خلدون بالعبرية أو الإغريقية التي دُوّنَ بها العهد القديم سابقا، فالمرجح أنّه أخذ تلك النصوص من نسخ معرّبة. ونستندُ في هذا إلى معلومات عديدة تشير إلى ترجمة أقسام من العهد القديم من السريانية والإغريقية إلى العربية منذ فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي. وقد وردتْ أقدم تلك الإشارات في كتاب الفهرست لابن النديم(ت377 هـ/987م) في ترجمته لأحمد بن عبد الله بن سلام ذاكرًا أنّه نقل إلى العربية كتابا رمى من ورائه حسب تعبيره إلى توفير الحجة لما جاء في القرآن والسنة، وساق فيه تفاسير للكثير ممّن أسلم من أهل الكتاب، وصدّره بترجمة لأقسام من التوراة والإنجيل، وكتب الأنبياء (أنبياء العبرانيين)، والتلاميذ (التلمود) وذلك منذ عهد

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 169/3.

[2]: نفسه، 152/3، 155، 156، 160.

[3]: نفسه، 183/3.

هارون الرشيد[1]. وفي المراحل اللاحقة تعدّدت الترجمات، وأُضيفتْ إليها شروح، وتفاسير مختلفة تزامن بعضها مع الفترة التي عاش فيها ابن خلدون كتلك التي أنجزها مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد، وصَدَقة بن منجا السّامريّيّن في القرن السابع للهجرة[2].

ب- مصادر الأدب التاريخي: في معرض سرده لأحداث إعادة تشييد الهيكل بالقدس بعد تهديمه من طرف الملك البابلي بختنصّر سنة (586 ق. م) أشار ابن خلدون بشكل واضح أنه نقل تلك الأخبار من وثائق مكتوبة من قِبل "علماء بني إسرائيل"، وهنا نخص منها "جنيزة" القاهرة. والجنيزة هو مصطلح عام يُطلق على البيوت التي تُودع فيها الوثائق القديمة، أو التي استوفت حظها من الاستعمال، والتابعة للمعابد اليهودية المنتشرة في أرجاء حوض المتوسّط، وهو ما يعني إمكانية وجود جنيزة في كثير من المدن التي عاشت فيها تجمّعات يهودية، إلاّ أنّ أغلبها اندثر لسبب أو لآخر، ولم تبق إلاّ جنيزة القاهرة محافظةً على ثروتها من تلك الوثائق. وقد استنتج"غوتاين"(Goitein)[3] من خلال دراساته لوثائق "جنيزة" القاهرة تنوّع محتواها مسجّلا بشكل خاص كثرة الوثائق الرسمية (Actes légaux) والفتاوى وهي عبارة عن إجابات نُظّار المدارس(Geonim) اليهودية الرئيسية في بغداد، وفلسطين على التساؤلات الواردة عليهم من الأقاليم الأخرى (Responsa)، كما وقف عند التنوّع الجغرافي لموارد تلك الوثائق مُسجّلا الحضور اللافت للوثائق الوافدة من بلاد المغرب، وخصوصا إفريقية (دور التجار اليهود على غرار يهوده بن يوسف و أبو اسحاق بن ابراهيم بن عطا..).

---

[1]: ابن النديم، مصدر سابق، ص32-33.

[2]: حاجي خليفة، **كشف الظنون**، 506/1.

[3] :S.D.Goitein,*Les documents de la Geniza du Caire comme source de l'histoire de la civilisation musulmane*, *Studia Islamica* III,Paris 1955 p.75-91/ du même auteur, *The documents of the Cairo Geniza as a Source for the mediterranan Social History*, *Journal of the American Oriental Society*, vol.80 pp.91-100/ du même auteur, *La Tunisie du XIè siècle à la lumière des documents de la Geniza du Caire*, *Etudes d' orientalisme dédiées à la mémoire de Levis-Provençal*, t.2 pp.559-579,Paris MCMLVII

وإنْ لم يوجد دليل على أنّ ابن خلدون قد تردّد على "جنيزة" القاهرة، واستفاد من وثائقها؛ فمن غير المستبعد أنّه اطّلع في نفس الفترة على الكتب المقدّسة العبرانية وخاصّة على كتاب اعتبر نفسه أوّل من اطّلع عليه من المؤرخين العرب. يتعلّق بالفترة المُمتدّة بين إعادة بناء الهيكل الأوّل وتدميره نهائيا على يد الرومان سنة (69م[1])، ونَسَبَهُ إلى مؤلف سمّاه "يوسف بن كَريُّون".

يمثّل يوسف بن كريون المصدر الأساسي للتاريخ اليهودي في كتاب العبر وترقى إليه أغلب المعلومات المتعلّقة بتاريخ بني إسرائيل، أخبار تولّي الملك البابليّ بختنصّر الحكم[2]، واحتلال القدس من قبل الفرس وتهديم الهيكل[3]، وترجمة التوراة إلى الإغريقية[4]، وابتداء أمر الكيتم (الرومان)، وبداية التوسع الروماني في المتوسط[5]، وإعادة بناء الهيكل[6]، وانقسام اليهود إلى فرق مختلفة[7]، وأطوار الصراع بين الرومان والفرس في الشرق[8]، وابتداء أمر القياصرة ونفوذهم في المشرق[9]، والعلاقة بين الممالك اليهودية والممالك العربية الشمالية[10]. وتوسّع ابن خلدون في الاعتماد على

---

[1]: " هذه الأخبار ... لم يكتُبْ فيها واحد من الأئمّة؛ ولا وقفتُ في كتب التواريخ مع كثرتها، واتّساعها على ما يلُمُّ بشيء من ذلك. وقع بيدي وأنا بمصر تأليف لبعض علماء بني إسرائيل من أهل ذلك العصر، في أخبار الدوْلتيْن اللتيْن كانتا بها ما بين خراب بختنصّر الأوّل، وخراب طيطُس الثاني الذي كانتْ عنده الجلوة الكبرى... مؤلّف الكتاب يسمّى يوسف بن كريون". انظر: ابن خلدون، **العبر**، 222/3.

[2]: نفسه، 225/3.

[3]: نفسه، 224/3-225.

[4]: نفسه، 228/3- 229.

[5]: نفسه، 232/3- 233- 234.

[6]: نفسه، 263/3- 264.

[7]: نفسه، 235/3 وما بعدها.

[8]: نفسه، 244/3، 248.

[9]: نفسه، 249/3 وما بعدها.

[10]: نفسه، 25/3 و ما يليها.

ابن كريّون خاصّة في أخبار التاريخ الروماني[1]، والحرب بين اليهود، والرومان والتي انتهت بسيطرة طيطش(Titus) على القدس، وتهديم الهيكل، وتفرّق اليهود[2].

والسؤال الذي يمكن طرحه: من هو يوسف بن كريون؟ قال عنه ابن خلدون في سياق نقل الخبر عنه " وزعم أنّه من عظماء اليهود، وقوادهم عند زحف الروم إليهم، وأنّه كان على صولة(قد تكون مدينة صفد القريبة من القدس)، فحاصره "وسباسيون" (Flavius Vespasianus) أبو طيطُش (Titus)، واقتحمها عليه عُنوة، و فرّ يوسف إلى بعض الشعاب، وكمَنَ فيها ثمّ حصل في قبضته بعد ذلك، واستبقاه ومنَّ عليه وبقي في جملته. وكانت له تلك وسيلة إلى ابنه طيطُش عندما أجلى بني إسرائيل على البيت..."[3].

وينطبق هذا التعريف على المؤرخ الروماني " فلافيوس يوسيفوس" (Flauius Josephus)[4] (بين 37 و100 م) المُنحدر من عائلة أرستقراطية كان لها نفوذ واسع في المؤسسة الدينية اليهودية في القدس، وهو ما أهّله لتلقي تعليم واسع، وليصبح قائدا عسكريّا. ولمّا تعرّضت فلسطين للغزو الروماني في النصف الثاني من القرن الأوّل للميلاد كُلّفَ بقيادة المقاومة في منطقة الجليل لكنّه أُسِر من قبل القائد الروماني"وسباسيون"(F.Vespasianus) الذي أقنعَهُ بعدم جدوى المواجهة، وبضرورة التفاوض مع الغزاة، فتحوّل إلى وسيط بين الرومان، والقيادات اليهودية الرافضة لتسليم القدس للرومان، وذلك قبل محاصرة المدينة ثمّ احتلالها، وتهديم هيكلها سنة (69 م).

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 249/3، 252، 254، 259، 260-261، 269، 271- 272.

[2]: نفسه، 272/3- 273- 274- 275- 276- 277- 278- 279، 400- 401.

[3]: نفسه، 222/3.

[4]: ويسمى يوسفوس وأوروزيوس (هروشيس)، مؤرخ يهودي (37-100م) ولد في أورشليم، وشهد تخريب القائد الروماني تفيوس لها سنة (70م)، وله تاريخ عام من بدء الخليقة. انظر: حسين مؤنس، **ابن خلدون جغرافي**، جامعة الإمام محمد بن سعيود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، العدد3، 1979م، ص331.

وقد جلب ذلك الموقف " لفلافيوس يوسيفوس "الطعنَ والتخوين من قبل الأوساط اليهودية المهيمنة على بيت المقدس(السنهدرين)[1]، لكنّه نال في المقابل الحظوة عند الرومان، وهذا ما يفسر استقراره بروما مباشرة بعد احتلال "تيتوس"(Titus) لفلسطين. وتُنسبُ " لفلافيوس يوسيفوس" كتبٌ عديدة في التاريخ اليهودي[2] اعتمد فيها بدوره على مصادر سابقة كانت مُتداولة في عصره مثل "شيشرون" *Marcus Tullius Cicero* (106– 40 ق م)، و"الإسكندر الميلي" Alexander of Miletus (105م – 40م)، ومؤرخين إغريق آخرين[3].

لكن تأكيد ابن خلدون أنه نقل عن " فلافيوس يوسيفوس " يصطدم بإشكال عميق وهو أنّه لا دليل على ترجمة أعمال ذاك المؤرخ اليهودي- الروماني إلى العربية خلال العصر الوسيط، وهو ما جعل بعض الباحثين يغلّب الرأي في أنّ ابن خلدون وقع في خلط إذْ نسب أعمال مؤرخ آخر إلى ابن كريون[4].

ربما يكون ابن خلدون قد وقع في الخطأ وهذا بسبّب مدوّن سابق من يهود اليمن يسمّى زكرياء بن سعيد الذي قام خلال القرن الحادي عشر بترجمة كتاب من العبرية إلى العربية[5]، واستعرض مؤلّفه في أوّله تاريخ إيطاليا القديم، وتأسيس روما، ثمّ توسّع في سرد مرحلة هامة من التاريخ اليهودي، والمُتمثّلة في مرحلة إعادة بناء الهيكل التي تلتْ الإبعاد، أي المرحلة الحسمونية، والمكابية، وأنهى كتابه باستعراض أطوار الحرب بين اليهود والرومان؛ وكما هو بيّنٌ يتطابق هذا المحتوى بشكل عام مع

---

[1]: L.M.Amitai, *Romains et Juifs, étude critique sur les rapports publics et privés qui ont existé entre les Romains et les juifs jusqu'à la prise de Jérusalem par Titus,* Paris1894.

[2] : *Histoire de la guerre des Juifs (77-78ap.JC.)* / *Les antiquités juives* / *Histoire des juifs depuis la création du monde jusqu'à leur révolte contre les Romains*, en 20 livres / *vitae (autobiographie)/ Défense de la nation juive et réponse à Appien/ Discours sur le martyre des Macchabées…*

[3] :A. Bonnetty, *Documents historiques sur la religion des Romains et sur la connaissance qu'ils ont pu avoir des traditions bibliques*, t.1 pp.29-213-168, Paris 167

[4] : *Encycl. Judaica*, vol.X p.298/ W.J.Fischel, *Ibn Khaldûn in Egypt p*.139-148

[5] :*Encycl. Judaica*, idem / W.J.Fischel, *idem*

كتاب " فلافيوس يوسيفوس" إضافةً إلى أنّ عنوانهما واحدٌ[1]. كان ذلك السبب الأوّل في الخلط؛ أمّا السبب الثاني فهو التقارب الواضح في الأسماء وفي زمن التأليف الأوّل، فالكتاب الذي تُرجم إلى العربية يُنسب إلى إخباريّ اسمُه "فلافيوس جوزبّون"(Flavuus Josippon) القريب من" فلافيوس يوسيفوس" كما قام صاحبُه بتأليفه كذلك في جنوب إيطاليا الذي كان أحد المراكز الفكرية الهامّة ليهود الشتات[2].

لكلّ هذه الأسباب قد يكون المُترجم اليمنيّ نسب كتاب " فلافيوس جوزبّون " إلى" فلافيوس يوسيفوس"، ولم يتسنّ التثبّت من نسبته لصاحبه الحقيقي إلاّ في أواخر القرن الخامس عشر (1480م)، لمّا تمّ العثور على نسخة تؤكّد بما لا يدع مجالا للشكّ هُويّة صاحبه الحقيقي[3]، أي بعد أن أفاد ابن خلدون من النسخة العربية السابقة. أمّا في خصوص تسمية"يوسف بن كريّون" الذي يستعملها ابن خلدون فهي على الأرجح تحريف " ليوسيفوس بن جوريّون"(Josephus ben Gorion) وهو الاسم العبراني الذي عُرف به " فلافيوس جوزبّون"(Flavuus Josippon).

ج- مصادر ابن خلدون عن التاريخ المسيحي: إن أحداث القرن 14م، وما عرفته الفترة الوسيطة من حروب صليبية مست المشرق الإسلامي، حتمت على ابن خلدون أن يدرج العالم المسيحي ضمن مشروعه التاريخي العالمي، فقد حاول أن يعيد كتابة ذلك التاريخ من منظور عربي معتمدا على مصادر لاتينية معربة، وكما أشرنا سابقا، فابن خلدون كان يعرف العالم المسيحي باعتبار الأندلس كانت محل صراع إسلامي مسيحي، وهو الذي كان سفيرا إلى الممالك المسيحية هناك، فكل هذا جسّد مشروع كتابة تاريخ عن الغرب المسيحي.

بالرجوع إلى كتاب "العبر"، يتبين أن ابن خلدون اعتمد على مجموعة من المصادر منها الدينية ونقصد نسخ الإنجيل، والتي اعتمد عليها عندما استعرض نشوء أو بدايات

---

[1]: انظر: *Wikipedia*.org / *Encyclopaedia Britannica* 1911

[2]: *Œuvres choisies*, éd. De H.Honimer,1967 Josippon

[3]: T.X p.296-298 *Encyclopédie Judaica*

المسيحية، وميلاد النبي عيسى عليه السلام[1]، وأدرج هاته المرويات بعيدا عن الاستعانة بالمصادر الإسلامية التي تناولت أحداث المرحلة، وبالرغم من تعدد نسخ وروايات الإنجيل إلا أنه الكتاب الديني الوحيد الذي استعان به، وهو لا يشير إلى مصادر مسيحية دينية أخرى على الرغم كما تم -ذكره سابقا- من إطلاعه على مجموعة من المصادر المسيحية أيام كان في الأندلس؟، وهو ما يشير إلى أن ابن خلدون لم يكن يحسن اللاتينية الأمر الذي حرمه من مصادر دينية غير الإنجيل. وكذلك من المصادر التي اعتمد عليها كتاب بطليموس وهورشيوش[2]، فالأخير اعتمد عليه كثيرا، وقد وصفه بمؤرخ الروم، ولعل النسخة التي اعتمد عليها ابن خلدون عربت زمن الحكم المستنصر، وترجمها قاضي النصارى بمساعدة قاسم بن الأصبغ (340هـ/951م). كما اعتمد مصنف "نظم الجوهر" لسعيد بن بطريق (32هـ/652م)[3]، وهو من مسيحي الفسطاط بمصر، فقد بدأ العمل على هذا المصنف قبيل أن يصبح بطريرك للكنيسة، ويبدأ الكتاب بفصل "الخلق"، ويسرد الأحداث انتهاءً بعصره، ويزخر الكتاب بالأحداث التي تتعلق بالإمبراطورية الفارسية حتى مجد الإسلام، وصولًا إلى الحكم الساساني، واستعان بالمصادر الإسلامية في كتاباته حول فترة الإسلام المبكرة، والفترة التي تلتها، أما عن تاريخ المسيحية فقد تناول في الفصل الثاني محن الكنيسة أو اضطهاد المسيحيين في الشرق. لقد تعامل ابن خلدون مع هذا المصدر بالنقل المباشر، لكن في بعض الأحيان يشير إلى ابن العميد الذي نقل عنه، ما يجعلنا نستنتج أن ابن خلدون كان يملك طريقين لهذا المصدر بالرغم من أنه كان مكتوبا بالعربية.

وكذلك من بين المؤرخين الذين اعتمد عليهم ابن خلدون، أبو شاكر بطرس، المكنى ابن الراهب المسيحي(420هـ/1029م)[4]. ومصنفه "التواريخ"، والذي يعدُّ

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 171/2.

[2]: نفسه، 517/5.

[3]: نفسه، 244/2.

[4]: نفسه، 239/2.

من أشهر أعماله، ويتكون من ثلاث مخطوطات مقسمة إلى 51 فصلاً، أولها مخصصٌ للتسلسل الزمني، وعلم الفلك، يليه فصل واحد عن كل من تاريخ العالم، والتاريخ الإسلامي، وتاريخ الكنيسة[1]، والمجالس المسكونية السبعة بالإضافة إلى المجالس اللاحقة التي قبلها الأقباط . ويضاف إلى المصادر السابقة المعتمد أيضا مصنف" المجموع المبارك "لابن العميد (672هـ/1273م)[2] مؤرخ النصارى مثلما وصفه ابن خلدون، والذي كان مصدر للروم والبيزنطيين، فقد أرَّخ ابن العميد لأحداث العالم منذ أوَّل الخلق إلى عهده، وزاد مؤرخ قبطي اسمه المفضَّل بن أبي الفضائل المصري ذيلاً سماه "النهج السديد، والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد[3]".

3- مصادر ابن خلدون عن الدولة الساسانية (الفارسية).

إن اهتمام ابن خلدون بهذه الرقعة الجغرافية المكونة لحدود المشرق الإسلامي، كان له سببه و المتمثل في أن الأحداث السياسية خلال عصره بدأت تشهد ظهور قوتين صاعدتين ستقودان العالم الإسلامي لما بعد الفترة الوسيطة، العثمانيون و الصفويون، وببروز هذين الكيانين ستتغير الملامح الكبرى للعالم المشرقي ما بعد ابن خلدون، لكن طرح ابن خلدون كتابة تاريخ الفرس يعود بالدرجة الأولى إلى ارتباط هذا الحيز الجغرافي بالعرب ومدى تفاعل الطرفين في فترة ما قبل الإسلام وبعده، خاصة الصراع الحربي الذي انتهى بضم بلاد فارس إلى المسلمين في وقت مبكر في خلافة عمر بن الخطاب. فابن خلدون عندما أرّخ للفرس اعتمد على ثلاث مصادر رئيسة أولها: رسائل الصابي وهي مجموع رسائله في ألف ورقة لـ الكاتب أبي إسحاق الصابي، وقد صرح ابن خلدون أنه اطلع على مقالاته التي دونها في أنساب

---

[1]: *Abu Shakir Ibn al-Rahib", The Coptic Encyclopedia, New York: Macmillan Publishers, Vol. 1, cols. 33a–34a.*

[2]: ابن خلدون، **العبر**، 104/2.

[3]: لويس شيخو، **علماء النصرانية في الإسلام**1300 – 622 ، تحقّيق وتقدّيم الأب كميل حشيمة اليسوعي، سلسلة التراث العربي المسيحي5، ل ر ط، منشورات المكتبة البولسية جونيه، لبنان، 1983م، ص32.

ونحلة أمة السريان و استفاد منها[1]، بالإضافة إلى كتاب البابا الصابي الحراني ، وقد اعتمد عليه أيضا عندما تكلم عن السريان أيضا "... و البابا الصابي الحراني وذكروا استيلاءهم على العالم وجملا من نواميسهم"[2]. فهذه هي مجل المصادر التي كان ابن خلدون يحرص على النقل منها مع نصوص أخرى لم يشر إليها، خاصة وأن أخبار وأحوال الفرس كانت معروفة لدى العرب قبل الإسلام.

- **المصادر غير العربية وإشكالية اقتباس ابن خلدون منها.**

عندما تطرقنا إلى مصادر ابن خلدون غير العربية استعرضنا إشكالية اعتماده على نصوص مترجمة عن أصولها، لكن هنالك إشكالية أخرى تتمثل في أن ابن خلدون لم يلتزم عند الاقتباس من تلك المصادر بما وضعه هو نفسه من قواعد تحكم طرق التعامل مع هذه المصادر، فهو يتساهل بشكل كبير مع المصادر اللاتينية، ولعلّ أهم الهفوات التي يمكن ذكرها هي:

-نقوله عن النصوص اللاتينية لا تتوافق مع نصوصها الأصلية، فقد اختصرها كثيرا وأضاف عليها مقاطعا، وإضافات من عنده.

-ينسب ابن خلدون بعض النصوص والأقوال لأشخاص، لكنها لا توجد في الأصول المنسوبة إليها باللغة اللاتينية، ولا في الترجمة العربية لتلك النصوص، وسبب ذلك الخلط الذي وقع فيه ابن خلدون في مثل هذه الحالات.

-يتصرف ابن خلدون في النصوص التي ينقلها من ترجمات عربية لبعض المصادر اللاتينية، وذلك في جوانب مهمة مثل: التلخيص الشديد، والتقديم، والتأخير، وضم نصوص من مواضع متباعدة جدا عن بعضها البعض، ومثال ذلك ما ينقله عن هروشيوش، ويبدأ ذلك بـ قال: " هروشيوش" ويختم كلامه "انتهى كلامه" على ما بينهما من تباعد.

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 331/4.

[2]: نفسه ، 07/7.

-لم يكن ابن خلدون حريصا على دقة النقل فيما كان ينقل، على الرغم من أنَّه كان يصرح بأنه ينقل من مصدر معين، وتحديده بداية النقل ونهايته[1].

هذه المآخذ على منهج ابن خلدون في تعامله مع المصادر غير العربية عند الاقتباس منها تؤكد على سيره على قاعدة واحدة في التوثيق أثناء كتابته التاريخية، لكنه في نفس الوقت أعطى لمن سيأتي بعده مهمة تتبع سقطاته المنهجية، وتصحيحها، وهذا من أجل تطوير منهج البحث في علم التاريخ، والكتابة بصفة خاصة.

المبحث الثالث: ابن خلدون والتأريخ للعالم غير الإسلامي (الغربي):

1- مصطلح الغرب الدلالة والمفهوم والجغرافيا من منظور خلدوني

إن مفهوم الغرب إيديولوجيّ أكثر منه جغرافيّ[2]، بل ثقافيّ وليس جغرافيّ[3]، والثَقافة تشمل الإيديولوجيا، والأنثربولوجيا التي تتحكم في مناهج التنظير التي تؤطّر الفكر المركزي، الداعي لتفوق "الأنا" الغربيّة، وتهميش "الآخر" المختلف غير الأوروبي. فقد خرج مصطلح الغرب من المعنى الجغرافيّ ليحمل دلالة فكريَّة وثقافيَّة وسياسيَّة، فلم يَعد البعد الجغرافي سوى جزئية بسيطة تحتل حجمًا ضئيلًا في المعاجم اللغوية والاصطلاحية؛ فقد تشبّع بالدلالات حتّى أصبح من أكثر المصطلحات خضوعا للأدلجة في الفكر المعاصر، "هذه المصطلحات الثّلاثة: (الإسلام، أوروبا، الغرب) تعرّضت لأدلَجَةٍ مهووسة ومبالغ فيها، ولهذا السبب؛ ينبغي

---

[1]: عبد الرحمن بدوي، **ابن خلدون و مصادره اللاتينية**، أعمال ندوة ابن خلدون ، 14-17 شباط، 1979م،ص 148-50.

[2]: Serge Latouche, l'Occidentalisation du monde, essai sur la signification, la portée et les limites de l'uniformisation planétaire, p, 11.

[3]: Dubois Claude-Gilbert, *Mythologies de l'Occident: les bases religieuses de la culture Occidentale*, Editeur, Ellipses marketing, Paris, 2007, p, 8.

أن نعيدَ التفكير فيها كي نُحِل الصورة التاريخية (أو الواقعية) مَحل الصّورة الإيديولوجيّة[1]".

لقد تضاربت الآراء والقراءات حول هذه المسالة؛ حيث ترى المعاجم اللُّغويَّة أنَّ الغرب ينحصر في دول أوروبا الغربيّة، بمعنى الارتباط السّياسيّ الّذي يجعل "الغربويّة (l'occidentalisation) صفة معياريةً تميّز بين نوعين من الدول الأوروبيَّة، تلك المنتميَّة للقطب اللّيبراليّ، والأخرى المرتبطة، والمنتمية للنظامين الشيوعيّ والاشتراكي سابقا.

يحاول حسن حنفي أن يُفرّق بين الغرب وأوروبا في المضمون - الفكري والسياسي - لكل مصطلح؛ فيرى أنَّ لفظ (أوروبيّ)، يدلُّ على المعنى (التّاريخيّ الحضاريّ)، وليس على المَوقع الجغرافيّ السّياسيّ، كما يدلُّ على ذلك لفظ غربي الذي شاع في الاستعمال الأكاديمي نسبةُ العلوم، والفلسفات، والحضارات والاختراعات إلى مُصطلح أوروبا بالمعنى الجغرافي؛ فيقال الدُّول الأوروبيَّة والعلوم الأوروبيَّة، والتقنيّة الأوروبية، في حين يتم نسبة "الغرب" لكلِّ ما هو مركزيٌّ وإيديولوجيٌّ، فيُقال: الغرب الصّليبيّ ،والمسيحيّ، والمركزيَّة الغربيّة وهكذا[2].

تقرُّ المَنظومة الفكريَّة الغربيَّة باستحالة الفصل بين مفهومَي الغرب والدّين؛ فالمنظّرون يجمعون على ارتباطهما، والمسيحيَّة مكوّنٌ أساسيٌّ ومركزيٌّ في نشأة الغرب، والغرب هو الفضاء الذي احتوى الدّين ونشره، باستعمال المناهج العقلانيَّة، الّتي ساهمت في ظهور فلسفة الأديان، والأنثربولوجيا، وقد أدار الغرب كلَّ حروبه وغزواته، تحت شعار الدّين لإضفاء القداسة[3] .

---

[1]: محمّد أركون، **الإسلام- أوروبا- الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة**، ترجمة هاشم صالح، ط2، دار السّاقي2، 2001م، ص05..

[2]: مكي سعد الدين، **مصطلح الغرب بين النشأة الأسطورية والنهاية الكوسموبوليتية**، مؤمنون بلا حدود، https://www.mominoun.com/ شوهد يوم 2021/09/29م على الساعة 10و30د.

[3]: مكي سعد الدين، مرجع سابق، شوهد يوم 2021/09/29م على الساعة 10و30د.

وإذا كان الغرب الأوروبي حاضرا في مؤلفات جغرافيي المسلمين ومؤرخيهم[1] فإنّ نظرة ابن خلدون إزاءه كانت متميّزة لا مقارنةً بمن سبقه منهم فحسب، بل وكذلك بمعاصريه، فلا نلحظ فكرة أفضلية العالم الإسلامي في موازنته مع أوروبا المسيحية بينما يمثّل ذلك الرأي القاسم المُشترك بين جلّ الجغرافيين العرب المسلمين رغم إقرارهم بوجود كلا العالميْن في نفس الإقليم المناخي. نجد تلك الصورة واضحة عند الجغرافيين المشرقيين كابن خرداذبة (ت270 هـ/883م) وابن رسته (ت 290 هـ/902م) والمسعودي(ت346 هـ/957م) والمقدسي(395 هـ /1004م)[2] وخاصة ابن الفقيه (ت 290 هـ/902م) الذي قسم الأرض إلى خمسة أقاليم تطابقا مع أجزاء الطير معتبرا العالم الإسلامي صدر الدنيا و أوروبا ذنبها[3]. كما نجد نفس التصوّر عند نظرائهم المغاربة مثل صاعد الأندلسي(ت462 هـ/1069م) الذي رأى أنّ موقع الأوربيين من الأرض جعلهم ضمن الأمم التي لا تعتني بالعلوم، واعتبرهم " أشبه بالبهائم"[4]. أمّا أبو عبيد البكري (ت487 هـ/1093م) فقد أورد معلومات مشابهة، وإنْ كانت أكثر غزارة عن بلدان أروبية مختلفة[5]. وفي ذات المنحى تتباين صورة الغرب الأوروبي لدى ابن خلدون عمّا نجده عند غيره من المؤرخين القريبين من عهده، والذين قد يكونوا تأثروا في نظرتهم للغرب الأوربي بمخلفات الحروب الصليبية مثل ابن القلانسي (ت555 هـ/1159م) الذي وصف الأوروبيين

[1]: نعمان محمود جبران، **جوانب من صورة الآخر في التاريخ الإسلامي**، دراسات تاريخية، السنة الخامسة عشرة، العددان 49-50، آذار/حزيران1994، ص 45-61.

[2]: المسعودي، على بن الحسين، **التنبيه والأشراف**، دار مكتبة الهلال، بيروت 1981، ص38، 39.

[3]: ابن الفقيه الهمذاني، **مختصر كتاب البلدان**، تحقيق ونشر دي جوييه، بريل، 1885م، ص3- 4.

[4]: أبو القاسم أحمد صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، النجف، 1967م، ص06، 08.

[5]: أبو عبيد البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق عبد الرحمن حجّي، دار الإرشاد ببيروت 1986، ص74، 75، 82، 127.

بكونهم "أهل غدر"[1]، وأسامة بن منقذ (ت584 هـ/1188م) الذي نعتهم بالغدر وبعدم الوفاء[2].

عند استقراء وصف ابن خلدون للغرب من خلال كتابه العبر لا نجد الجديد عل المستوى العلمي، ونقصد أنه تطرق لجغرافيته معتمدا على كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي[3]، إذ حدد الغرب على أنه المنطقة الجغرافية الممتدة من ايطاليا إلى انجلترا، والمناطق الواقعة شمالا، ويسميها أمم الإفرنج[4]، ويبدو أن التفاصيل التي أوردها ابن خلدون عن هذا الإقليم وغيره من الأقاليم الأخرى لا تعكس بأنه شاهدها، بل نقل الكثير من معلوماتها عن السابقين كبطليموس والإدريسي، وقد نسب ابن خلدون معلوماته إلى أصحابها حين يقول:" تبين في عدد من كتب الحكماء"، و" وقالوا"، و" ونحن نرى بالمشاهدة والأخبار المتواترة"، وهذه بعض قواعد ابن خلدون المنهجية، ويفعل مثل هذا الإثنوجغرافيون المحدثون في جمع المادة بعد الملاحظة والاعتماد على مجموعة من الإخباريين الذين يطلعونهم على ما لم تستطع أعينهم رؤيته، وأن يشرحوا لهم علّة ما يستعصى على فهمهم من أمور[5].

على منهج بطليموس والإدريسي[6] حدد ابن خلدون الغرب المسيحي بأنه يقع في الإقليم الرابع والخامس المعتدلين في العمران، فالرابع يتصل بالإقليم الثالث من

---

[1]: أبو يعلى حمزة ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، تحقيق سهيل زكار، دمشق، 1983م، ص218.

[2]: أسامة بن مرشد ابن منقذ، **كتاب الاعتبار**، بيروت 1981، ص24.

[3]: للمزيد حول وصف الإدريسي للغرب انظر: علاوة عمارة، **الإدريسي صاحب أول خريطة جغرافية للغرب المسيحي**، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص203.

[4]: ابن خلدون، **العبر**، 182/5.

[5]: باسم عبد العزيز عمر العثمان وآخرون، الاتجاه **الإقليمي عند ابن خلدون: دراسة في الفكر الجغرافي**، مجلة جامعة الكويت، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الجغرافيا، العدد 450، نوفمبر2017م، ص12- 13.

[6]: اسقط ابن خلدون بداعي الاختصار معظم التفاصيل الممتعة التي تميز بها جغرافية الإدريسي الذي كان أكثر دقّة وشمولا في كلامه، لأنّه كان يكتب وخريطة الأرض الكاملة أمامه، فهو يعرف المساحات والمسافات، ومواضع المدن والأنهار، والجبال بالنسبة لبعضها البعض، وهو يكتب بحسب معلومات عصره. انظر: حسين مؤنس، **ابن خلدون**

جهة الشمال، ويبدأ امتداده من جهة الغرب حيث البحر المحيط (المحيط الأطلسي)، وبقطعة مستطيلة تبدأ من أول البحر المحيط جنوبا، إلى آخره شمالا، وعليها في الجنوب مدينة طنجة (المغرب)، وتحتها من المحيط الأطلسي إلى البحر الرومي (البحر المتوسط) في خليج متضايق بمقدار 12 ميلا، والمقصود به هو امتداد البحر الرومي الغربي ابتداءا من مضيق أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) باتجاه الشرق حيث يبدأ بالاتساع (ويسمى بالبحر الشامي) وفيه جزر كثيرة مثل: مايرقة، منرقة، سردينيا، ثم صقلية، وبلونس، وأقريطش، وقبرص)، وفي وسط البحر المتوسط يخرج منه إلى الشمال حيث إيطاليا خليج البنادقة، وفي آخره يخرج إلى الشمال أيضا خليج القسطنطينية، وذكر ابن خلدون بأن أكثر العمارة (الساكنة) يتوزع في شماله، وشمال الخليج منه، وهي بلاد الأندلس الغربية (إسبانيا والبرتغال)، ويذكر ابن خلدون المدن الاندلسية مثل إشبيلية، وقرطبة، ومديلة، وغرناطة، وجيّان، وطليطلة واشبونة، وهذه تقع غرب الأندلس، أما شرق الأندلس على ساحل البحر الأبيض فنجد قرطاجنة، لفته، دانية، بلنسية، طرطوشة[1].

ويذكر ابن خلدون في الجزء الثاني من هذا الإقليم المدن التي تقع على البحر الأبيض من جهة أوربا مثل برشلونة، وأربونة، ثم يذكر عديد الجزر بعضها غير مأهول لصغرها، وفيها مدن شهيرة مثل: سرقوسة، وبلرم، وطرابغة، ومازر وميسي بصقلية، والتي تقابل أرض إفريقية التي يفصل بينها جزيرة أعدوش، ومالطة، والجزء الثالث الإقليم غمرت أجزاءه المياه ما عدا ثلاث قطع من اليابسة ناحية الشمال الغربي للبحر الأبيض، كارض قلورية، والوسطى من أرض بكيدة، والشرقية من بلاد البنادقة[2].

يماثل الجزء الرابع الجزء الثالث، أما الجزء الخامس فهو إلى ساحل بلاد الشام، ويطل على البحر الأبيض عند أنطرسوس في أول الجزء من الجنوب،

جغرافيا، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، العدد3، 1979م، ص337.

[1]: باسم عبد العزيز عمر العثمان وآخرون، مرجع سابق، ص21-22.

[2]: نفسه، ص23.

ومتاخمة لغزة، وطرابلس من الإقليم الثالث، ويقع شمالها جبلة، واللاذقية ثم الإسكندرية، ثم سلوقية، وبعدها شمالا بلاد الروم، وتقع ضمن هذا الجزء من الإقليم أيضا أنطاكية، والمعرّة، وشرقا المراغة، وتقع المصيصة شمال أنطاكية، ثم فرسوس آخر الشام، وغربا يوجد جبل اللكّام، وقنَّسرين، وزربة، وفي المقابل تقع حلب، وفي غرب الجزء السادس من الإقليم تقع بلاد الجزيرة، سوريا، وشرقا بلاد العراق، ويتابع مسار نهر الفرات حيث يمر بقرقيسيا، ويبدو أن ابن خلدون قد أخطأ في تحديد مسار نهر الفرات في بلاد العراق حين قدم الكوفة على هيت والأنبار التي يمر بها نهر الفرات أولا، كما اخطأ حين قال بأن نهر الفرات يصب في دجلة عند بغداد، والحقيقة أنه يقترب من نهر دجلة بمسافة 40 كلم، حيث كانت هناك جداول تتفرع من الفرات باتجاه دجلة في العهد العباسي، لأن الفرات يرتفع على دجلة بـ:07 أمتار عند منطقة بغداد[1].

ويمتد الجزء السابع من الإقليم ضمن بلاد فارس حيث مدن همذان، وقزوين، وقاشان، وقم، وينعطف على بلد الري، ويذكر نيسابور من خراسان، ثمَّ مرو وجرجان، وفي الجزء الثامن جهة الغرب نهر جيحون، وفي جنوبه تقع بخارى، ثم بلاد الصفد وعاصمتها سمرقند، وفي الشمال تقع أرض إيلاق، والشاش. أما الإقليم الخامس فيبدأ من المحيط الأطلسي، والجزء الأول منه منغمر بالمياه من جنوبه وشرقه، لأن البحر المحيط في الجهة الغربية دخل في الغقليم الخامس والسادس، والسابع عن الدائرة المحيطة بالإقليم، وبخصوص جنوبه اليابس فقطعة على شكل مثلث متصلة من هناك بالاندلس (شبه جزيرة إيبيريا، أي إسبانيا والبرتغال)، ويمتد هذا الإقليم شرقا حيث يمر بعدّة مناطق منها مدينة روما مركز ملك الغفرنجة، ومسكن البابا، وفيها المباني الضخمة والكنائس العادية، ويمر النهر في وسطها من الشرق إلى الغرب، وقد فرشت قاعه ببلاد النحاس، وفيها كنيسة بطرس، وبولس من الحواريين، وعلى البحر الذي جنوبه مدينة روما، بلاد نابل (نابولي الإيطالية)، وفي هذا الإقليم

[1]: باسم عبد العزيز عمر العثمان وآخرون، مرجع سابق، ص24- 25.

أيضا مدينة القسطنطينية مركز القياصرة (الإمبراطورية الرومانية)، وفيها آثار بناء ضخمة، وهي عاصمة العثمانيين، وبين بحر الروم، وخليج القسطنطينية توجد بلاد مقدونيا التي كانت لليونانيين ومنها بدأ ملكهم[1]. وفي شرق هذا الخليج إلى آخر الجزء الرابع توجد قطعة من أرض باطوس، وقاعدتها بورصة التي أصبحت للتركمان، وقبلهم كانت للروم[2]، ويصل الجزء الخامس إلى عمورية، وفي شرقها نهر قباقب الذي يمد نهر الفرات بالمياه، وإلى الجنوب حيث يخالط نهر الفرات، وفي غربه ابتداء نهر سيحان، ثم جيحان، وفي شرقه تبدأ منابع نهر دجلة. أما الجزء السادس من الإقليم فتقع في جنوبه وغربه بلاد أرمينيا التي يتاخمها من جهة الشرق بلاد أذربيجان، وآخر هذه البلاد من الشرق بلاد أردبيل على جزء من بحر طبرستان، وعلى هذا البحر من شماله جزء من بلاد الخزر (التركمان). الجزء السابع من الإقليم غربه مغمور ببحر طبرستان، وينكشف من هذا الجزء أرض عند زاويته الشمالية الغربية يصب فيها نهر أورال، والجزء الثامن من الإقليم، وفي الجهة الجنوبية منه تقع بحيرة خوارزم التي يصب بها نهر جيحون، والجهة الشمالية الشرقي منه بحيرة عرعون، وفي الناحية الشمالية جبل مرغار، وفي الجنوب جبل من الحجر الصلد، أما الجزء التاسع من الإقليم فتوجد بلاد أركس من أمم الترك في غرب بلاد الخزر، وشرق بلاد الكيماكية، ويحف بهذا الإقليم من جهة الشرق جبل قوقيا المحيط بيأجوج ومأجوج، أما الجزء العاشر من الإقليم فتقع أرض يأجوج ومأجوج وهي متصلة كلها إلا قطعة من البحر المحيط غمرت طرفا من شرقه وجنوبه وشماله، إلا القطعة التي يفصلها من جهة الجنوب والغرب[3].

يتوسط الإقليم الرابع حسب رأي ابن خلدون البحر الرومي أو البحر المتوسط، والبحر الشامي اللذان يمتدان من طنجة إلى سواحل الشام، إذ نجد من

---

[1]: باسم عبد العزيز عمر العثمان وآخرون، مرجع سابق ، ص26.

[2]: نفسه، ص25.

[3]: نفسه، ص26- 27.

جهة الجنوب سواحل إفريقية (تونس)، والجزائر (المغرب الأوسط)، والمغرب الأقصى) ومصر، ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند الخليج، ثم البنادقة، ثم رومة، ثم الإفرنجة ثم الأندلس. أما الإقليم الخامس فيحدده ابن خلدون طبيعيا على انه ممتد إلى الرابع حيث يرتبط بقشتالة، وأرض ليون، وبرغشت، ثم في الشمال أرض جليقية في اتصال مع المحيط إلى جهة الشمال أرض بنطو من الفرنج، وإلى الشرق نجد بلاد غسكونية التي تمتد على شكل شبه جزيرة نجد على شمالها، جنوة وجنوبها روما، كرسي ملك الإفرنجة قديما، ومسكن البابا. في الشمال من بلاد رومة تمتد بلاد افرنصيصة إلى آخر الجزء. وعلى طرف البحر جنوبا من رومة بلاد نابل متصلة ببلاد قلورية، وهذه المناطق كلها من بلاد الإفرنج[1].

يزيد ابن خلدون إقليما آخر يتميز بالبرودة، وهو الإقليم السادس، فالمناطق المحيطة بالإقليمين الرابع والخامس الممتدة على شكل جزر في البحر المحيط تتوسطها جزيرة انكلطرة التي بها ملك ضخم. في هذا الجزء كذلك بلاد أرمندية (النورماندي)، وبلاد افلادش المتصلة ببلاد فرنسا غربا وجنوبا، وإلى الشمال من فرنسا تمتد بلاد الألمان، وكل هذه الأراضي هي لأمم الإفرنج[2]. هذا الوصف الدقيق للعالم الغربي يظهر إلمام ومعرفة ابن خلدون بجغرافية الغرب بشكل دقيق.

2- تدوين مراحل المسيحية وتنظيماتها عند ابن خلدون.

إذا كان ابن خلدون قد بين العمران، ونشأة النبوءات، وأكّد على أنّ الأوساط المناخية المعتدلة هي المؤهّلة قبل غيرها من المجالات لاحتضان الديانات والنبوءات[3]، فإنه قد وضع انتشار المسيحية في بلاد "الصقالبة والفرنجة" كأحد

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 38/1، 68.

[2]: نفسه ، 66/1- 67.

[3]: جاء في المقدّمة «ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين من الحر والبرد، وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما إلى الوسط، فيكون معتدلاً، فالإقليم الرابع أعدل العمران من كليهما، والذي حافتيه من الثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال، ويليهما الثاني والسادس بعيدان عن الاعتدال، والأول والسابع ابعد بكثير.... فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والأقوات، والفواكه بل والحيوانات، وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة

علامات العمران، والتقدّم الحضاري. وتبدو ايجابية موقف ابن خلدون من الديانة المسيحية من خلال معرفته الدقيقة بمذاهبها[1]، وهذا من خلال استعراضه مختلف مراحل نشأتها[2] وتطوّرها، بدْءًا باضطهاد القياصرة لمعتنقيها[3]، إلى تحوّلها إلى ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور"قسطنطين"[4]. ولأنّ منهجه في استقراء التاريخ البشري يقوم على المزج بين التحليل، والتتبع الكرونولوجي، لم يقف اهتمام ابن خلدون بالآخر في الحضارات السابقة بل اعتنى "بالآخر الحاضر" القريب زمنيا من عصره، وتحديدا بالآخر الأوروبي رغم أنّ السمة العامة للعلاقة مع العالم الإسلامي كان يغلُبُ عليها التوتّر منذ القرن 05 م[5].

وقد شهدت الجهة الغربية من المتوسط وضعا سياسيا، وعسكريا مشابها إذْ استطاع الملوك المسيحيون توطيد سلطتهم في شبه الجزيرة الإيبيرية، فنجح فردينان الثالث في منتصف القرن الثاني عشر من الاستيلاء على قرطبة، واشبيلية، وتمكّنتْ مملكة قشتالة من السيطرة على غرناطة بين أواخر القرن الخامس عشر، ومطلع السادس عشر. وكان من نتائج ذلك أنْ بدأت هجرة واسعة لنخبة من الأندلسيين تجاه المغرب (خاصة إلى تونس مستفيدة من الوضع الإيجابي للحفصيين) منها عائلة ابن خلدون.

بالاعتدال. وسكانها من البشر أعدل أجساماً وألواناً، وأخلاقاً وأدياناً، حتى النبوءات فإنما توجد في الأكثر فيها. ولم نقف على خير بعثة في الأقاليم الجنوبية ولا الشمالي، وذلك لأنّ الأنبياء والرسل إنّما يختصّ بهم أكمل النّوع في خلقهم و أخلاقهم...". ص93.

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 439/3، 448.

[2]: نفسه، 291/3- 292، 301، 306.

[3]: نفسه، 416/3، 425.

[4]: نفسه، 436/3- 437.

[5]: من الأبحاث حول تاريخ المتوسط في تلك المرحلة: *Braudel Fernand, La Méditerranée, Espace et Histoire, édit. Flammarion Paris 1997/ Heers J., Précis d'histoire du Moyen Age, Presse Universitaire de France 1968/ Jehel G., La méditerranée médiévale de 350à1450, Armond Colin 1992/ Carpentier J.(direction de), Histoire de la Méditerranée, édition du Seuil 2001.*

ومما سبق لا نلمس بأن ابن خلدون يشير إلى تحامل غير مبرّر على الآخر الأوروبي الغازي، وتفادي الصيغ والعبارات الدالّة على أنّ الصراع كان صراعا دينيا بحتا، واكتفى عموما باستعراض مراحل توسّع "الإفرنج"في بلاد المشرق والمغرب وجزر المتوسط[1]. وفي نفس الوقت حاول في مواضع مختلفة التوقّف عند الأسباب العامة لنجاح الحملات الصليبية مثل التأكيد على واقع "الفتنة والاختلاف" بالمشرق أو "تقلّص ظلّ" الصنهاجيين في بلاد المغرب[2]. إذْ لاحظ ابن خلدون تنامي قوة (الفرنجة) فإنّه ذكّر أنّ سببها لم يكنْ بمحض الصدفة، وإنّما يعود إلى " ضعف ملك العرب"، وكثرة الصنائع التي هي دليل على عراقة العمران[3].

عندما يستعرض ابن خلدون الديانة المسيحية يبدأ بذكر مولد مريم عليها السلام، وكيف كفلها النبي زكرياء عليه السلام " ووضعها في مكان شريف من المسجد لا يدخله سواها، وهو المحراب فيما قيل"[4]، ثم يأتي على ذكر بشارة مولد عيسى عليه السلام، وكيف بشرت الملائكة مريم عليها السلام "أنها تلد ولدا من غير أب يكون نبيا"[5]. بعد ذلك يستعرض مراحل تطور المسيحية على يد عيسى عليه السلام، ليصل إلى علاقة النبي عيسى مع الحواريين، وكيف تآمر اليهود على قتله، بعد ذلك يُبيّن ابن خلدون تنظيمات الديانة المسيحية، ومراتب كل رجل دين فيها[6]. فابن خلدون توسع في ذكر الديانة المسيحية، واستعرض مراحلها حتى وصل إلى تبني قسطنطين للدين النصراني[7]، وما آل إليه الأمر بعد ذلك من انتشار المسيحية و تطورها .

---

[1]: ابن خلدون، **المقدّمة**، ص388 وما بعدها.

[2]: نفسه، ص398، 440.

[3]: " وأمم النصرانية عُدوة البحر الرومي أقوم الناس عليها (الصنائع) لأنهم أعرق في العمران الحضري و أبعدُ عن البدو وعمرانه"، نفسه، ص449.

[4]: نفسه، 167/2.

[5]: ابن خلدون، **العبر**، 170/2.

[6]: نفسه، 176/2.

[7]: نفسه، 179/2.

3- الغرب وعلوم اليونان مثلما رآها ابن خلدون:

ينطلق ابن خلدون في حديثه عن علاقة الغرب باليونان، وكيف استفادوا من العلوم، من الرواية المشهورة عن الخليفة العباسي المأمون عندما بدأ مشروع الترجمة، ونقل علوم ومعارف الإغريق من لغتهم إلى العربية، وقد بذل جهدا كبيرا في ذلك[1]. هذا المشروع أهَّل العرب بأن يحتفظوا بقسم كبير من العلوم اليونانية، وتمَّ نقلها بعد ذلك إلى أمم أوربا الغربية أو الإفرنج، وبيَّن ابن خلدون أنه لم يتم نقل العلوم من تراث اليونان إلى المسلمين، بل انتقلت للروم المستوطنين القسطنطينية، والذين يعتبرون الوريثين الوحيدين لبلاد اليونان مثلما اعتبر ابن خلدون ذلك[2].

هذا الطرح الخلدوني يلغي فكرة أن الغرب هو وريث علوم اليونان، خاصة عندما تشير مختلف الأقوال بأن عصر التنوير سببه إعادة طرح الإرث اليوناني في مختلف العلوم، وإعادة بعثه على أنه ملهم التنوير في الفترة الحديثة، لكن ابن خلدون يعطينا الصورة الحقيقة للإرث اليوناني على أن مرّ بمرحلة ترجمة، وتحويرات كانت في النهاية رافدا في النهضة الأوربية بعد ترجمتها مرة أخرى، وهو الطرح الذي ترفضه الدوائر الغربية اليوم .

4- التكوين البشري والمادي للغرب أو (لأمم الإفرنج)، وانتشار المسيحية.

يُظهر ابن خلدون علاقة اليونان بالمشرق وهذا بتطرقه إلى حملة الإسكندر المقدوني وكيف بنا مدينة الإسكندرية، ثم ينتقل إلى علاقتهم بالغرب الإفرنجي وأن علاقتهما إنما كانت علاقة عداء[3]. بعدها يبين دور اللاتينيين في روما، و هم الرومان ويستعرض في ذكر أصلهم من البحر المتوسط في جهته الشرقية، وأنهم كانوا إمبراطورية تمتد حدودها من البحر الرومي من الأندلس إلى رومة؛ وصولا إلى

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 32/2.

[2]: نفسه، 102/2.

[3]: نفسه، 187/4.

القسطنطينية؛ والشام؛ ومصر؛ وإفريقية والمغرب، وكيف دخلوا في صراع مع الفرس والسود في بلاد النوبة، ليلي ذلك تطرقه إلى كيفية تحولهم من الوثنية إلى النصرانية بسبب الإمبراطور قسطنطين، وقد كانت والدته سببا في ذلك، كونها أصبحت قديسة فيما بعد[1].

يستعرض ابن خلدون كيف انهارت أمة الرومان أمام الزحف البربري للأمة المتوحشة، وهو بذلك لم يخلص إلى ظهور أمة الإفرنج، وملك رومان بما أن ملكها سيكون بين الجرمان والفرنسيين فيما بعد.

عندما تحدث ابن خلدون عن المسيحية حاول أن يعيد تتبع انتشارها في الغرب بدءا من حياة المسيح -كما أشرنا إلى ذلك سابقا-، حيث ظهر المسيح في عهد أوغسطس، أول ملوك الرومان، وبعد الاضطهاد الذي تعرض له أتباعه (الحواريون) افترقوا ودخلوا مبشرين إلى بلاد الرومان بالنصرانية، وقد نزل بطرس برومة العاصمة الرومانية ومعه بولس، كذلك من المناطق التي ذهب إليها الحواريون الحبشة كما ذهب توماس إلى المشرق، وفليبس إلى أرض إفريقية، كما بقي عدة أتباع بالقدس ومنهم يوحنا. في روما تمت كتابة الإنجيل باللغة اللاتينية، وتمت نسبه إلى تلميذ يوحنا مرقص، كما كتب متى الإنجيل بالعبرانية في المقدس، وكتب لوقا إنجيله بالرومية، وبعثه إلى أكابر الرومان، و سيجتمع كبار الحواريين برومة بعده ويضعوا القوانين الشرعية المعروفة برسائل روما .

تحدث ابن خلدون عن لاختلاف في هذه النسخ التي لم تكن وحيا، وكانت مزيجا بين كلام المسيح والحواريين. بعد ردح من الزمن سيكون للبابا دور كبير داخل المجتمع دينيا، وسياسيا، واجتماعيا، وقد ذكر ذلك ابن خلدون عندما أكّد على أن الإفرنج بضغط من البابا انقادوا لملك واحد يرجعون له في اختلافاتهم، و اجتماعاتهم، ويعرف هذا الملك باسم الأبنردور (الإمبراطور)، وهذا كله جعل من الغرب يتوحد ضد المشرق الإسلامي في الأندلس أو في الحملات الصليبية.

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 210/2.

- **عمران واقتصاد الغرب.**

إذا كانت نظرية ابن خلدون في أن الأمم لا تسير على وتيرة واحدة، وتتغير مثلما يتغير الزمان، والإنسان مثل أمة الفرس، والنبط، والسريان، وكذلك التغير الكبير الذي كان مع ظهور الإسلام، وتكوين دولة كان لها عزّها لغاية ظهور المماليك والترك في المشرق، والبربر في المغرب، ما جعل أمة العرب تتراجع بالإضافة إلى الفرنجة بالشمال[1]. عندما تناول ابن خلدون عمران الغرب المسيحي واقتصاده، كان على علم بأخبار ذلك مشاهدة وسماعا، وهذا عن طريق احتكاكه بالتجار المسيحيين في موانئ المغرب الإسلامي وحتى الأندلس، حيث يصف كيف أصبح التجارة في الغرب تزدهر، والعمران في تزايد، والأموال تكثر في أيدي ساكنيه، وبدأت حواضره ومدنه تزدهر ومتاجره تعظم[2]، إذ يقول عن مشاهدته"فالذي نشاهده لهذا العهد من أحوال تجار الأمم النصرانية الواردين على المسلمين بالمغرب في رفههم، واتساع أحوالهم أكثر من أن يحيط به الوصف"[3].

في إشارة إلى العمران يصف ابن خلدون عمران مدينة رومة التي انبهر بما سمعه عنها، ولعلَّ السؤال الذي يطرح هنا هو لماذا لم يقف ابن خلدون عليها مشاهدة، رغم قصر المسافة بين رومة، وأقرب ميناء في شمال إفريقيا في المغرب الأدنى (تونس)؟ يمكن أن نعزو ذلك إلى الفترة التي دوّن فيها تاريخه العالمي الخاص بالغرب، والذي كان في مصر أين تقلد منصب القضاء، الأمر الذي منعه من السفر، لكن يبقى هذا مجرد فرضية لا تؤكد السبب الحقيقي وراء مشاهدته، وهو الذي سافر للشام رغم انشغالاته في مصر، لهذا يمكن أن يكون انشغاله، وعدم وجود ضرورة ملحّة حسب تقديره تدعه للسفر لبلاد الغرب، ومعرفة أحواله.

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 24/1.

[2]: نفسه، 306/1.

[3]: نفسه ، 306/1.

بالعدو إلى عمران الغرب يصف ابن خلدون مدينة رومة أنها مسكن البابا و فيها المباني الكبيرة و الهياكل و الكنائس مثل كنائس بطرس وبولس. في ظل اتساع مباني الغرب و مدنه و إزدهار يشهد المغرب الإسلامي ركودا حضاريا وتلاشي لعمرانه انتهى به للفقر ونقص الأموال وهو الانتقال الحضاري إلى الشمال أو بلاد الفرنجة خلال نهاية الفترة الوسيطة التي ستتبعها عصور التنوير التي تجعل من الغرب أقوى الأمم، ولعل ابن خلدون حاول أن يعطي السبب وراء ذلك وهو أن الحضارة مرتبطة بعوائد أهل قطر ما، لهذا رأى أن بقاء العرب محصورين داخل القبيلة هي إشارة لحالة البداوة التي تتعارض مع الحضارة، وقد غابت القبيلة من الغرب المسيحي[1].

ينطلق ابن خلدون من أن الازدهار العمراني و الحضاري عامل في كثرة العلوم مثلما مان في بغداد و القاهر و قرطبة، فالغرب المسيحي خلال عصر ابن خلدون هو الإزدهار العمراني و الاقتصادي و ظهور الدول[2]، وستلي فترة بعد ابن خلدون أين ستظهر النهضة في مدن ايطاليا ثم إلى فرنسا لتنتقل إلى انجلترا بسياسة المملكة التي كانت تهدف إلى نقل معالم النهضة الإيطالية إليها، و التي تنتهي بثورة فكرية و صناعية فيما بعد.عندما يتحدث ابن خلدون عن تأثيرات الغرب المسيحي على المسلمين في جانب التقنية الحربية يتطرق إلى الممالك الإفرنجية اتخذت آلات الحرب و الألوية و الطنابير و غيطات[3]، الأمر الذي دفع ملوك المغرب في اتخاذ طوائف من الإفرنج في جيوشهم للتدريب و في الحروب المكشوفة وهو ما يدل على تطور التقنية الغربية حتى على الجيوش و التي ستكون الفارق الذي سيحدد كفة النصر خاصة في الأندلس بين النصارى و المسلمين.

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 306/1.

[2]: نفسه، 306/1.

[3]: نفسه، 217/1.

- الغرب والسيطرة على المتوسط:

ينطلق ابن خلدون في حديثه عن المتوسط من الواقع التاريخي و الحاضر الزمني وهو أن المسلمون والمسيحيون كانوا في تواصل دائم[1] في هذه المساحة البحرية، ويحاول خلال عرضه تحديد حدود المتوسط أو البحر الرومي كما كان يسمى آنذاك من جبل طارق إلى الشام و أن جهته الشمالية تقع على بلاد الفرنجة وجهته الجنوبية تقع على جهة بلاد البربر[2]. يبدأ ابن خلدون حديثه عن المتوسط منذ خلافة عمر بن الخطاب عندما منع على المسلمين ركوب البحر بحجة أن أمم الإفرنج أكثر خبرة ومهارة من المسلمين في البحر الأمر الذي حجب المد الإسلامي لهذه المساحة المائية لغاية خلافة عثمان ابن عفان أين سمح لمعاوية ابن أبي سفيان بالغزو في البحر ودشن المسلمون عهد التوسع البحري في المتوسط، وبدأت الفتوحات في الجانب الشرقي منه، بعدها سيتوسع نفوذ المسلمين على حساب الغرب لغاية العهد الفاطمي اين استطاعت هاته الدولة أن تصل لغاية سواحل ايطاليا وتضم صقلية وتهاجم مرفأ جنوة التجاري. وقد بقيت الأحوال على ما هي عليه لغاية سقوط الفاطميين و الأمويين في الأندلس و هي الفترة التي بدء الغرب المسيحي الدخول للمتوسط، وقد تبع ذلك ما يعرف بالحملات الصليبية التي كانت في حاجة إلى مراكز عبور نحو المشرق الأمر الذي دفع الغرب للاستيلاء على أهم الجزر في الجهة الشرقية للمتوسط مثل صقلية و مالطا وقبرص، بالإضافة إلى طرابلس والمهدية، لكن هذا لم يمنع من المرابطين في الغرب إلى الحفاظ على دورهم البحري خاصة في قادس على سواحل الأندلس.

يستعرض ابن خلدون تفوق الموحدين في البحر، حيث استطاعوا السيطرة على الجهة الغربية وهذا بفضل مهارات البحارة المسلمين أمثال أحمد الصقلي، وقد

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 210/1.

[2]: إلى غاية القرن 19 م كانت كل المصادر التاريخية الغربية تسمى الجهة الجنوبية من المتوسط بالساحل البربري خاصة مع ازدياد نشاط القرصنة خلال القرن 17م.

ساق ابن خلدون دليل قوة الموحدين البحرية عندما طلب صلاح الدين الأيوبي المساعدة من السلطان أبي يعقوب المنصور و قد رفض الأخير مساعدته لجهاد أمم الفرنجة في الشرق بسبب عدم إعطاء السلطان الموحدي لقب الخليفة، والذي كان في نظره أحق به من العباسيين على حسب رواية ابن خلدون. لكن بعدها تراجعت قوة الموحدين على حساب الجلالقة خاصة في جزر البحر الغربي و كثرت أساطيلهم فنسي المسلمون عوائد البحر و تغلبت عليهم عوائد البداوة ووصل الأمر بالمسلمين إلى أن أصبح الحجيج ينقلون عن طريق سفن النصارى من المغرب إلى الإسكندرية.

يشير ابن خلدون إلى أن على المسلمين أن يعيدوا الكرة على النصرانية و يفتتحوا ما وراء البحر من بلاد الإفرنج ولا يكون ذلك إلا بالأساطيل[1]. ولعل الأمر حدث مع ظهور العثمانيين الذين سيطروا على المتوسط خلال فترة زوال قوة البحرية الإسبانية و البرتغالية لغاية ظهور البحرية الملكية البريطانية والفرنسية ليعود الغرب المسيطر على المتوسط.

- **وحدة الغرب ضد المسلمين:**

يرى ابن خلدون أن توسع الغرب المسيحي المتمثل في الفرنسيين و الألمان والإنجليز نحو المشرق سببه استفحال ملكهم بروما و البلاد الشمالية ما جعلهم يشعرون بالقوة فدفعهم ذلك إلى احتلال جزر البحر المتوسط ثم تلتها منطقة الشام و بيت المقدس[2]. كذلك يعزو ابن خلدون نجاح الغرب المسيحي في مشروعه التوسعي في المشرق إلى تخاذل القوة الإسلامية بل أن بعضها تحالف مع النصارى مثل كباش بت تتش الذي عين النصارى ابن أخيه دقاق حاكم على دمشق[3]. في تعرضه لعلاقة الغرب المسيحي بالمسلمين في المشرق يصف ابن خلدون معارك تحرير بيت المقدس التي كان صلاح الدين الأيوبي قائدها، فقد قام بإعادة توحيد

---

[1]: ابن خلدون، **العبر**، 217/1.

[2]: ابن خلدون، **العبر** ، 204/1.

[3]: نفسه، 189/1.

جزء من العالم الإسلامي والوقوف في وجه المد المسيحي الفرنسي الألماني والإنجليزي، وقد توسع ابن خلدون في ذكر ذلك[1].

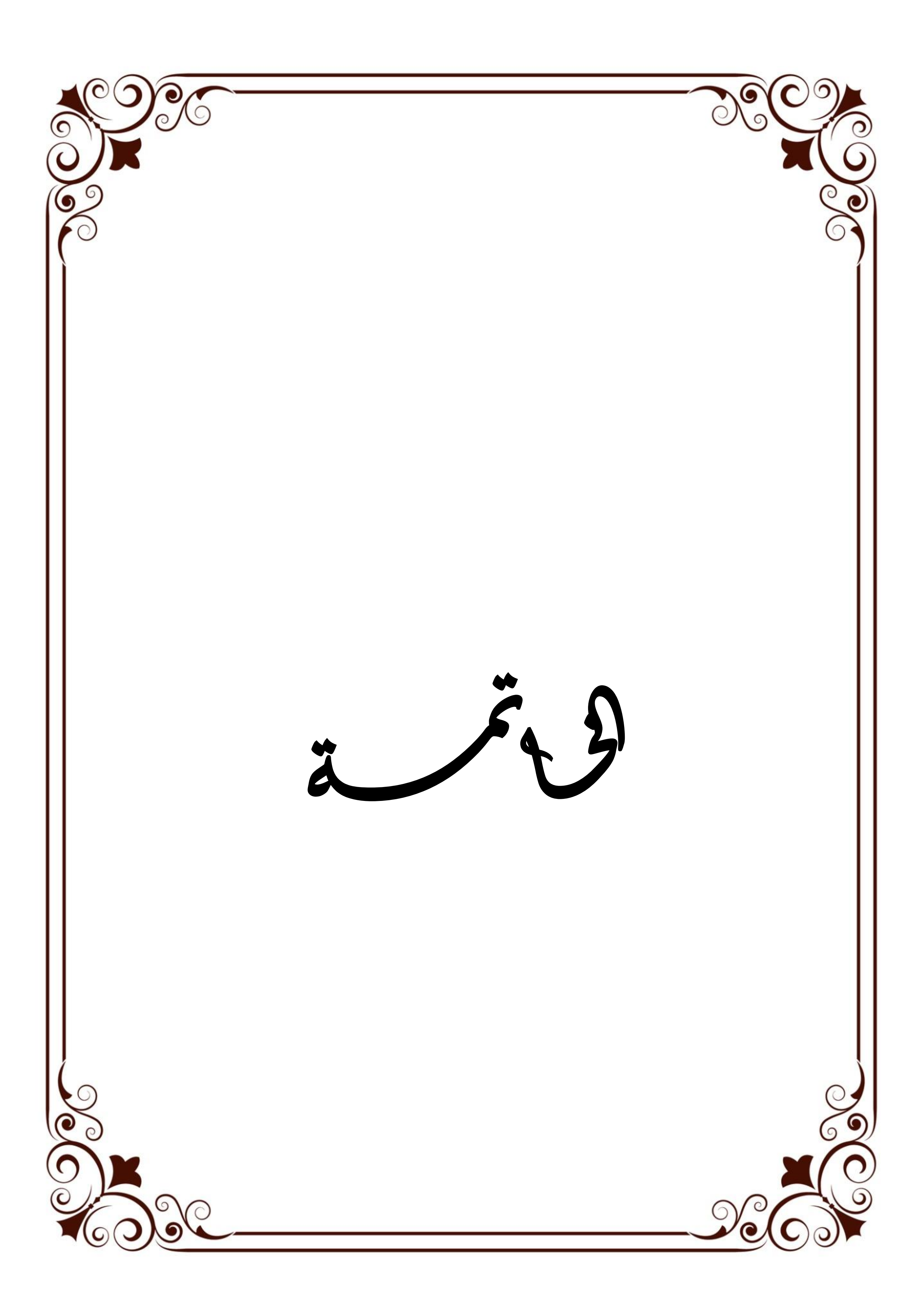
يستعرض ابن خلدون علاقة الغرب المسيحي مع بعضهم البعض، وهذا عندما يتحدث عن حملات الألمان على القسطنطينية وقد وصفهم بأنهم شعب إفرنجي كثير العدد يميز بالبأس والشدة[2] ، فقد هاجموا إخوانهم في الدين بالقسطنطينية ونهبوا الأموال وأكثروا القتل وقد لجأ القسيسون إلى كنيسة أيا صوفيا يحملون الإنجيل والصلبان لكن رغم ذلك قتلوهم[3]. كذلك من المسائل التي تعرض لها ابن خلدون في علاقة الغرب مع بعضهم البعض قضية التصفية الجسدية من طرف السلطة ويعطي مثال عن جورجي الأنطاكي الذي خدم المسيحين على سواحل المغرب، إذ تم إعدامه بسبب إعفائه عن جماعة من أهل الدين و العلم المسلمين ببونة، فحبسه النورمان بصقلية ثم تمّ اتهامه في دينه فحكم عليه بالقتل حرقا[4].

[1]: نفسه، 309/1.

[2]: نفسه، 321/1.

[3]: نفسه، 183/1.

[4]: نفسه، 204/1.



الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة حول الكتابة التاريخية ومناهجها في المغرب الإسلامي خلال القرنين (07_08هـ/13-14م)، توصلت إلى جملة من النتائج أجملها فيما يلي:

كان للتراجع الذي شهده العالم الإسلامي خلال نهاية العصر الوسيط مشرقا ومغربا، وتفكك نظام الخلافة خصوصا في مغرب ما بعد الموحدين أثر بارز في ظهور نماذج من الكتابة التاريخية الجامعة التي حاولت التذكير بمرحلة الوحدة في شكل خطاب حنيني يبدو أنه خرج عن توجيه البلاط بخلاف النماذج السابقة للتواريخ العالمية التي مثّلت خط السلطة المركزية لعقود طويلة، وإن كان كَمُّ هذه التواريخ التي دعت إلى التوحد ضئيلا إلا أنها كُتبت وفق مقاربات منهجية مميزة، واعتمدت روافد مفقودة، وأرَّخت للعالم الإسلامي انطلاقا من ثنائية المشرق والمغرب، ما جعل هذه التواريخ الجامعة بداية لنهاية مرحلة مفهوم الأمة ونظام الخلافة لصالح التواريخ القطرية والمحلية التي سوف تَحلّ محلها، وترافق الكيانات المجزأة التي أعقبت الموحدين، وانحصرت في حدود ضيقة، وساهمت في الدعاية لتثبيت شرعية السُلط القائمة.

ولم يكن ظهور التواريخ العالمية في هذه المرحلة إلا استجابة طبيعية لما آل إليه العالم الإسلامي من تفكك، وتراجع عسكري مؤذن بخيبات سوف تأتي على جوانب أخرى كالجانب السياسي بالتنافس على السلطة، وتهاوي اقتصاد الدول ومبادلاتها التجارية، وضعف التعليم، ومستوى الثقافة، ولهذا ربطت التواريخ المذكورة بين تاريخ العدوتين، وتاريخ المشرق بالمغرب لمحاولة بعث التغيير، والتوحد من جديد.

ونتاجا لما حلّ ببلاد المغرب من تفكك، ووصول الجماعات البربرية الزناتية للسلطة في مغرب ما بعد الموحدين انتعشت الكتابة المحلية السلالاتية، وسعى كل من المرينيون في فاس، والزيانيون في تلمسان، والحفصيون في تونس إلى تثبيت شرعية حكمهم من خلال النسب العربي، وتقوية نفوذهم السياسي على حساب

بعضهم البعض بعد حروب طويلة، وصراع جعل من الحدود الجغرافية غير مستقرة، كما استغل هؤلاء الحكام أقلام المؤرخين خاصة الموظفين الذين كانوا يشغلون مناصب إدارية، للعناية بتاريخ الأسرة الحاكمة، وإظهار جهودها في تسيير الدولة، والحفاظ على قوتها ووحدتها ووجودها.

إن الصورة التي رسمتها الكتابة السلالاتية، والتواريخ الأسرية يمكن وصفها بالمثالية، لأن الترويج للبطولات، والمنجزات، وللصفات التي تحلى بها سلاطين الدول المدعية للإرث الموحدي جاء على حساب الحقائق، بعد إغفال الحديث عن التراجع الذي كان يعيشه المغرب الإسلامي خصوصا على المستوى العسكري، فضلا عن المستويات الأخرى، والتي يُجمع عديد المفكرين على أنها مرحلة بداية الانحطاط، والضعف للعالم الإسلامي.

وبالرغم من كون التواريخ الأسرية قد صبغت بصبغة تمجيدية، وأغفلت ذكر كل ما يسيئ للسلالات الحاكمة إلا أنها ساهمت في تنوع الكتابة التاريخية المحلية، وتعدد نماذجها من حيث الكم والنوع في أشكال مغايرة لما عرفه مغرب ما قبل الموحدين.

وغير بعيد عن المرحلة الزمنية التي انتعشت فيها التواريخ الأسرية نهاية العصر الوسيط، وفي طرح مخالف عن نهج التواريخ العالمية في بلاد المغرب الإسلامي جاءت محاولة ابن خلدون لتدوين تاريخ عالمي جزئي ضمن مؤلف واحد، بدأه أول الأمر ككتابة محلية عن بلاد المغرب، ثم وسّعه بعد رحلته إلى المشرق، ما جعله يتفرد في الكتابة المغربية نتيجة شهادته على الأحداث، والاستفادة من تجربته البلاطية الكبيرة، وإشرافه على وثائق الدول العزيرة، وبتوظيفه مقاربات ونظريات لم يسبق إليها.

إن مفهوم التاريخ العالمي عند ابن خلدون لم يتوقف على التأريخ لجهات العالم الإسلامي فقط بل حاول التأريخ للغرب المسيحي، انطلاقا من التحديد

الجغرافي، ثم اعتماد مصادر دينية وأخرى تاريخية مترجمة في الغالب لرسم صورة عن الآخر في تجربة فريدة، وإن كانت الأسئلة التي تطرح عن التعدد اللغوي عند ابن خلدون، ونوعية المصادر التي رجع إليها كثيرة لتقييم محاولته في التأريخ للغرب المسيحي.

وفي محاولة أخرى لصبغ كتابه "العبر" بصبغة عالمية مغايرة للكتابات الأخرى أرّخ ابن خلدون للمشرق الإسلامي، ولم يكتف بالمصادر العربية المعروفة عنده، والتي يجدها في المصنفات التاريخية العربية قبله، بل لجأ إلى مصادر أعجمية أرّخت للمشرق الإسلامي من موقع قريب، وشاهد على الأحداث، وهي محاولة تُكتب لابن خلدون على أنه سعى إلى تأليف عالمي في كتاب واحد هو " العبر" وإن وُصِف بالجزئي.



قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

ابن أبي زرع الفاسي (كان حيا سنة، 726هـ/1325م)،

- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م.
- **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت 807هـ/1404م)

- **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م
- **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 2003م
- **النفحة النسرينية واللمحة المرينية**، ط1، موقع الوراق
- **مستودع العلامة ومستبدع العلاّمة**، تحقيق محمد التركي التونسي، ومحمد بن -تاويت التطواني، منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط، المطبعة المهدية، تطوان، 1964م
- **أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن**، ، تحقيق، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن الخطيب السلماني (ت 776هـ/1374م)

- **إعلام الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية.
- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م
- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقق يوسف علي طويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م

- **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب،** تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، 1981م
- **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تحقيق السعدية فاغية، مكتبة النجاح الدار البيضاء، 1989م
- **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تحقيق السيد البشير الفورتي ، مطبعة التقدم الإسلامي، تونس، 1910م.
- **الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

ابن السماك العاملي، أبو القاسم محمد (ق 08هـ/14م)

- **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م،
- **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط1 1979م
- **الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة**، تحقيق محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد 1979-1980م.

ابن الشّماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 873هـ/1429م)،

- **الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1984م.

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن محمد بن أحمد (ت 1089هـ/1678م)

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق عبد القادر ومحمد الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1989م.

ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت 555هـ/1160م)

- **تاريخ دمشق**، تحقيق سهيل زكار، دمشق، 1983م.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت 380هـ/990م)

- **الفهرست**، تحقيق فؤاد أيمن السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2009م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد (ت852هـ/1448م)،

- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجيل، بيروت، 1993م.

ابن حزم القرطبي، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت456هـ/1063م)

- **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

ابن خلدون، أبو زكريا يحي من محمد الحضرمي (ت 780هـ/1378م)

- **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980م. الجزء2، علم المعرفة، الجزائر، 2011م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/1406م)

- **المقدمة**، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط6، دار نهضة مصر للنشر، مصر، 2021م
- **المقدمة**، تحقيق عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، 2005م
- **لباب المحصل في أصول الدين**، تحقيق عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م
- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م
- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** تحقيق خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، ، 1408هـ/1988م،
- **الرحلة**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م،

- **الرحلة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

ابن سعيد المغربي الغرناطي، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/1286م)

- **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1955م.

ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت 703هـ/1303م)

- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت.

ابن عذاري المراكشي، (كان حيا سنة، 712هـ/1312م)

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الأول والثالث: تحقيق ج.س. كولان، وإيفاريست ليفي بروفنصال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، والجزء الثاني: تحقيق ج.س. كولان وليفي بروفنصال، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980م، والجزء الرابع: تحقيق إحسان عبّاس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، وقسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الأبياري، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م.

ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي المالكي (ت 799هـ/1396م)

- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق، محمد الأحمدي أبو النور، ط2، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، 2005م.

ابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد (ت 810هـ/1407م)

- **شرف الطالب في أسنى المطالب**، منشور ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م
- **أنس الفقير وعز الحقير**، تحقيق أبي سهل نجاح عوض، دار المقطم، القاهرة، 2001م
- **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م
- **الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.

ابن مرزوق الخطيب التلمساني، محمد بن أحمد (ت 781هـ/1379م)

- **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1981م
- **المناقب المرزوقية**، تحقيق سلوى الزاهي، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2008م.

ابن مريم، محمد بن محمد المليتي التلمساني (ق11هـ/17م)

- **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م.

ابن منقذ، أسامة بن مرشد (584هـ/1188م)

- **كتاب الاعتبار**، بيروت 1981.

أبو حمو موسى الزياني (ت791هـ/1388م)،

- **واسطة السلوك في سيتسة الملوك**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1862م.

الأصفهاني، عماد الدين محمد بن صفي الدين (ت597هـ/1201م)

- **خريدة القصر وجريدة العصر**، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م

البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487هـ/1094م)

- **المسالك والممالك**، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

التادلي، يوسف بن يحي بن الزيات (ت627هـ/1230م)

- **التشوف إلى رجال التصوف**، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م.

التنبكتي، أبو العباس أحمد بن أحمد بابا الصنهاجي (ت1036هـ/1627م)

- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، مراجعة عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م.

التنسي محمد بن عبد الله (ت899هـ/1493م)،

- **تاريخ دولة الدارسة (مقتطف من نظم الدر والعقيان)**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م

- **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، (مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان)**، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985م.

الجزنائي، أبو الحسن علي (كان حيا سنة، 766هـ/1364م)

- **جنى زهرة الآس في بناء مدينة** فاس، ط2، المطبعة الملكية الرباط، 1991م.

الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر(ت488هـ/1095م)

- **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، المكتبة العصرية، بيروت، 2004م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت **748**هـ/**1347**م)

- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، تحقيق طيار التي فولاج، سلسلة عيون التراث الإسلامي، اسطنبول، **1995**م.

الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الؤلؤ (كان حيا سنة، 894هـ/1488م)

- **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1496م)

- **الإعلان عن التوبيخ لمن ذمّ التاريخ**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م،
- **الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، 1992م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين (ت 911هـ/1505م)

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، 1965م.

الصفدي، خليل بن أيبك (ت 764هـ/1362م)

- **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.

عياض القاضي، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544هـ/1149م)،

- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.

القاضي المكناسي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 1025هـ/1616م)،

- **درّة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1971م
- **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من أعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م،

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي الفزاري (ت 821هـ/1418م)

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م
- **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط**1**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، **1980**م.

المراكشي، عبد الواحد (ت 647هـ/1249م)

- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، ط3، القاهرة، 1963م.

المسعودي، على بن الحسين (346هـ/957م)

- **التنبيه والأشراف**، دار مكتبة الهلال، بيروت 1981م.
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، القاهرة، 1928م.

المقري التلمساني، أبو العباس أحمد القرشي التلمساني (ت 1041هـ/1631م)

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.

الملزوزي، أبو فارس عبد العزيز (ت 697هـ/1297م)

- **نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1963م.

مؤلف مجهول، (كان حيا سنة، 712هـ/1312م)

- **مفاخر البربر**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، 2005م.

مؤلف مجهول، (كان حيا سنة، 761هـ/1361م)

- **زهر البستان في دولة بني زيان**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، دار المعرفة، الجزائر، 2011م.

الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد

- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء المغرب، 1997م.

الونشريسي، أبو العباس أحمد(ت914هـ/1508م)

- **الوفيات**، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت 626هـ/1229م)

- **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م.

ثانيا: المراجع.

إبراهيم الصعيدي ماجد مصطفى

- **المُشرق في حُلى المَشرق: قراءة في منهجه وتحليل لمصادره**، صحيفة الألسن: سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، العدد 20، جامعة عين شمس، كلية الألسن، القاهرة، يناير، 2004م، ص208- 260.

أومليل علي

- **الخطاب التاريخي- دراسة لمنهجية ابن خلدون-**، ط4، الدار البيضاء- المغرب، المركز الثقافي العربي، 2005م.

باسم عبد العزيز عمر العثمان وآخرون

- **الاتجاه الإقليمي عند ابن خلدون: دراسة في الفكر الجغرافي**، مجلة جامعة الكويت، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الجغرافيا، العدد 450، نوفمبر2017م، ص01- 41.

بدوي عبد الرحمن

- **ابن خلدون و مصادره اللاتينية**، أعمال ندوة ابن خلدون ، 14-17 شباط، 1979م،ص 148-50.

بن سودة المري عبد القادر

- **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م.

بن عمر حمادي

- **الديمغرافيا التاريخية في تونس والعالم العربي**، تونس، دار سراس للنشر، 1993م.

بوباية عبد القادر وآخرون

- **مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط(الجزائر) خلال العصر الوسيط**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014م.

بورحلة موسى

- **ابن خلدون وفلسفة السياسة**، (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2011-2012م.

التطواني محمد

- **التعريف بابن أبي زرع**، مجلة الثقافة المغربية، العدد 9، 10، 1945م، ص480، 483.

جبران نعمان محمود

- **جوانب من صورة الآخر في التاريخ الإسلامي**، دراسات تاريخية، السنة الخامسة عشرة، العددان 49-50، آذار/حزيران1994، ص 45-61.

الجعماطي عبد السلام

- **ما فقد من التواريخ الفاسية نحو تأصيل لنشأة التدوين التاريخي بالمغرب الأقصى**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثامنة عشر، العدد 72، ، صادرة عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ديسمبر 2010م، ص133-152.

جواد علي

- **موارد تاريخ الطبري**، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد1(1950)عدد2 (1953)عدد2 (1954).

حاجيات عبد الحميد

- **يحيى بن خلدون وكتابه بغية الرواد**، مجلة عصور جديدة، العدد 3-4 (عدد خاص)، خريف2011م، شتاء 2012م، ص24.

حجي محمد وآخرون

- **معلمة المغرب**، مطابع سلا، الرباط، (1419هـ/1998م)، 9/2996-2997.

حسين طه

- **فلسفة ابن خلدون الاجتماعية**، ترجمة محمد عبد لله عنان، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1925م.

حمداوي محمد مأمون

- **سؤال المنهج عند ابن خلدون**، مجلة أوراق فلسفية، العدد 39، جامعة وهران، الجزائر، يناير 2013م، ص274- 260.

الخاتمي نور الدين

- **علوم الشرع عند ابن خلدون**، مجلة المشكاة، جامعة الزيتونة، تونس، العدد4، 2006م، ص ص 119- 158.

الخالدي طريف

- **بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه**، بيروت، دار الطليعة، 1982م.

خليفي رفيق

- **البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3- 9هـ/إلى نهاية القرن 9-15م**، أطروحة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، (2007-2008م).

خليل عماد الدين

- **حول إسلامية تفسير ابن خلدون للتاريخ**، مجلة جمعية المسلم، الصادرة عن جمعية المسلم، العدد32، شوال- ذو الحجة، 1982م، صص25-49.

دبور محمد علي

- **ابن عذاري المراكشي ذاكرة الفكر التاريخي بالغرب الإسلامي**، ط1، بيروت، دار المقتبس، 2018م.

الدوري عبد العزيز

- **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**، بيروت، دار الشرق، 1983م.

ذنون طه عبدا الواحد

- **ابن عذاري المراكشي شيخ مؤرخي المغرب العربي**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2005م.

الزركلي، خير الدين،

- **الأعلام**، ط15، دار العلوم للملايين، بيروت، 2002م.

زريق قسطنطين

- **نحن والتاريخ**، بيروت، دار العلم للملايين، 1985م.

زهية قدورة

- **ابن خلدون والحقيقة التاريخية**، مجلة المؤرخ الغربي، منشورات الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العراق، عد01م، 1975م، ص53- 64.

ساحلي آسيا

- **انتقال المعرفة التاريخية في الأندلس والمغرب في نهاية العصر الوسيط**، (رسالة ماجستير)، نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2007-2008م
- **مكانة التاريخ في الحقول المعرفية في بلاد المغرب الإسلامي في نهاية العصر الوسيط (08-10هـ/14-16م)**، (أطروحة دكتوراه، نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، 2018-2019م،
- **المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية** خلال القرن 07هـ/13م، مجلة (BIBLID(1133-8571 العدد 21، 2014م، ص 97-116.

سراج الدين إسماعيل

- **ابن خلدون انجاز فكري متجدد**، مكتبة الإسكندرية،مصر، 2008م.

سعد الدين مكي

- **مصطلح الغرب بين النشأة الأسطورية والنهاية الكوسموبوليتية**، مؤمنون بلا حدود، https://www.mominoun.com/ شوهد يوم 2021/09/29م على الساعة 10و30د.

سعد الله أبو القاسم

- **بحوث في التاريخ الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2003م.

سعد زغلول عبد الحميد

- **ابن خلدون مؤرخا: تاريخ العرب والبربر في كتاب العبر**، مجلة عالم الفكر، مج14، العدد2، ، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1983م، ص 11-70.

سعيدوني ناصر الدين

- **من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي**، ط1، دار التراث الإسلامي، بيروت.

سهام بوعنيني

- **أبو عبد الله التنسي وكتابه نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009م،

شاكر مصطفى

- **التاريخ العربي والمؤرخون**، بيروت، دار العلم للملايين، 1982م.

الشاهري مزاحم علاوي ومحمود عيسى سالم

- **المؤرخ ابن أبي زرع ومنهجه في كتاب الأنيس المطرب**، مجلة التاريخ العربي، العدد 34، 2005م، صص، 141، 171.

الشبول أحمد

- **نحو مقاربة منهجية لدراسة التاريخ العربي من منظور التاريخ العالمي، مسألة النظر إلى الثقافات الأخرى، التاريخ العربي وتاريخ العرب، كيف كتب، وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة**، مجموعة مؤلفين، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، إعداد وتنسيق وجيه كوثراني، ، بيروت، 2017، ص46.

صالح عثمان فيروز عثمان

- **منهج الكتابة التاريخية عند ابن خلدون**، مجلة آداب، كلية الآداب جامعة الخرطوم، السودان، العدد4، ديسمبر 2006م، ص39-73.

ضيف شوقي

- **تاريخ الأدب العربي**، دار المعارف، مصر، 1995مز

طاهري أمحمد

- **عادات وتقاليد المغرب الغسلامي في عيون ابن سعيد المغربي**، مجلة الإنسان والمجال، العدد2، ديسمبر 2020م، مج6، ص30-47.

عائشة خامد

- **الفكر التاريخي عند الزركشي**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، منشورات جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، جوان 2017م، مج1، العدد 1، ص19-37.

عبد العزيز الدوري،

- **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**، دار المشرق، بيروت1986 ص15-28 /

عجيل حسين كريم؛ محمد سحاب وفاء

- **النقد عند ابن سعيد في كتابه المُغرب في حُلى المغرب**، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد2، جامعة الأنبار كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق، حزيران، 2012م، ص198- 208.

عدالة مليكة

- **ظاهرة الانحراف من خلال كتاب المُغرب في حُلى المَغرب"** لابن سعيد المغربي، مجلة عصور، العدد 2، مج 19، ص144- 158.

عرابي عبد القادر

- **قراءة سوسيولوجية في منهجية ابن خلدون " الفكر الاجتماعي الخلدوني"**، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004 م، ص52.

علاوة عمارة

- **الإدريسي صاحب أول خريطة جغرافية للغرب المسيحي**، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص203.
- **الغرب من منظور ابن خلدون**، دراسات تاريخية وفكرية، موفم للنشر، الجزائر، 2008م، ص248.
- **الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط**، مجلة التاريخ العربي، العدد32 خريف 1425هـ/2004م، ص354.

علي بن حيدر علي عبد الله بن محمد

- **كتاب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي ومنهجه التاريخي**، (أطروحة دكتوراه)، نوقشت بالمملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية،1997-1998م.

عمر فوزي فاروق

- **التدوين التاريخي عند المسلمين**، الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2004م.

العناني رشيد

- **دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة و البشر**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1997م، ص 214 – 215

الفاسي محمد

- **المؤرخان ابن أبي زرع وابن عبد الحليم حقيق عن مؤلف القرطاس**، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، تطوان، العدد5، 1960م، ص159- 164.

فؤاد السيد أيمن

- **الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2017م.

فواد سزكين

- **تاريخ التراث العربي**، ترجمة محمود فهمي حجازي، الرياض1983م ، مج1، 32/2.

فيلالي عبد العزيز

- **تلسمان في العهد الزياني**، (درسة سياسية، عمرانية؛ اجتماعية؛ ثقافية)، موفم للنشر، الجزائر
- **مدينة قسنطينة**، دار الهدي، عين مليلة الجزائر، 2007م
- **الزاوية الملارية؛ تأثيرها الروحي والديني على الدولة والمجتمع** - دراسات وبحوث مغربية مهداة إلى الدكتور موسى لقبال، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، قسنطينة، 2008م.

قويسم محمد

- **ابن قنفذ القسنطيني ومنهجه في كتابة التاريخ (741-810هـ/1340- 1407م)**، حوليات جامعة قالمة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد7، 2013م، ص131-254.

كامل سليمان الجبوري

- **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م**، (باب الميم)، دارالكتب العلمية، بيروت.

كحالة عمر رضا

- **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، **معجم المؤلفين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م.

كعامر أحمد القبج

- **رؤية ابن خلدون للعلوم الدينية في المغرب والأندلس من خلال مقدمته: دراسة تحليلية ونقدية مقارنة**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، مج35، العدد139، صيف 2017م، ص93- 135.

كنون عبد الله

- **ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة**، ط1، 2010م، دار ابن حزم، بيروت، ص468، 474، **مؤلف الذخيرة ومؤلف القرطاس**، مجلة تطوان، العدد2، 1957م، ص145حتى 153، .

كوثراني وجيه

- **تاريخ التأريخ**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط2، بيروت، 2013م.
لويس شيخو
- **علماء النصرانية في الإسلام**1300 – 622 ، تحقّيق وتقدّيم الأب كميل حشيمة اليسوعي، سلسلة التراث العربي المسيحي5، ل ر ط، منشورات المكتبة البولسية جونيه، لبنان، 1983م، ص32.
محفوظ محمد
- **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.
محمد الخالدي نوال فرحان
- **رؤية ابن عذاري المراكشي للحوادث المؤثرة في حركة التاريخ**، مسالك للدراسات الشرعية واللغوية والإنسانية، السعودية، العدد9، فبراير 2021م، ص58-78.
محمد الخطيب شوهنده
- **مصادر التاريخ المحلي لبلاد المغرب خلال القرنين (08-09هـ/14-15م)**، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2016م، ص267.
محمد المنوني
- **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1983م.
محمد ظريف
- **طريقة التأليف عند المؤرخين المغاربة في العصر الوسيط، نموذج الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لعلي بن أبي زرع الفاسي**، مجلة تاريخ العرب، العدد3، 1983م، صص81، 97.
محمد عزلاوي
- **كتابات ابن سعيد في التراجم والاختيارات الأدبية**، مجلة مقاربات، العدد 1، مج 6، ص من 127 إلى 136.
محمد على الأحمد

- **نحو رؤية منهجية مواكبة في دراسة التاريخ" ابن خلدون نموذجا "**، إسلامية المعرفة، المعهد العالي للفكر الإسلامي، العدد 51، السنة 13، بيروت، 1428هـ/2008م، ص09- 38.

محمد علي أحمد قويدر

- **تطور الكتابة التاريخية في عهد الدولة المرينية (668-869هـ/1269-1465م)**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2016م، ص112- 113.

محمد مصطفى زيادة

- **المقريزي المؤرخ الكبير**، مجلة العربي، العدد 14، يناير 1960، ص33.

محمود إسماعيل

- **الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي**، الرباط، منشورات الزمان، 2000م.

محمود زناتي أنور

- **مصادر تاريخ المغرب والأندلس**، دار سحر للنشر، 2008م.

مصطفى ابراهيم وآخرون

- **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، القاهرة.

المطوي محمد العروسي

- **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار العرب الإسلامي، ببروت 1986م.

مؤنس حسين

- **ابن خلدون جغرافيا**، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد3، 1979م، صص329- 369.
- **تاريخ الجغرافية والجغرافيين**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1986م.
- **التاريخ والمؤرخون- دراسة في علم التاريخ**، القاهرة، دار الرشاد، 2001م.

نشاط مصطفى

- **الآبلي (757هـ/1356م) شيخ ابن خلدون في العلوم العقلية، مسار عالم غامض**، أعمال اليوم الدراسي: مسالك الثقافة والمثاقفة في تاريخ المغرب – أعمال تكريمية

مهداة للأستاذ السعيد لمليح، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مكناس، 2016م، ص201- 210.

- **جوانب من المسكوت عنه في الكتابة التاريخية المرينية نموذج: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،** حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (دراسات في تاريخ المغرب)، العدد 7، (عدد خاص)، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1990م، ص187.

نصيرة صديقي

- **الكتابة التاريخية في العصر الوسيط" ابن أبي زرع أنموذجا"**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد2، العدد2، ديسمبر، 2018م، ص291.

نويهض عادل

- **معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)**، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، 1980م.

وافي علي عبد الواحد

- **عبقرية ابن خلدون**، ط2، عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، 1984م.

ثالثا: المراجع المعربة.

أركون محمّد

- **الإسلام- أوروبا- الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة**، ترجمة هاشم صالح، ط2، دار السّاقي2، 2001م.

برونشفيك روبار

- **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15،** ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1988م.

تاديوس ليفيتسكي

- **المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة ماهر وريما جرار، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000م.

روزنتال فرانز

- **علم التاريخ عند المسلمين**، بغداد، دار المثنى، 1963م.

شاتزميلر مايا

- **المؤرخون والسلطة في المغرب،** تعريب ومراجعة، محمد شقير، محمد ظريف، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص27.

لابيكا جوج

- **السياسة والدين عند ابن خلدون**، ترجمة موسى وهبة، وشوقي الدويهي، ط1، دار الفرابي، بيروت، 1980م.

رابعا: المراجع باللغة الاجنبية

A. Bonnetty,

- Documents historiques sur la religion des Romains et sur la connaissance qu'ils ont pu avoir des traditions bibliques, t.1 pp.29-213-168, Paris 167

Abdallah Laroui,

- Islam et histoire, paris, Albin Michel,1999.

Braudel Fernand,

- La Méditerranée, Espace et Histoire, édit. Flammarion Paris 1997/ Heers J., Précis d'histoire du Moyen Age, Presse Universitaire de France 1968/ Jehel G., La méditerranée médiévale de 350à1450, Armond Colin 1992/ Carpentier J.(direction de), Histoire de la Méditerranée, édition du Seuil 2001.

Cherbonneau.A,

- «Lettre a M. Defrémery Sur Mohamed Et Tanaci et son histoir des beni Ziyan » Journal Asiatique , 4^{0}, sére T XVIII,(nov-dec, 1851), p.585-591

Claude Cahen,

- «Quelques chroniques anciennes relatives aux derniers fatimides » Dans Bulletin de l'Institut français d'archéologie orientale, 1939,p.1-27 ; « Les chroniques arabes dans les bibliothèques d'Istanbul » dans Revue des études islamique,1936,p.333-368.

Dubois Claude-Gilbert,

- Mythologies de l'Occident: les bases religieuses de la culture Occidentale, Editeur, Ellipses marketing, Paris, 2007, p, 8

Encycl. Judaica,
- vol.X p.298/ W.J.Fischel, Ibn Khaldûn in Egypt p.139-148

Goldziher I.,
- Isra'iliyyat, Revue des études juives, XLIV 1902 pp.63-66

I. S. Allouche,
- Chronique anonime des dynasties almoravide et almohade. Rbal. Editions Félix Moncho. 1936. (collection de textes arabes publiée par l'institut des des hautes Etudes Marocains, vol. VI)

L.M.Amitai,
- Romains et Juifs, étude critique sur les rapports publics et privés qui ont existé entre les Romains et les juifs jusqu'à la prise de Jérusalem par Titus, Paris1894. Histoire de la guerre des Juifs (77-78ap.JC.) / Les antiquités juives / Histoire des juifs depuis la création du monde jusqu'à leur révolte contre les Romains, en 20 livres / vitae (autobiographie)/ Défense de la nation juive et réponse à Appien/ Discours sur le martyre des Macchabées…

Maria JesusRubiera,
- sur un possible auteur de la chronique intitulee Al- Hulal al-mawsiyya: fidikr al-ajbar al-marrakusiyya , en 2 coloquio Hispano – Tunicino pp143-146

Maya Shatzmailler,
- L'historiographie me'rinide: Ibn khaldun et ses contemporains, leiden, E.J. Brill, 1982. P18. El Musnad : Hecbos memorables de abu l-Hasan, sultan de benimerines. Instituto hispano-arabe de Cultura, Madrid 1997. " Les circonstances de la composition du Musnad d'Ibn Marzuq" Arabica, 22, (1975), p. 293-299.

Œuvres choisies,
- éd. De H.Honimer,1967 Josippon Abu Shakir Ibn al-Rahib", The Coptic Encyclopedia, New York: Macmillan Publishers, Vol. 1, cols. 33a–34a.

S.D.Goitein,
- Les documents de la Geniza du Caire comme source de l'histoire de la civilisation musulmane, Studia Islamica III,Paris 1955 p.75-91/ du même auteur, The documents of the

Cairo Geniza as a Source for the mediterranan Social History, Journal of the American Oriental Society, vol.80 pp.91-100/ du même auteur, La Tunisie du XIè siècle à la lumière des documents de la Geniza du Caire, Etudes d’ orientalisme dédiées à la mémoire de Levis-Provençal, t.2 pp.559-579,Paris MCMLVII

Serge Latouche,

- l'Occidentalisation du monde, essai sur la signification, la portée et les limites de l'uniformisation planétaire, p, 11.

Voir : G.Vajda,

- Un traité maghrébin « adversus judaeos » : Ahkam ahl al-Dimma du sayh Muhammad b. abd al-Karim al-Magîlî, Etudes d’orientalisme, dédiées à la mémoire de Levis-Provençal, t.2, Paris MCMLVII pp.805-813.
- Wikipedia.org / Encyclopaedia Britannica 1911



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الفصل الثاني:

الكتابة التاريخية الأسرية في المغرب الإسلامي

الفصل الثالث:

الكتابة التاريخية عن بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين؛ والعالم الغربي عند ابن خلدون

الملخص:

اتخذ التدوين التاريخي خلال القرنين (07-08هـ/13-14م)، وفي مغرب ما بعد الموحدين مسارات عديدة، خصوصا ما تعلق بالتاريخ المحض المباشر نتيجة العوامل المتحكمة في توجيه الكتابة التاريخية، وبفعل المؤثرات المرتبطة بها، وللكشف عن ذلك صيغت إشكالية تبحث في طبيعة الكتابة التاريخية المباشرة ومناهجها، ومختلف نماذجها، ولمعالجتها اشتغلت على ثلاث مفاصل موضوعية:

المفصل الأول بحثت فيه مسار التدوين التاريخي المتعلق بالكتابة التاريخية الجامعة، بحيث وجدت نماذج فريدة عبّرت عن حنينها لماضي وحدة الأمة بعد التفكك الذي شهده العالم الإسلامي، وكان للتأثر بمسار الكتابة المشرقية سبب في ظهور ثنائية الكتابة التاريخية الجزئية في مؤلفين أحدهما عن المشرق والآخر عن المغرب، وقد مثّل هذا كل من ابن سعيد المغربي، وابن عذاري المراكشي، وصاحب الحلل الموشية.

المفصل الثاني عملت فيه على تتبع مسار التدوين التاريخي المرتبط بالبلاط، بحيث ظهرت نماذج عديدة اهتمت بسيرة الأسر الحاكمة، والجماعات البربرية التي وصلت إلى السلطة في مغرب ما بعد الموحدين (المرينيون بفاس، والزيانيون بتلمسان، والحفصيون بتونس)، وسعت أقلام هؤلاء المؤرخين إلى محاولة تثبيت شرعية حكم السلالات الحاكمة من خلال النسب العربي، وروجت لبطولات السلاطين ومنجزاتهم، وأغفلت الإشارة أو الحديث عن إخفاقاتهم العسكرية، وصراعاتهم الداخلية، وسياستهم غير الوحدوية، ومثّل هذا كل من علي ابن أبي زرع، والجزنائي، وابن مرزوق الخطيب، وابن الأحمر، ويحي بن خلدون، وصاحب البستان، والتنسي، وابن قنفذ القسنطيني، وابن الشماع، والزركشي.

المفصل الثالث بحث الكتابة التاريخية الخلدونية في شقها المتعلق بالتفرد في الكتابة المغربية بعد التوجه المحلي الذي طبع كتاب العبر في نسخته التونسية قبل أن يتحول إلى تاريخ عالمي جزئي أرّخ فيه للعالم الإسلامي مشرقا ومغربا، كما أرّخ

للعالم الغربي معتمدا على روافد خاصة، وتتبع تاريخ المشرق من خلال مصادر غير عربية.

Abstract

Historical codification that took place during the two centuries (07-08 AH/13-14 AD), in the Maghreb of post Mouahidin had witnessed various paths, especially those related to pure and direct history as a result of the controlling factors in directing historical writing and the influences associated with it.In order to reveal that , a problem was formulated so as to look at the nature of direct historical writing, its methods, and its various models. To study it, we have worked on three objective points:

In the first chapter, we have examined the course of historical codification linked to the general historical writing.Actually , we have found unique models that expressed their nostalgia for the past of the nation’s unity after the disintegration witnessed by the Islamic world.Being influenced by the path of oriental writing caused the emergence of partial historical writing that was presented in two books, one on the East and the other on theMaghreb.This was represented by Ibn Sa`id al-Maghribi, Ibn Adhari al-Marrakchi, and the owner of El Hollal El Mouchia.

In the second chapter we have worked on tracing the path of historical codification associated with the court(castle), so that many models appeared that were interested in the biography of the ruling families, and the barbarian groups that came to power in the post Maghreb's Mouahidin period .(The Marinids in Fes, the Zianiss in Tlemcen, and the Hafsids in Tunisia).The pens of these historians tried to establish the legitimacy of the rule of the ruling dynasties through the Arab lineage, and promoted the sultan's heroism and their achievements, and neglected to mention or talk about their military failures, internal conflicts, and their non-unitary policy.This was represented by Ali Ibn Abi Zara', Al-Jaznai, Ibn Marzouq Al-Khatib, Ibn Al-Ahmar, Yahya Ibn Khaldun, Sahib Al-Bustan, Al-Tansi, Ibn Qunfuth Al-Qusentini, Ibn Al-Shama`, and Al-Zarkashi.

The third chapter is a discussion of the Khaldunian historical writing in its part linked to the uniqueness in the writing of the Maghreb .Then, discussing its local features that marked the Book of Lessons in its Tunisian version.That was turned into a partial

global history in which Ibn Khaldoun chronicled the Islamic world, the East and the West, as well as the Western world, based on special tributaries and traced the history of the East through non-Arab sources.